شؤون فلسطينية

١٠٠

آذار (مارس) ١٩٨٠

شؤون فلسطينية

١٠٠ — آذار (مارس) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة اراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

المحتويات

٣	شفيق الحوت	بمناسبة العدد المائة من « شؤون فلسطينية » : تهنئة وتحية وتمنيات .
٧	روز مصلح	الصناعة في الضفة الغربيه ١٦٤٧ ـ ١٦٧٦ التبادل التجاري والانتاج والتسويق .
٤١	منير شفيق	حرب اذار عسكرياً .
٥٤	نبيل بدران	المؤسسات الاجتماعية في الثورة الفلسطينية .
٦٦	د . رياض منصور	الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة : خلفيتها وواقعها الاجتماعي وافاق تطورها .
٨٨	مكرم يونس	القيادة الميدانية الجديدة في الجيش الاسرائيلي .
١٠٥	العقيد حسن أبو لبدة	الدفاع الجوي والطيران الاسرائيلي .
١١٧	د . محمد عبد الرؤوف سليم	الحيازة الفردية في الزراعة اليهودية في فلسطين حتى قيام دولة اسرائيل .

يقولوا لو علموا بالميزانية التي ساقترح على اللجنة التنفيذية رصدها من اجل المركز وبرامجه ؟ » .

□

بعد الدكتور فايز صايغ ، تسلم شقيقه الاخ الدكتور انيس صايغ ادارة المركز ، فاستمر في تنفيذ مخططات المركز ، ولكن بتواتر اكثر سرعة وبانتاج مكثف . وكانت « شؤون فلسطينية » من طموحاته التي حققها في اذار (مارس) ١٩٧١ ، الذي شهد صدور اول عدد منها .

ولقد استقطبت « شؤون فلسطينية » في طلعتها عددا لا باس به من الكتاب والباحثين ، منهم من كان معروفا وصاحب تجربة وخبرة ، ومنهم من كانت « شؤون فلسطينية » المدرسة التي تعلم فيها ، وتخرج منها . وللحق ان « شؤون فلسطينية » لم تملأ فراغا ثقافيا في الساحة الفلسطينية فحسب ، وانما كانت قدوة لعدد من الدوريات التي صدرت فيما بعد على نمطها شكلا ومضمونا . باستطاعة المراقب المنصف ان يقول ان صدور « شؤون فلسطينية » شرع ابوابا كانت مقفولة ، او محدودة ، امام « البحث » في الكتابة الدورية ، الذي لم يكن يجد المتسع لنشره وانتشاره في الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية . وهذا أفسح المجال للكثيرين من اصحاب الكفاءات والمعلومات والدراسات لتطوير امكانياتهم وامتهان الكتابة بتفرغ تام ، دون اي حاجة لعمل اخر يؤمن لهم سبيل عيشهم . ولا شك في ان في ذلك مساهمة كبرى في تطوير حياتنا الثقافية بشكل عام ، والفكرية السياسية بشكل خاص .

□

منذ ان نشأت « شؤون فلسطينية » والقريبون من مركز الابحاث يتساءلون عن اثر ذلك على باقي النشاطات التي كان المركز يمارسها . هل اعطت « شؤون فلسطينية » المركز ام اخذت منه ، خصوصا ان رئيس تحريرها كان في الوقت ذاته مديرا للمركز ؟

والحقيقة انه من الصعب الرد على هذا التساؤل ، بسبب العلاقة المتداخلة بين اسرتها وبقية العاملين في المركز . فلقد كان باستطاعة المركز ان يفخر بان « الشؤون » هي بعض انتاجه ، كما انه كان ولا يزال باستطاعة بقية العاملين في المركز ان يردوا تقصير المركز في انتاجه ، فيما بعد ، بسبب انصباب الاهتمام على « الشؤون » .

وبعيدا عن هذا الجدل الداخلي ، فان الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها ان « شؤون فلسطينية » وصلت ذروة لم تستطع بعدها ان تتجاوز ذاتها لا شكلا ولا مضمونا . وانه لمن حق القارىء بعد ان فرح « بشؤون فلسطينية » لمنها الفراغ ولنوعيتها الجديدة ، ان يطمح بعد سنوات من صدورها بان يراها تنمو وتتطور وتسعى للوصول نحو افاق جديدة ، وعوالم جديدة .

مرت فترة على « شؤون فلسطينية » ، واظنها لا تزال قائمة ، اصبح فيها القارىء قادرا على التنبؤ المسبق عما ستكونه مواضيع عددها المقبل واسماء من يكتبونها .

ولقد كان لاشتراك الاخ الاستاذ محمود درويش في ادارة التحرير (تموز ١٩٧٣) اثره الواضح في تعزيز النكهة الادبية في المجلة . فاصبح للشعر والادب والنقد مكانهم ومكانتهم

فيها ، مما اضاف على المجلة بعدا ثقافيا مطلوبا وجمالية خففت من عبوس البحث والرقم .

ولا شك في ان محمود درويش ، عندما تسلم رئاسة التحرير في ايار (مايو) ١٩٧٧ بعد ان قاد مسيرتها فعليا في السنوات الصعبة اراد احداث تغييرات، كثيرا ما كان يتحدث عنها قبل تسلم المسؤولية . غير ان الظروف ــ على ما يبدو ــ لم تسمح له باحداث المرجو ، خصوصا وانه تحمل كذلك ، في الوقت نفسه ، مهمة ادارة المركز ، مما شتت جهوده بين اكثر من هم واكثر من مهمة ... ولكن تلك قضية اخرى ليس هذا مجالها .

□

المهم ، هو المستقبل . مستقبل « شؤون فلسطينية » ، فماذا يستطيع المحب لهذه المجلة ، الحريص على استمراريتها ان يقول في هذا المجال ؟

اسمح لنفسي بتسجيل بعض الملاحظات ، من موقعي كقارىء مواظب ، فاقول ، متمنيا :

اولا : ان تهتم « شؤون فلسطينية » باجراء المقابلات السياسية حول القضايا الاستراتيجية المطروحة فلسطينيا وعربيا ، وحتى دوليا ، اذا امكن . فمع الاحترام والتقدير لكل ما يصدر عن المعلقين السياسيين ، من تحليلات وتفسيرات ، فانه لما يهم القارىء ان يسمع مباشرة رأي المسؤولين انفسهم وبالسنتهم . موضوع مثل « الوحدة الوطنية » يستحق ان يسأل فيه جميع قادة الفصائل، وان يناقشوا فيما يقولون . او موضوع مثل « الوحدة القومية » هو الآخر يستحق تسجيلا لرأي القادة القوميين عنه ، وان يناقشوا كذلك .

ان المقابلة السياسية والحوار المباشر مع المسؤولين ليست مرغوبة ومثيرة لدى القارىء وحسب ، وانما هي كذلك نوع من التوثيق المسؤول للمستقبل .

ثانيا : ان تهتم « شؤون فلسطينية » بالدراسات الميدانية لاستكشاف الرأي العام الذي كثيرا ما نجيره ــ عن غير قصد بالطبع ــ لصالح هذه الفكرة او تلك ، لهذا المشروع او ذاك . ان مجلة تصدر عن مؤسسة ثورية يجب ان تعكس فعلا اراء الناس العاديين والبسطاء ، ولا يجوز ان تبقى حكرا على النخبة ، او من نظن انهم النخبة . وفي هذا الاطار اتمنى ان أرى « شؤون فلسطينية » اكثر اهتماما بالشؤون الحياتية والمعيشية لجماهير الشعب الفلسطيني . اننا كثيرا ما ننشغل بالعناوين السياسية الكبرى لقضايا عابرة ، ونهمل قضايا « بسيطة » ، ولكنها تشكل عصب القضية الكبرى الحقيقية . قضايا « السفر » و « الاقامة » و « حق العمل » و .. وغير ذلك مما يعانيه شعبنا يوميا من مشاكل وقضايا لم تحل . هذه كلها لا بد من البحث فيها ، واستخراج الارقام والوثائق المتعلقة بها ، وما يجب ان يعمل بصدد حلها ... هذا اذا كان لها من حل . ولا شك في ان القضايا الاجتماعية تستحق كذلك عناية خاصة ، ولا سيما في الساحة اللبنانية وفي اعقاب الحرب المؤلمة التي وقعت .

ثالثا : انا اعرف ان « شؤون فلسطينية » تصدر للخاصة . ولكن اما من سبيل لتعميم انتشارها وذلك بفتح ابواب تثقيفية تحاول رفع مستوى المواطن ــ القارىء ذي الثقافة المتوسطة ؟ شخصيا اشعر اننا بتنا بحاجة الى قاموس دوري يشرح لنا الكثير مما يتردد على

مسامعنا من مصطلحات ومشروعات وقرارات . بل ان منا من يردد الكثير من هذه « الغوامض » وهو لا يعرف مضمونها . لماذا لا ننشر مثلا النص الحرفي للقرار ٢٢٣٦ الذي كثيرا ما يردده قادتنا ويعلنون تمسكهم به ؟ لماذا لا نعيد نشر نص قرار التقسيم مثلا ، او القرار الشهير ٢٤٢ ، مع ايضاحات مبسطة عما نقبل به او نرفضه في هذا القرار او ذاك .

رابعا : رغم وعي وادراكي على اهمية المنهجية العلمية في سرد الوقائع والاحداث الشهرية ، داخل الارض المحتلة وخارجها ، الا اني لا استطيع ان اتجاهل بان التوجيه الثوري هو من مهام مجلة « شؤون فلسطينية » . لذلك فان العرض الراهن لا يختلف عنه في اية مجلة دورية اخرى معنية بالشؤون السياسية العامة . لذلك ارى من الضروري ان يتم العرض باسلوب مميز يحاول توعية القارىء على المهم والاهم ، وباسلوب علمي كذلك . وفي هذا الاطار لا اعرف لماذا تعزف « شؤون فلسطينية » هذا العزوف الكلي عن « الصورة » الفوتوغرافية . ان من بعض هذه الصور لقطات في مستوى الوثائق ، واعتقد ان قارىء المستقبل عندما يعود الى « شؤون فلسطينية » قد يتهمها بهذا التقصير . طبعا لا اقصد من كلامي تحويل المجلة الى مجلة مصورة ، ولكن هناك من الصور ما لا بد من تسجيله . وان تعذر ذلك ، فعلى الاقل ، لنر على الغلاف غير هذا الذي نراه ، ويبدو احيانا انه اختير لانه البديل الاوحد عن لا شيء .

خامسا : واتمنى اخيرا ان ارى « شؤون فلسطينية » ، اكثر حرصا على استكتاب اكبر عدد من الكتاب العرب ، وليس فقط عن قضية فلسطين ، وانما عن اية قضية عربية ذات اهمية قومية . احيانا ينتابني الشعور باننا بتنا « اسارى » القضية الفلسطينية ، مع انها اكثر قضايا العالم ارتباطا بقضايا الاخرين .

□

وبعد .. فلقد قلت من البداية ان تهنئتي « لشؤون فلسطينية » بمناسبة صدور عددها المئة ، وتحيتي لمركز الابحاث الذي تصدر عنه ، ليسا من النوع التقليدي . ولذلك كان هذا النقد المحب وهذه التمنيات التي ليست سوى خواطر عابرة ، وحرصت ان تبقى كذلك بعيدا عن اسلوب ، البحث التقليدي ... ففي المجلة من هذا ما يكفيها .

مع تمنياتي لأسرة « شؤون فلسطينية » بتحقيق ما تصبو اليه من تقدم .

روز مصلح

الصناعة في الضفة الغربية
التبادل التجاري والانتاج والتسويق
١٩٤٧ـ ١٩٧٩

الصادرات والواردات من المنتوجات الصناعية

جرى تحول واضح في الميزان التجاري للضفة الغربية مع الاردن.فبعد عجز استمر طيلة فترة الالحاق الهاشمي بلغ في سنة ١٩٦٦ حوالى ٢٠ مليون دينار أردني[١]، حصل فائض تجاري ، عائد أساساً الى الوضع الجديد الذي خلقه الاحتلال . حيث أصبحت صادرات الضفة الغربية الى الأردن تعادل اضعاف وارداتها . واصبح العجز الجديد في الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل والدول الاجنبية . ويشير الجدول رقم ١ الى أن اسرائيل تحتل المرتبة الأولى في تجارة الضفة الغربية . أما الاردن فيحتل المرتبة الثانية من حيث الصادرات ، تليه الدول الاجنبية والتي بدورها تسبق الاردن من حيث الواردات .

الجدول رقم ١

الصادرات والواردات والميزان التجاري للمنتوجات الصناعية للضفة الغربية للسنوات ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨[٢] (بملايين الليرات الاسرائيلية)

	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
الصادرات(المجموع)	٢١٦,٤	٢٤٢,٦	٤٠٩,٦	٦٩٠,٥	٩٨٦,٤	١,٢٥٠,٩	٢,٥٦٥,٦
اسرائيل (المجموع)	١٠٧,٣	١٧٤,٧	٢٨٧,٣	٤٤٢,٢	٦١٦,٦	٧٧٧,٤	١,٤٥٧,٢
صناعة	٩٢,٩	١٣٩,١	٢٣٢,٤	٣٧٥,٩	٥٠٩,٠	٦١٠,٧	—
الأردن (المجموع)	١٠٧,٣	٦٦,٢	١١٩,٥	٢٢٠,٦	٣٤٢,٨	٤٦٢,٧	١,٠٨٥,٠
صناعة	٤٥,٧	٢٥,٤	٣٤,٥	١٤٩,٩	٢٤٤,٥	٢٣٨,٧	٦٤٢,٤
دول اخرى(المجموع)	١,٨	١,٧	٢,٨	٢٧,٧	٢٧,٠	١٠,٨	٢٣,٤
صناعة	١,٨	١,٧	٢,٨	٩,١	٨,٢	١٠,٨	٢٣,٤
الواردات	٤١٣,٥	٥٤٢,٥	٨٨١,٨	١,٤٦٣,٤	١,٩٧٠,٦	٢,٧٤٢,٨	٤,٣٥٠,٢

اسرائيل (المجموع)	٣٤١,١	٤٨٣,٥	٧٩٠,٠	١,٢٩٧,٣	١,٧٦٦,٩	٢,٤٥٩,١	٣,٧٥٧,٢
صناعة	٢٨٤,٩	٣٩٩,٥	٦٦٤,١	١,٩٢,٢	١,٤٧٦,١	٢,٠٢٧,٩	—
الأردن (المجموع)	١٨,٩	١٦,٥	٢١,٣	٣١,٤	٢٩,٩	٤٨,٧	٨٧,٥
صناعة	١٥,٠	١٢,٦	١٧,٩	٣٠,٥	٢٨,٤	٤٥,٨	٨٢,٠
دول اخرى المجموع	٥٣,٥	٤٢,٥	٧٠,٥	١٣٤,٧	١٣٧,٨	٢٣٥,٠	٥٠٥,٥
صناعة	٤٠,٩	٣٤,٣	٥٧,٣	٨٥,٦	١٠٢,٦	١٠٢,٣	٤٨١,٤
فائض الصادرات عن الواردات (المجموع)	١٩٧,١	٢٩٩,٩	٤٧٢,٢	٧٧٢,٩	٩٨٤,٢	١,٥٥٨,٩	١,٧٨٤,٦
اسرائيل	٢٣٣,٨	٣٠٨,٨	٥٠٢,٧	٨٥٥,١	١,١٥٠,٣	١,٧٤٨,٧	٢,٣٠٠,٠
الأردن	٨٨,٤ —	٤٩,٧ —	٩٨,٢ -	١٨٩,٢ —	٣١٢,٩ —	٤١٤,٠ —	٩٩٧,٥ —
دول اخرى	٥١,٧	٤٠,٨	٦٧٧,١	١٠٧,٥	١٤٦,٨	٢٢٤,٢	٤٨٢,١

وتترافق الزيادة في الواردات من اسرائيل بنقص في قيمة المستوردات من الأردن . فبدل ان كانت نسبة ما تستورده الضفة الغربية من إسرائيل ٨٢٪ من مجموع الواردات في سنة ١٩٧٢ ، اصبحت في سنة ١٩٧٧ تعادل ٩٠٪ منها . وفي سنة ١٩٧٨ انخفضت الى ٨٦٪. بينما بلغت نسبة ما يستورد من الأردن في سنة ١٩٧٢ حوالى ٤٪ انخفضت في سنة ١٩٧٥ الى ٢٪ وفي سنة ١٩٧٨ الى ١,٦٪ .

وقد ارتفعت نسبة الصادرات الى إسرائيل خاصة في الفترات التي وضعت فيها العراقيل أمام صادرات الضفة الغربية للأردن . فبعد ان كانت في سنة ١٩٧٢ تعادل ٤٩٪ من مجموع الصادرات ، ارتفعت في سنة ١٩٧٥ الى ٦٤٪ لكنها انخفضت في سنة ١٩٧٨ ، الى ٥٦٪ ، وقد حافظت نسبة الصادرات للأردن على انخفاضها كما كان الحال قبل الاحتلال حيث لم تزد نسبة الصادرات عن ٥٠٪ من مجمل صادراتها في سنة ١٩٦٦(٣) . وقد أصبحت في سنة ١٩٧٢ تعادل ٤٩٪، وفي سنة ١٩٧٥ انخفضت الى ٣٢٪ ، لكنها ما لبثت ان ارتفعت قليلا في العام ١٩٧٨ الى ٤٠٪ من مجموع الصادرات . وهذا الانخفاض عائد الى أن الأردن لا يسمح إلا باستيراد ما يحتاجه من منتوجات . وعادة فهذه زراعية ، حيث بلغت نسبتها في سنة ١٩٦٦ ٨٠٪ من مجمل صادرات الضفة الغربية الى الأردن(٤) أما المنتوجات الصناعية فشكلت ٩٣٪ من واردات الضفة الغربية من الضفة الشرقية في نلك العام بينما لم تشكل المنتوجات الصناعية سوى ٢٥٪ من صادرات الضفة الغربية للشرقية .

وقد ظلت المنتوجات الصناعية هي الغالبة على الاستيراد من الأردن ، وبلغت قيمتها ٧٩٪ من مجموع الواردات في سنة ١٩٧٢ كما يبين الجدول رقم ١ . وارتفعت هذه النسبة بوضوح في سنة ١٩٧٥ ، اذ بلغت ٩٧٪ من مجموع الواردات ، لكنها ما لبثت ان انخفضت قليلا في سنة ١٩٧٨ الى ٩٤٪. كما انه في العام ١٩٧٢ ، اصبحت قيمة الصادرات من الضفة الغربية الى الأردن تعادل ٣ أضعاف ما يستورد منه ، خاصة من المنتوجات الصناعية. وفي سنة ١٩٧٥ ، اصبحت قيمة الصادرات من المنتوجات الصناعية تعادل حوالى خمسة أضعاف المستوردات ، وزادت عن نلك في سنة ١٩٧٨ . ويبين الجدول رقم ٢ أهم المستوردات الصناعية من الأردن وتطورها . ومن الواضح ان قيمة ما يستورد يقل عاما بعد عام ، وذلك لأن الضفة الغربية لم تعتمد في السابق على الأردن الا في جزء محدود من مستورداتها. ففي سنة ١٩٦٦ ، كانت قيمة ما يستورد من الاردن لا تتجاوز ٤ ملايين دينار أردني من مجموع قيمة وارداتها البالغة ٢٤ مليون

دينار . بالاضافة الى توفر امكانية استيراد مواد مماثلة من اسرائيل أو غيرها بتكلفة أقل . ولذلك فمن المتوقع أن يقتصر الاستيراد من الأردن على المواد التي تضطر اليها المصانع العربية من أجل السماح لها بالتصدير ويتبين ذلك من مقارنة الجدولين ٢ و٣.فهناك نقص في استيراد المواد الغذائية من الأردن مقابل ارتفاع فيما يستورد عبر اسرائيل . كما بلغ استيراد الضفة الغربية في سنة ١٩٧٨ من البلاستيك ٦٠٩الاف ليرة اسرائيلية من الاردن بمقابل اكثر من ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية عبر اسرائيل . وفي الوقت الذي بلغت فيه قيمة ما يستورد من الحديد والفولاذ ٢,١٢٧ مليون ليرة اسرائيلية من الأردن في العام ١٩٧٨ ، كان ما يستورد عبر اسرائيل اكثر من ٥٠ مليون ليرة . ويظهر الفرق واضحا في استيراد المعدات والأجهزة ، ففي الوقت الذي لا يزيد ما يستورد من الأردن عن ٧٢٧ الف ليرة اسرائيلية ، يزيد ما يستورد عبر اسرائيل عن ٨٤ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٧٨

الجدور رقم (٢)
المستوردات من المنتوجات الصناعية من الأردن
للسنوات ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨(٥)
بآلاف الليرات الاسرائيلية

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
منتجات البان	٣٧٠	١,١٢٣	١,٢٣٩	١,٦٧٦	١,٥٩٤	٣,٢٠١
زجاج	٣٢٤	٣٢٥	٦٤٣	١٧٦	١١١	٥٠
زيوت	٣,٩٧٧	٤,٦٦١	١٤,٤٠٦	١٧,٣١٢	٢٢,٦٢٣	٦٠,١٩٦
بلاستيك	٥٨٨	٢٢٥	٣٦٠	١,٢٨٤	٨٨٥	٦٠٩
قش	٥٣٨	٤٢٥	٧٤٤	٦٥٣	١,٠٥٠	—
ورق ومواد طباعة	٣٢٤	٤٠٥	٥٠٠	٦١٩	٢,٨٧٠	٤,١٢٣
اقمشة	١,١٢١	١,٧٦٥	٤,٣٣٠	٣,٩٢٢	٩,٩٦٤	٩,٣٤٧
حديد وفولاذ	٥٦٠	٩٥٠	١,٤٥٦	١,٣٥٢	٤,٣٧٤	٢,١٣٧
ادوات رياضية والعاب	١٠٦	١٠٠	١٢٦	١٩٠	٤٣	—
ادوات ومعدات	٢٣٧	٣١٩	٢٩١	٢٠٤	٣٨٢	٧٢٧
اشياء اخرى	٤,٥١٦	٧,٨٠٨	٧,٠٦٤	١,٤٨٣	١,٩٤٥	١,٦٢٥
مجموع	١٢,٦٢١	١٨,١٠٦	٣١,٢٥٩	٢٨,٨٧١	٤٥,٨٤١	٨٢,٠٢٥

الجدول رقم ٣
واردات الضفة الغربية من السلع الرئيسية
من الخارج عبر اسرائيل للعام ١٩٧٨[٦]
(بالالف ليرة اسرائيلية)

السلعة	قيمة الاستيراد	السلعة	قيمة الاستيراد
مواد غذائية ودخان ومشروبات وزيوت	١١٩,٤٦٧	مواد كيماوية	١٥,٩٤٥
بلاستيك ومطاط	١٠,١٩١	جلود	٢٢٣
خشب	٦,٧٥٣	ورق	٨,٥٤٩
اقمشة	١٣,٢٨٦	معدات	٨٤,٥٨٨
حديد	٥٠,٦٦١		

وتشكل المنتوجات الصناعية المصدرة للدول الاخرى عدا اسرائيل والاردن ، مجمل صادرات الضفة الغربية اليها ، باستثناء سنتي ١٩٧٥ و١٩٧٦ ، حيث تم تصدير نسبة عالية من المنتوجات الزراعية كما يبين الجدول رقم ١ ، وذلك عائد الى عدم تصدير جزء كبير من هذه المنتوجات للأردن حيث تقل نسبتها في السنتين المذكورتين .

وتعتبر صناعة الخشب والصدف الزخرفية من اهم صادرات الضفة الغربية لأوروبا والولايات المتحدة .

أما المنتوجات الصناعية المستوردة من الدول الاجنبية عن طريق اسرائيل فتشكل نسبة عالية من الواردات وتزيد عن ثلاثة اضعاف ما يستورد من هذه المنتوجات عن طريق الأردن . مما يدل على ان الاستيراد عبر الجسور تقل فعاليته وتأثيره في صناعة الضفة الغربية .

الانتاج والتسويق

يتوجه معظم الناتج الصناعي في الضفة الغربية للاستهلاك المحلي . فلا يزيد ما يصدر عن ١٠٪من هذا الناتج[٧] . وتبلغ نسبة ما يصدر لاسرائيل حوالى ٧١٪ من قيمة الصادرات الصناعية، اي حوالى ٣ أضعاف ما يصدر للاردن ، وهو ٢٧,٦٪ بينما لا يتجاوز ما يصدر للخارج عن ١,٤٪ كما يشير الجدول رقم ١ .

وتشكل منتوجات الخشب الزخرفية ، اهم صادرات الضفة الغربية للأردن ، يليها في الأهمية ، زيت الزيتون والسمنة والجبنة ، والصابون وحجارة البناء ، والرخام ، والزيتون والبلاستيك ، كما يبين الجدول رقم ٤ . وتعتبر هذه المنتوجات من أقل الصناعات تضررا بوجود الاحتلال . وذلك لعدم وجود منافسة اسرائيلية لها بالاضافة الى استمرار تصديرها للأردن ، فقد ارتفعت قيمة الصادرات من الحجارة بشكل واضح . فبعد ان كانت في سنة ١٩٧٢ حوالى ٥٨٥ الف ليرة اسرائيلية ، اصبحت في سنة ١٩٧٥ ، حوالى ٨ ملايين ليرة اسرائيلية . وفي سنة ١٩٧٨ ، زادت عن ٤٥ مليون ليرة اسرائيلية[٨] . كما حافظت المنتوجات الزراعية على نسبتها من الصادرات ، وذلك بسبب حاجة الأردن لها ، خاصة الصابون ، الذي تستهلك معظم انتاجه ، كما يغطي مصنع شركة الزيوت النباتية استهلاك الأردن كاملا من السمنة . وذلك لمساهمة الحكومة في هذه الشركة[٩].

الجدول رقم ٤

المنتوجات الصناعية المصدرة للأردن للعام ١٩٧٨(١٠)

المنتوجات الصناعية	القيمة بالالف ليرة اسرائيلية	الكمية بالطن
منتوجات الخشب الزخرفية	٦٤٣,٣٥٧	—
منتوجات السيراميك الزخرفية	٨٩	—
منتوجات الصدف الزخرفية	١,١٣٢	١٦٥
جبنة	٣٦,٩٢٣	٧٠٦
سمنة	١٧١,٨٧٣	٨,٨٢٣
عسل	٩٠٣	٣٣
زعتر	٩	٥
زيت زيتون	٢٠٩,٨١٨	٤,٥٨٦
سمن حيواني	١,٤٣١	١٥٢
شوكولاته	١٠,٨٨٠	٢٥٥
بسكوت	٤,٢٦٩	—
زيتون	٣٠,٩١٧	١,٦٠٩
رب البندورة	٩٠١	٨٢
نبيذ	١,٣١٠	—
عرق	٥٦	—
رخام	٣١,٨٤٨	١٧,٦٨٣
صابون	٦٧,٩١٠	٣,٣٦٠
منتجات بلاستيكية	١٦,٢٥١	—
منتجات خشبية	١٠٥	—
حجارة بناء	٤٥,٠٦٠	٦٤,٨٩٣
علب فارغة	٣,٤٣٨	—

وقد حصل تراجع في بعض المنتجات التي كانت تصدر للأردن نتيجة للشروط التي تفرضها السلطات الأردنية والسلطات الاسرائيلية . فمثلا تراجعت صادرات الضفة الغربية من القبانات والموازين بسبب اشتراط اسرائيل ان لا يزيد سمك الحديد المستورد عبر الاردن عن ٣ ملم ، وهذا لا يتناسب مع حاجة هذه الصناعة ، الأمر الذي يستدعي الاستيراد عن طريق اسرائيل ، لكن اشتراط الاردن استيراد المادة الخام عبرها ، مقابل السماح بتصديرها ، يقلل من نسبة الصادرات . وهذا الانخفاض يظهر لدى مقارنة الجدولين ٤ و٥ ، فبعد ان حصلت صناعة القبانات في الخليل في سنة ١٩٧٠ على حوافز مالية مقدارها ١,٣٥٧ ليرة اسرائيلية(١١) ، لم تذكر على الأطلاق في الجدول رقم ٤ ، ضمن المنتوجات المصدرة للأردن، كما تشير المقارنة الى انه حصل نقص في تصدير المشروبات الروحية، فبعد ان كانت قيمة الحوافز المدفوعة في سنة ١٩٧٠ للعرق ٤٧,٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، أصبح ما يصدر منه في سنة ١٩٧٨ لا يتجاوز ٥٦,٠٠٠ ليرة إسرائيلية ، مع العلم بأن الليرة قد انخفضت بمعدل ٣٠٪ سنويا ، خلال الفترة ما بين ١٩٧٠ و١٩٧٨ .

الجدول رقم ٥
الحوافز المالية المدفوعة للمنتوجات الصناعية المصدرة للأردن في سنة ١٩٧٠[١٢]

المنطقة	نوع المنتجات	الكمية المدفوعة (ليرة اسرائيلية)
بيت لحم	مواد بلاستيكية	١٨٧,٠٠٠
	منتجات تجميل	١٧٠,٠٠٠
	مشروبات روحية	٦,٠٠٠
رام الله	ورق	١١,٠٠٠
	شوكولاته	٢١٠,٠٠٠
	صابون	٥٣,٠٠٠
	عرق	٤٧,٠٠٠
	تنباك	—
الخليل	منسوجات	—
	قبانات	١,٣٥٧
	ليف معدني	١,٨٨٧
نابلس	زيوت ودهون	١,١٩٤,٠٠٠
	كبريت	١٧٧,٠٠٠
	زيوت	١١,٠٠٠
	صابون	١,١٤٦,٠٠٠
مجموع		٣,٢١٥,٢٤٤

ويشير الجدول رقم ٤ إلى توقف تصدير الكبريت الى الأردن ، وهذا عائد الى اقفال المصنع ، بسبب المنافسة الاسرائيلية ، رغم أن الحوافز المالية التي قدمت لتصدير الكبريت بلغت ١٧٧,٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، كما يبين الجدول رقم ٥ في العام ١٩٧٠ .

ويبين الجدول رقم ٦ أهم المصانع التي ما زالت تصدر للأردن في العام ١٩٧٩ . وهي قليلة وتقتصر كما بينا سابقا على صناعات محددة . ولا يسمح الأردن بدخول معظم منتوجات المصانع التي انشئت بعد الاحتلال . وحتى المصانع القديمة والتي كانت تصدر باستمرار للضفة الشرقية قبل الاحتلال ، لا يسمح لها الا بتصدير الأنواع التي كانت تصدر قبل سنة ١٩٦٧ ، كما هو الحال في مصنع السلفانا للشوكولاته في رام الله[١٣] . رغم أن جزءا من صادرات هذا المصنع كان يذهب الى دول الخليج . كما ان معظم صناعات الضفة الغربية تعتمد على مواد مستوردة عن طريق اسرائيل . وهذا يؤدي الى خفض الانتاج . فمثلا كان انتاج مصنع تعليب البندورة في شركة الصناعات الزراعية بالخليل يصل الى ١٠٠٠ طن سنويا قبل

سنة ١٩٦٧ ، انخفض في سنة ١٩٧٩ الى ٢٠٠ طن فقط[١٤] . وكان تصديره لا يقتصر على الأردن انما يتعداه للسعودية ودول الخليج . أما الآن فلا يصدر سوى لعمان . وتستعمل حجة اثبات المنشأ من قبل السلطات الأردنية لمنع تسويق كثير من السلع التي تنتجها الضفة الغربية والمتوفرة في الأردن ، وهذا استمرار لسياستها السابقة في اضعاف الصناعة وعرقلة تطورها .

وتتأثر المصانع الجديدة بشكل خاص من هذه السياسة . فشروط التصدير لهذه المصانع يتطلب الحصول على رخصة أردنية وهذه تفترض ان يكون رأسمال المصنع عربيا وأن لا يحصل على قروض من اسرائيل ، وان يكون جميع عماله من العرب ، وأن يستورد مواده الخام عن طريق الأردن ، وهذا الشرط الأخير يدفع المصانع الجديدة والقديمة نحو الارتباط بالشركات الاسرائيلية .

ومن الجدير بالذكر أن المصانع القليلة التي ما زالت تصدر للأردن يذهب بعض ناتجها الى الدول العربية.فمثلا تستهلك الكويت والسعودية حوالى ٤٠٪ من انتاج مصنع الالكترود [١٥] ويستهلك الأردن ٢٠٪ فقط .

الجدول رقم ٦

تسويق الانتاج الصناعي حسب الفروع المختلفة لأهم مصانع الضفة الغربية للعام ١٩٧٩

الفرع الصناعي	المؤسسة	حجم الانتاج	التسويق			
			الضفة الغربية	غزة	اسرائيل	الأردن
الصناعات الغذائية	مصنع البندورة / الخليل	٢٠٠ طن سنويا	٤٠	—	—	٦٠
	مصنع الزيوت / الخليل	٢٠ طن سنويا	١٠٠	—	—	—
	مصنع الزيوت النباتية	١٨,٠٠٠طن سنويا	٢٠	—	—	٨٠
	مصنع الجبشة	١ طن يوميا	٨٠	٢٠	—	—
	مصنع سلفانا	٧ طن يوميا	٥٠	١٠	—	٤٠
	مصنع الاصدقاء	٢ طن يوميا	٩٠	—	١٠	—
	مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	١/٢ طن يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	شركة معكرونة الغزال	٤ طن يوميا	٤٥	٥	٥٠	
	الشركة الوطنية للمواد الغذائية	١,٢ طن يوميا	٧٠	٢٥	٥	—
	مصنع استافرو مسعد	١ طن يوميا	١٠٠	—	—	—
التبغ	شركة سجائر القدس	٣,٠٠٠,٠٠٠علبة شهريا	٥٠	٣٥	١٥	—

	شركة السجائر العالمية	٥٠,٠٠٠ علبة شهريا	٨٠	٢٠	—	—
النسيج والخياطة	شركة سنقرط للنسيج	١٣,٠٠٠م يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	مصنع الاقصى	١٠,٠٠٠م يوميا	٤٠	٦٠	—	—
	شركة مصانع العشي	١٠,٠٠٠م يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	مصنع ادعيبس	٣٥٠ م يوميا	١٠٠	—	—	—
	شركة أو بي جي	٧٢,٠٠٠ قطعة شهريا	٣٠	٢٠	٥٠	—
	شركة النسيج الوطنية	٦٦,٠٠٠ قطعة شهريا	٦٠	٣٠	١٠	—
	مصنع اصواف وخياطة قمصية	٧,٥٠٠ قطعة شهريا	—	—	١٠٠	—
المنتجات الكيماوية (الادوية)	شركة بيرزيت	٨٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—
	مصنع شركة فلسطين	٧٢,٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	الشركة الشرقية الكيماوية	١٥,٠٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	شركة بلسم	٦٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—
	شركة جاما للمواد الكيماوية	٥٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	شركة القدس للمستحضرات الطبية	٦٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٨٠	٢٠	—	—
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	٣,٠٠٠ قطعة شهريا	٨٠	٢٠	٢٠	—
الأعلاف	شركة فلسطين للاعلاف	٢٠ طن يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	الشركة الوطنية للاعلاف	٢٠ طن يوميا	١٠٠	—	—	—
	الشركة العربية للأعلاف	٢٠ طن يوميا	١٠٠	—		—
دهان	مصنع دهان يونفرسال	٥ طن يوميا	٨٥	١٥		—
البلاستيك	مصنع شركة البلاستيك الاردنية	٤ طن يوميا	٤٥	١٥	٢٥	١٥

الاسفنج	مصنع شركة رباح	٢ طن يوميا	٨٠	—	٢٠	—
الصابون السائل	مصنع شركة الصناعات العربية	٨ طن يوميا	٧٥	٢٥	—	—
	شركة المنتوجات الكيماوية	٢ طن يوميا	٦٠	—	٤٠	—
الصابون درجة اولى أبيض	صابون النعامة (المصري)	٧٠ طن شهريا	٥	—	—	٩٥
	صابون الجمل (الشكعة)	٧٠ طن يوميا	٣٥	—		٦٥
	صابون المفتاحين (طوقان)	٧٠ طن شهريا	٢٠	—	—	٨٠
الصابون درجة أولى أخضر	شركة يحيى سلهب	٢٥ طن شهريا	—	—		١٠٠
	شركة فطاير	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة رنتيسي اخوان	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة حسني عبد الحق	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثانية ابيض	الحاج ماجد النابلسي	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عمر ورشدي العالول	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثانية أخضر	حمدي كنعان	٥ طن شهريا	١٠٠	—	—	—
	انور كنعان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	سعيد كنعان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة السختيان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثالثة ابيض	عزمي عبد المجيد	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	محمد حسني رضوان	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عثمان اطبيلة	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شفيق أبو زهر	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عباس النابلسي	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
المنتوجات غير المعدنية (الخزف)	مصنع فاخوري للفخار والخزف	٦٠ قطعة يوميا	٥٠	—	٤٩	١
المنتجات المعدنية	مصنع سلك الجلي / الخليل	٣ طن يوميا	٧٠	٢٠	١٠	—

مصنع الالكترود	٨ طن يوميا	١٠	١٠	٢٠	٦٠
مصنع الزغل / الخليل	— (١٦)	١٠	—	٩٠	—
مصنع نيروخ للقبانات	٣٠ طن شهريا	٥٠	٢٥	٢٥	—
شركة مصانع التنك / نابلس	٥٠٠٠ تنكة شهريا	٧٠	—	—	٣٠
الشركة الصناعية الزراعية التجارية / جنين	٣٠٠٠طن شهريا	٥٠	١٠	٤٠	—
مصنع انتاج القطع المعدنية	٤ طن شهريا(١٧)	٨٠	—	١٠	١٠
مصنع أبو عيطة للفلورسنت	٦٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—

ولا تسمح السلطات الاردنية بدخول معظم المنتوجات الكيماوية ، وهذا استمرار لسياستها السابقة ، حيث لم تنشىء اية مصانع للأدوية في الضفة الغربية قبل الاحتلال . ولا يصدر للأردن إلا البلاستيك والاسفنج ، باعتبار أنهما كانا يصدران في السابق.وتمنع اسرائيل استيراد المواد الكيماوية عبر الجسور ، مما يعطي مبررا للسلطات الاردنية لعدم السماح لمنتوجات الضفة الغربية المصنعة من هذه المواد بالدخول ، ضمن شروطها التى ورد ذكرها .

وقد تعثر انتاج شركة البلاستيك الأردنية من البلاستيك والاسفنج بسبب تكلفة الاستيراد عن طريق الأردن ، مما أدى الى عدم القدرة على منافسة مصانع الدول العربية ، خاصة وأن تسويق الانتاج يعتمد على الدول العربية . ولذلك انخفض الانتاج من ١٥ طن يوميا الى النصف(١٨) . كما انخفض مجموع ما يصدر للأردن والسعودية وسوريا والخليج واليمن الى ١٥٪ منذ سنة ١٩٧٣ بعد ان كان سنة ١٩٦٧ يعادل ٦٠٪ من الانتاج .

وهناك نوع من التخصص في إنتاج مدن الضفة الغربية للمنتوجات المصدرة للأردن كما يبين الجدول رقم ٧ ، حيث تشتهر الخليل بتعليب البندورة ، ومنطقة بيت لحم بالصدف والمنتوجات البلاستيكية ، ونابلس بالصابون وزيت الزيتون ، وعلب التنك ، ورام الله بالشوكولاته والبسكوت ، والخليل وجنين بالحجارة .

ولا تستطيع مصانع النسيج التصدير للأردن لان ذلك يتطلب استيراد الخيط عبر الجسور مما يعرضها للتلف خاصة وان السلطات الاسرائيلية تشترط ان تكون بشكل شلل يمكن

الجدول رقم ٧
اهم المنتوجات الصناعية المصدرة للأردن من الضفة الغربية
ونسبتها حسب المناطق في سنة ١٩٧٨(١٩)

السلعة	جنين	نابلس	طولكرم	رام الله	اريحا	بيت لحم	الخليل	غزة	سنوي	بالألف ليرة
رب البندورة	—	—	—	—	—	—	١٠٠,٠	—	١٠٠	٩٠١
صدف	—	٠,٥	—	—	—	٨٣,٠	١٦,٥	—	١٠٠	١٢,١٠٨
زيت الزيتون	٦,٦	٥٩,٦	٢٠,٣	١٣,٥	—	—	—	—	١٠٠	٢٠٩,٨١٨
سمنة	—	٩٩,٣	—	٠,٤	—	—	—	٠,٣	١٠٠	١٧١,٨٧٣
جبنة	١٠,٠	٨٤,١	٥,٩	—	—	—	—	—	١٠٠	٣٦,٩٢٣
شوكولاته	—	—	—	٩٢,٠	—	٨,٠	—	—	١٠٠	١٠,٨٨٠
بسكوت	—	—	—	٩٥,٣	—	٤,٧	—	—	١٠٠	٤,٢٦٩
صابون	—	٩٩,٦	—	—	—	—	—	٠,٤	١٠٠	٦٧,٩١٠
كبريت	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
منتوجات بلاستيكية	—	—	—	٠,٥	١,٣	٩٧,٣	٠,٥	٠,٤	١٠٠	١٦,٢٥١
حجارة	٥٨,٥	١١,٠	١,٢	٠,٥	٠,٥	٩,٣	١٩,٠	—	١٠٠	٤٥,٠٦٠
علب تنك	—	١٠٠,٠	—	—	—	—	—	—	١٠٠	٣,٤٣٨

تفتيشها ، ولذلك فقد اصبحت اسرائيل افضل مكان لتسويق مثل هذه المنتوجات . وتعمل بعض المصانع بكامل طاقتها الانتاجية لتلبية طلبات هذه الشركات .

أما الصناعات الغذائية ، فان نسبة ما يصدر لاسرائيل منها قليلة ، باستثناء شركة معكرونة الغزال التي تسوق ٥٠٪ من منتوجها في اسرائيل ،ويقتصر على صنف واحد لا تنتجه المصانع الاسرائيلية(٢٠) .

ومن الملاحظ ان معظم المصانع العربية التي تسوق جزءا من منتوجها في اسرائيل كما يبين الجدول رقم ٦ يذهب في معظمه الى الجليل ، عن طريق وكلاء عرب.

ومن الواضح من الجدول ، ان المنتوجات الكيماوية لا تلاقي رواجاً في اسرائيل باستثناء صناعة البلاستيك والاسفنج والصابون السائل . فالأدوية تستهلك جميعاً في الضفة الغربية وقطاع غزة ، اما الاعلاف ، رغم وجود ستة مصانع في الضفة الغربية ، فانها تستهلك غالباً محلياً .

وتعتبر المنتوجات المعدنية المصنعة في الضفة الغربية من الصناعات المطلوبة في اسرائيل ، نظرا لمتانتها وجودتها ، وأسعارها المعتدلة . فيصدر حوالى ٩٠٪ من انتاج مصنع الزغل في الخليل ، لاسرائيل ، بالاضافة الى تسويق معظم هذه المصانع في هذا الفرع جزء من انتاجها في اسرائيل .

ويبين الجدول رقـم ٦ ان قطاع غزة يستهلك جزءا لا بأس به من معظم منتوجات الضفة الغربية ، خاصة النسيج والملابس والأدوية والانتاج المعدني ، والدخان ، وتتوفر في قطاع غزة مصانع تنتج سلعاً مماثلة لما هو قائم في الضفة الغربية ، مثل السمنة ، والأعلاف ، وسلك الجلي ، والبلاستيك[٢١] ، مما يجعل سوق القطاع ضيق أمام مثل هذه المنتوجات .

وتتنافس المصانع العربية فيما بينها على سوق الضفة الغربية وقطاع غزة . ويبين الجدول رقـم ٦ مصانع تنتج سلعاً مماثلة في الفروع المختلفة . فمثلا ، تنتج مصانع الأدوية انواعاً متماثلة ، ويسوق الناتج لمعظم المصانع بنسبة ٨٠٪ في الضفة و٢٠٪ في القطاع . ويغطي مصنع شركة بلسم للأدوية حوالى ٣٠٪ من مبيعات المصانع العربية ، يليه مصنع شركة القدس للمستحضرات الطبية الذي يغطي ٢٠٪ ويعتبر هذا المصنع بالاضافة الى مصنع فلسطين للأدوية وشركة المصنع الكيماوي ومصنع بيرزيت من اهم مصانع الأدوية في الضفة الغربية[٢٢] . وتتم بعض المحاولات للتنسيق بين هذه المصانع ، ولكن حتى الان ظل التنسيق ضعيفاً وفي بعض المجالات المحددة . وتعمل معظم مصانع الأدوية بنسبة ٢٠ ــ ٢٥٪ من طاقتها الانتاجية . وتبلغ مبيعاتها سنويا حوالى ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية . أي أن معدل الاستهلاك السنوي للفرد أقل من ٥٠ ليرة اسرائيلية . وهذه النسبة متدنية جداً وذلك لأن الشركات الاسرائيلية تغطي حوالى ٤٠٪ من استهلاك الضفة الغربية وقطاع غزة .وبدأت بعض هذه المصانع بالتفكير في صناعات جديدة للادوية ، فمثلا بدأ مصنع الطزيز في القدس في انتاج القطرة ، ويفكر المصنع الكيماوي ايضا بالبدء بانتاج مثل هذا الصنف . وفي شركة بيرزيت قسم لانتاج الابر . واذا كان من الممكن ايجاد بعض الحلول لمشكلة التنافس بين المصانع العربية ، فان مشكلة التنافس مع الشركات الاسرائيلية تظل قائمة حيث تغطي هذه الشركات ٤٠٪ من سوق الضفة الغربية وقطاع غزة .

اما مصانع الصابون السائل فتحدد المنافسة فيما بينها في بعض الاصناف التي تتشابه في انتاجها ، فمثلا يتنافس مصنع المنتوجات الكيماوية ومصنع شركة الصناعة العربية (ستار) في انتاج الكلور ، والصابون السائل ، اما المنتوجات الاخرى فيتم فيها بعض التعاون[٢٣] . كما ان بعض هذه المنتوجات تسوق في اسرائيل من خلال وكلاء اسرائيليين . وهناك منافسة قوية مع الشركات الاسرائيلية ، خاصة في مواد التنظيف .

اما مصانع الاعلاف فهي من المصانع القليلة التي تعمل بكامل طاقتها الانتاجية . ويغطي مصنع الشركة العربية للاعلاف حوالى ٣٠٪ من استهلاك الضفة الغربية ، اما الشركة الوطنية للاعلاف فيقتصر تسويق انتاجها في رام الله وطولكرم ونابلس وجنين ، ويتميز هذا المصنع باشراف اخصائي عليه ، مما أدى الى تطوير الانتاج بشكل واضح .

وتعاني مصانع الاعلاف ايضا من المنافسة الاسرائيلية ، حيث تغطي الاعلاف الاسرائيلية ٥٠٪ من سوق الضفة . وتوجد منافسة قوية بين مصانع البلاستيك في الضفة الغربية ، خاصة بين مصنعي شركة البلاستيك الأردنية وشركة عابدين الشرق ، ويغطي المصنع الأول ٦٠٪ من انتاج واستهلاك الضفة الغربية ، وتغطي المصانع الاخرى ٢٠٪ اما الباقي فتغطيه الشركات الاسرائيلية .

وتسيطر صناعة الاسفنج في الضفة الغربية على السوق المحلي بكامله ، حيث يغطي مصنع رباح ، ومصنع الاسفنج التابع لشركة البلاستيك الاردنية ١٠٠٪ من استهلاك الضفة

الغربية . أما مصنع دهان يونفرسال ، فانه يغطي ١٠٪ من استهلاك السوق ، والباقي تغطيه شركات اسرائيلية ، وهو المصنع الوحيد للدهان في الضفة الغربية وفي قطاع غزة .

وفي صناعة المنتوجات المعدنية ، يوجد تنافس بين بعض المصانع المتماثلة في الانتاج ، فمثلا ، هناك منافسة بين مصنعي التنك في نابلس وجنين على سوق الضفة الغربية حيث يغطي الأول ٨٠٪ من سوق الضفة والثاني ٢٠٪(٢٤) . ويتميز مصنع التنك في جنين بأن ٤٠٪ من استهلاكه يتم في الجليل .

ويعتبر مصنع شصيات الفلورسنت الوحيد من نوعه في الضفة والقطاع . ولذلك فهو يغطي ٨٠٪ من استهلاك الضفة الغربية دون منافسة . أما مصنع القطع المعدنية فهو ينتج قطعاً سياحية يستهلك ٨٠٪ منها في بيت لحم والقدس و١٠٪ في الجليل ويصدر للخارج ما تبقى ، من خلال تجار الصناعات السياحية .

ولا توجد منافسة تذكر بين مصانع المنتوجات الغذائية ، فمثلا ، كان مصنع السلفانا هو الوحيد من نوعة حتى سنة ١٩٧٨ ، حيث اعيد فتح مصنع الجبشة من جديد الذي ما زال ضعيف الانتاج. ويسوق الأول منتوجه من خلال وكلاء في مختلف مدن الضفة الغربية . اما مصنع الأصدقاء ، فيتركز انتاجه على البسكوت ، ولذلك فلا يشكل منافسا للمصنعين السابقين . وتستهلك مدن الضفة الغربية حوالى ٩٠٪ من انتاج هذا المصنع ، وما تبقى يستهلك في الجليل .

ويعتبر مصنع شركة الغزال من اضخم مصانع المعكرونة في الضفة والقطاع ، ويسوق معظم المنتوج في الضفة نفسها ، ولا يستهلك القطاع سوى جزء بسيط منه. ويليه مصنع الشركة الوطنية للمواد الغذائية حيث يسوق ٢٥٪ من المنتوج في قطاع غزة وحوالى ٥٪ في الجليل ، اما الباقي فيستهلك في الضفة الغربية . ويستهلك ، منتوج مصنع خليل الرحمن في منطقة الخليل وقطاع غزة بشكل اساسي ، وما تبقى يذهب للقدس ورام الله .

وتظهر المنافسة واضحة بين شركة السجائر العالمية المساهمة وشركة سجائر القدس(٢٥) ، حيث تعرضت الاولى الى خسارة منذ بدء تأسيسها سنة ١٩٧٤ وحتى سنة ١٩٧٨ ، حيث استقطبت هذه الشركة الخبير الفني بالاضافة الى رئيس قسم المبيعات في شركة سجائر القدس. وتعاني هاتان الشركتان من المنافسة الاسرائيلية بشكل كبير ، حيث تسيطر شركة دوبيك الاسرائيلية على حوالى ٦٠٪ من سوق الضفة والقطاع ، وتغطي شركة القدس ٣٠٪ ، وما تبقى تغطيه شركة السجائر العالمية . ويذهب حوالى ١٥٪ من انتاج شركة سجائر القدس الى منطقة الجليل من خلال وكيل هناك .

ولا تستطيع مصانع الجلود ، رغم قلة عددها منافسة الجلود التي تستوردها الشركات الاسرائيلية ، ولذلك فهي في تراجع مستمر في الانتاج .

وقد نتج عن هذه المنافسة على السوق المحدودة للضفة والقطاع، مع عدم اتاحة مجال كبير للتصدير عن طريق الأردن ، بالاضافة الى عدم توفر وكلاء موزعين للمنتوجات العربية في اسرائيل ، توقف بعض المصانع عن العمل خاصة الصغير منها ، وتدني انتاجية حتى ما هو كبير منها ، كما يبين الجدول رقم ٨ .

الجدول رقم ٨
بعض مصانع الضفة الغربية وقدراتها الانتاجيه
للعام ١٩٧٩

المصنع	النسبة من طاقة الانتاج
شركة المصنع الكيماوي الاردني	٪٢٠
شركة مصانع معايعة	٪١٥
مصنع الجبشة للشكولاته	٪٤٠
مصنع سلك الجلي ـ الخليل	٪٢٠
شركة الصناعات الزراعية	٪٢٠
شركة المنتوجات الكيماوية	٪٥٠
شركة سجائر القدس المساهمة المحدودة	٪٥٠
مصنع ياسين حسني الزغل	٪٤٠
الشركة الصناعية التجارية الزراعية ـ التنك	٪٥٠
شركة رباح لصناعة الاسفنج	٪٦٠
شركة البلاستيك الاردنية	٪٥٠

وفي كثير من الأحيان تغري المنتوجات المصنعة في اسرائيل ، المستهلكين التجار والعاديين في الضفة الغربية لكونها اكثر متانة وأقل تكلفة[٢٦] ، بالاضافة الى توفر وكلاء موزعين لهذه البضائع في مختلف مدن الضفة ، مما يجعل عملية استيرادها أكثر سهولة .

ولم تعان صناعة الصابون كغيرها من ضيق السوق المحلية ، لتوفر إمكانية التصدير للأردن طوال فترة الاحتلال ، خاصة الصابون من الدرجة الأولى والثانية بنوعيه الأبيض والأخضر[٢٧].اما الصابون من الدرجة الثالثة فيسوق معظمه الى الضفة الغربية. ويبين الجدول رقم (٦) أصناف للصابون الأبيض من الدرجة الأولى وهي النعامة لصاحبها المصري ، والجمل للشكعة ، والمفتاحين لطوقان ، يصدر ٨٠٪ منها للأردن ، كما يتم تصدير جزء من صابون الجمل والمفتاحين لدول الخليج .. اما الصابون الأخضر من الدرجة الأولى والأبيض من الدرجة الثانية فيصدر بالكامل للضفة الشرقية . ويستهلك الجيش الاردني نسبة عالية من النوع الثاني ، وما تبقى يصدر للخليج . ومن الصابون الأخضر من الدرجة الثانية ، فهناك فقط صابون حمدي كنعان الذي يسوق في الضفة الغربية اما الصابن الأربع الباقية ، فتسوق منتوجها بالكامل في الأردن . كما يسوق كافة منتوج الصابون الأبيض من الدرجة الثالثة بالكامل في الأردن .

وقد لاقت حجارة البناء رواجاً في التسويق ، وذلك بسبب الطلب المتزايد عليها في الضفة الغربية من جهة ، وفي اسرائيل من جهة اخرى ، بالاضافة الى حاجة الاردن ودول الخليج ، مما يجعل كافة المحاجر تعمل بكامل طاقتها الانتاجية .

اما مصانع الفخار والخزف فلا تسوق للاردن اكثر من١٪ من المنتوج ، وحوالى ٥٠٪ يسوق في الضفةالغربية، خاصة في مدينة القدس ، ويستورد الوكلاء الاسرائيليون حوالى ٤٩٪ من المنتوج.وتنتج معامل الخزف والفخار ما بين ٥٠ ــ ٦٠ قطعة يوميا ، وتوجد منافسة بينها خاصة انها تتركز جميعاً في مدينة الخليل .

مما سبق ذكره ، يتضح ان صغر السوق يلعب دورا هاما في عرقلة تطور الانتاج في الضفة الغربية ، وتستطيع الشركات الاسرائيلية المدعمة من قبل السلطات الحكومية منافسة مصانع الضفة الغربية على هذه السوق ، كما ان امكانية التصدير محكومة بشروط الاردن وقيوده ، وتظل امكانية التصدير للخارج عبر اسرائيل محصورة في بعض الصناعات السياحية ، الموجودة في منطقة بيت لحم ، مثل صناعة الخشب الزخرفية ، والمنتوجات الصدفية ، بالاضافة الى بعض المنتوجات المعدنية السياحية كالحلي ، والسناسل . والجدير بالذكر ان التصدير مقصور على بعض الوكلاء الذين كانوا يقومون قبل الاحتلال بالتصدير لأميركا وأوروبا .

وهناك بعض المنتوجات التي تصدر للخارج عبر اسرائيل ، ولكن لا يقوم المصنع بهذه العملية بنفسه انما عبر وكلاء يعملون لحساب شركات اسرائيلية . وهذه تبرز بشكل خاص في فروع النسيج والخياطة والملابس والصناعة السياحية .

المواد الخام

تعتمد الضفة الغربية ، كما بينا سابقا على الزراعة في اهم صناعاتها حيث تعتبر السمنة ، وزيت الزيتون والصابون ورب البندورة ، من أهم الصادرات الى الأردن . ورغم توفر بعض المواد الاولية اللازمة لهذه المنتوجات محليا ،الا انها تظل في حاجة الى مواد اخرى ضرورية، وهذه تستورد في الغالب من الشركات الاسرائيلية او من الخارج ، مباشرة او عن طريق وكلاء اسرائيليين ، اما الاستيراد عن طريق الأردن فهو قليل نسبيا . فمثلا يتوفر لصناعة الصابون ، (النوع الأخضر) الجفت ، ولكن المواد الأخرى غير متاحة محليا ، فمثلا يؤخذ زيت النخيل من شركة الزيوت النباتية التي تستورده بدورها من الخارج . كما يستورد نوع خاص من زيت الزيتون المركب صناعيا من اجل انتاج الصابون الأبيض ، من اوروبا(٢٨)، اي أن هذا النوع من الصابون لا يعتمد اطلاقاً على زيت الزيتون المحلي . كما ان شركة مصانع الزيوت النباتية تستورد انواعاً مختلفة من الزيوت اللازمة لانتاج السمن والمرجرين ، مثل زيت النخيل ، وجوز الهند ، والصويا ، والقطن ، ودوار الشمس ، والفستق ، من جنوب شرقي اسيا(٢٩) . حيث يستورد ٥٠٪ من هذه المواد عن طريق العقبة و٥٠٪ عن طريق حيفا واسدود . أما الصفيح فيتم استيراده من فرنسا ، وكان في السابق يستورد من اليابان ، ويمنع استيراد الزيوت عبر الأردن لشركة الصناعات الزراعية في الخليل ، فتضطر الى استيرادها عن طريق حيفا واسدود . أما مصنع تعليب البندورة ، فرغم توفر البندورة في مختلف انحاء الضفة الغربية ، فانه يستورد مادة التنك الخام من فرنسا وبريطانيا عن طريق الموانىء المذكورة سابقا .

وتعتمد الصناعة الغذائية على المواد الخام المستوردة ، فمثلا تحتاج مصانع الشوكولاته والبسكوت الى الزبدة والكاكاو والسكر والحليب ، وهذه تستورد من الخارج عن طريق حيفا واسدود.كما ان نسبة عالية من الطحين المستهلك يعتمد على الشركات الاسرائيلية ، وهذا يدل على مدى اعتماد صناعة الضفة الغربية على هذه الشركات كما يبين الجدول رقم ٩ .

ذ، الجدول رقم ٦

الموارد الخام وطرق استيرادها لبعض مصانع الضفة الغربيه للعام ١٩٧٦

المصنع	المواد الخام	الاستيراد
مصنع سلفانا للشوكولاته	زبدة ،كاكاو ،سكر ،ورق	من الاردن ، من الخارج عن طرق حيفا واسدود
مصنع الجبشة للشوكولاته	سكر ،حليب ، كاكاو ، زبدة كاكاو	من اسرائيل ومن الخارج
شركة معكرونة الغزال	الطحين	اسرائيل
	اكياس نايلون	مصنع البلاستيك ـ بيت ساحور
مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	طحين	اسرائيل
الشركة الوطنية للمواد الغذائية	طحين	٣٥٪ من نابلس ،٦٥٪ من اسرائيل
مخبز شحادة الحديث	طحين	١٠٪ من نابلس ، ٩٠٪ من اسرائيل
شركة الصناعات الزراعية	بندورة	الضفة
	تنك خام	فرنسا ، انجلترا ، اليابان (حيفا واسدود)
	الزيت	٩٥٪ من الضفة ٥٪ من هولندا وايطاليا
	مادة الأسيد	اليابان واليونان وقبرص
شركة او بي جي للنسيج	الخيوط بوليستير ونايلون	٢٠٪ من اسرائيل ٨٠٪ من اوروبا
شركة النسيج الوطنية	قطن ، مواد صباغة ، مواد كيماوية ، صور	٣٠٪ من اوروبا، ٧٠٪ شركات اسرائيلية
شركة سنقرط واستاذ ودهمان للنسيج	قطن	٦٥٪ من الأردن عن طريق العقبة ٣٥٪ من اسرائيل
مصنع الأقصى للنسيج	خيوط	٨٠٪ من المانيا وفرنسا واميركا ٢٠٪ من اسرائيل
مصنع عزات ادعيبس واولاده للنسيج	صباغ، مواد تحضيرية للطباعة قطن بوليستير	اسرائيل
شركة مصانع ابناء العشي للنسيج	خيوط ، اوراق الطبع والألوان	اميركا ، فرنسا ايطاليا ، بريطانيا
مصنع صبحي أبو شرح للمغيط	كاوتشوك سيارات قديمة . خيط غزل	اسرائيل
شركة سجائر القدس المساهمة	تبغ	٤٠٪ من الضفة ، ٦٠٪ من جنوب افريقيا
شركة السجائر العالمية	تبغ	٨٠٪ جنوب افريقيا ، ٢٠٪ برازيل وبريطانيا وهولندا

	كرتون	البرازيل
	الصمغ وورق السجائر	فرنسا والنمسا
	الفلتر والورق المذهب والسلوفان والورق المقوى	شركات اسرائيلية
شركة مصانع معايعة	مواسير ، زوايا ، اخشاب سلك زنبرك ، سلك تيك ناعم	اسرائيل اوروبا
مصنع المطاط الحديث	مطاط	وكلاء اسرائيليين
مصنع شركة بيرزيت للأدوية	المواد الخام للادوية	دنمارك وايطاليا
مصنع شركة فلسطين لصناعة الأدوية	المواد الخام للادوية	٢٠٪ من اسرائيل ٨٠٪ من اوروبا بواسطة وكلاء اسرائيليين
شركة جاما للادوية		٨٠٪ من اسرائيل ، ٢٠٪ من اوروبا
شركة بلسم لصناعة الادوية		٩٥٪ من ايطاليا والمانيا ٥٪ من اسرائيل
شركة المصنع الكيماوي الأردني	مواد التعبئة والزجاج	المانيا سويسرا عن طريق حيفا
	كرتون	مصنع اوهانسيان في رام الله
مصنع البلاط الاوتوماتيك	اسمنت ، اسمنت اسود ، حصمة تلياني	اسرائيل
	حصمة بلدي ، نحاسة ،	بيت لحم
شركة مصنع الالكترود	بودرة خاصة باللحام ، حديد	من فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية عن طريق العقبة اسدود وحيفا
مصنع سلك الجلي	حديد	المانيا وبلجيكا عن طريق حيفا واسدود
مصنع رويال للسخانات الشمسية	حديد	اسرائيل
مصنع عوض فاخوري للفخار والخزف	بوردة	هولندا عن طريق وكلاء اسرائيليين
	مواد الفخار ترابة صفراء ، سمقة حمراء ، رمل	الخليل

شركة المنتوجات الكيماوية	الكريمات	اوروبا
	بقية المواد	اسرائيل
مشاغل الصدف الزخرفية	الصدف	استراليا
مشاغل خشب الزيتون الزخرفية	خشب الزيتون	الضفة الغربية
مصنع ياسين حسني الزغل	حديد صاج	اسرائيل
شركة نيروخ لصناعة القبانات والموازين	حديد ، نحاس ، فولاذ ، دهان	اسرائيل
شركة السختيان اخوان	الورق الخام ، مواد كيماوية مختلفة منها الصوديوم	عن طريق اسدود ٣٥٪ من المانيا وهولندا وايطاليا (اسدود /حيفا) ٦٥٪ شركات اسرائيلية
شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	المواد الخام للأدوية	اسرائيل
شركة ملحيس للصناعة والتجارة	البلاستيك والاقمشة	شركات اسرائيلية في الغالب الكل يستوردون من المانيا وايطاليا وفرنسا
صناعة الصابون (الأبيض)	الزيت	من اوروبا مباشرة (ايطاليا اسبانيا اليونان وقبرص) عن طريق اسدود وحيفا
صناعة الصابون الأخضر)	الجفت وزيت البالم	الجفت محلي وزيت البالم محلي من شركة الزيوت البناتية
شركة جنين الصناعية التجارية الزراعية (التنك)	الصفيح والقصدير	من فرنسا المانيا الغربية
شركة رباح لصناعة الاسفنج		
مصنع نجيب ناصر للنسيج	القطن	اسرائيل
مصنع الاصدقاء للبسكوت	الطحين ، السكر ، المرجرين الزبدة	اسرائيل
شركة مصانع الزيوت النباتية	الزيت زيت النخيل ، زيت نواة البلح زيت جوز الهند ، زيت الصويا ، زيت القطن ، زيت عباد الشمس ، زيت الفستق .	جنوب شرقي آسيا سنغافورة ، ماليزيا ، الملايو ، عن طريق الجسور والضفة ٥٠٪ حيفا واسدود ٥٠٪

الشركة الوطنية للاعلاف	الذرة الصفراء والحمراء والشعير والنخالة ، فيتامينات ،املاح معدنية ، مواد كيماوية زيوت	من اميركا عن طريق وكلاء اسرائيليين هولندا ، بريطانيا
شركة مصانع التنك ـ نابلس	الصفيح	٢٠٠ طن عن طريق عمان ٥٠٠ طن عن طريق حيفا واسرود
شركة البلاستيك الاردنية (مصنع البلاستيك الاسفنج)	حبيبات من البلاستيك مواد كيماوية سائلة	٧٠٪ مستورد من الخارج منها ١٥٪ عن طريق اسدود العقبة ٣٠٪ من اسرائيل .
فرشات الزيزك	الساج الموجود داخل المحل	من ايطاليا واستراليا
مصنع شصيات الفلورسنت	ساج للعلبة . السلك	من اسرائيل
مصنع انتاج قطع معدنية	حديد ، نحاس والبراغي	من اسرائيل من مصنع كوميت في بيت ساحور

وتعتمد مصانع النسيج بشكل كلي تقريبا على المواد الخام المستوردة من الشركات الاسرائيلية ، كما يبين الجدول ان مصنعا واحداً يستورد مواده الخام عبر الأردن وهو مصنع شركة سنقرط للنسيج ، وقد بينا في السابق أسباب تحول هذه المصانع عن الاستيراد عبر الجسور .

أما صناعة السجائر فيعتمد في استيرادها للتبغ على جنوب افريقيا بشكل اساسي ، وتفرض وزارة الزراعة الاسرائيلية نسبة معينة من التبغ المزروع محليا حسب قدرة المصنع الانتاجية . أما المواد الأخرى مثل الفلتر والورق المذهب والسلوفان والورق المقوى فيؤخذ من شركات اسرائيلية .

ويعتمد الحصول على الخشب والمطاط في الضفة الغربية على الشركات الاسرائيلية كما يبين الجدول رقم ٣ والجدول رقم ٩ . ولذلك تتحكم هذه الشركات بصناعة الخشب والمفروشات بالكامل .

أما مصانع الأدوية والمنتوجات الكيماوية الأخرى فتستورد معظم المواد الأولية اللازمة من اوروبا ، وفي كثير من الأحيان عبر وكلاء إسرائيليين ، كما يبين الجدول رقم ٩ . وتمنع اسرائيل استيراد مثل هذه المواد عبر الجسور . ورغم توفر المواد الأولية لصناعة البلاط والرخام والطوب ، إلا أن الاسمنت الضروري يستورد من إسرائيل وتتميز الصناعة المعدنية الكبيرة بأنها تستورد معظم موادها الأولية من اوروبا ، أما مصانع السخانات الشمسية فتعتمد على الشركات الاسرائيلية في هذه المواد وتقوم هي بتجميعها .

وقد تراجعت صناعة الصدف الزخرفية بعض الشيء بسبب صعوبات استيراد المواد الخام اللازمة باستمرار . أما صناعة خشب الزيتون الزخرفية فقد حصل فيها تقدم ملحوظ ،

وهذا عائد بشكل أساسي الى توفر شجر الزيتون بكثرة في الضفة الغربية .

وتتوفر في الضفة الغربية الحجارة اللازمة للبناء ، إلا ان استخراجها يحتاج الى آلات ومعدات تستورد عن طريق وكلاء اسرائيليين بالاضافة الى تحكم السلطات في صرف البارود اللازم للمحاجر ، علماً بأن هناك محصصات شهرية لكل محجر(٣٠) .

وتعاني المصانع التي تستورد موادها الخام مباشرة من الخارج من التأخير الذي يتم فيه تخليص البضائع ، بسبب التفتيش الدقيق ، بالاضافة الى الاضرابات المستمرة في الموانىء . وتفرض السلطات الاسرائيلية قيودا على استيراد المواد المتوفرة لديها عن طريق الزام المصانع العربية شراء نسبة معينة من هذه المواد ، فمثلا تستهلك شركة سجائر القدس ٤٠٪ من التبغ عن طريق الشركات الاسرائيلية . كما تعمل هذه السلطات على زيادة الضريبة الخاصة باستيراد هذه المواد مما يضطر المصانع العربية ، الى شراء مختلف المواد الأولية المتوفرة لدى هذه الشركات بالأسعار المفروضة عليها . فمثلا تحدد مؤسسة « كلال تكس » الاسرائيلية سعر شراء خيط القطن من المزارعين وبيعه للمستهلكين ، بالاضافة الى تحديد نسبة ما يمكن استهلاكه في مصانع الضفة الغربية . كما تحدد كمية الطحين التي يستطيع مخبز شحادة الحديث استهلاكها بحيث لا يزيد انتاجه من الخبز عن ١٦٠ طن شهريا ، وبذلك يبقى المجال مفتوحا لتسويق الخبز الاسرائيلي . هذا بالاضافة الى ما تضعه السلطات من عراقيل امام استيراد المعدات والأجهزة الضرورية لتطوير الصناعة ، خاصة الأجهزة والمواد الكيماوية ، كما حدث مع مصنع المطاط الحديث والسيلسيون في الخليل ومصنع باطون رام الله(٣١) .

وهناك أمثلة كثيرة متعددة على تضرر الصناعة في الضفة الغربية نتيجة لصعوبات تأمين المواد الخام اللازمة والضرورية في الوقت المناسب . فمثلا ، يعطل قسم من العمال يومين في الاسبوع دون أجر ، في مصنع السلفانا(٣٢) . كما يعاني مصنع باطون رام الله من تدني الانتاج بسبب نقص مادة الاسمنت الرئيسية مما اضطر الشركة الى التحول لانتاج الطوب(٣٣) . وقد توقفت بعض المصانع عن العمل لفترات طويلة نتيجة لتأخر وصول المواد الخام اليها . مثل مصنع السحابات في بيت ساحور .

من هنا نرى أن المواد الخام هي المفصل الذي تستطيع السلطات الاسرائيلية من خلال السيطرة عليه ، التحكم في صناعة الضفة الغربية ، ولذلك يعتبر امرا بالغ الأهمية تحديد المواد الخام الضرورية لهذه المصانع ومحاولة توفيرها محليا .

وغني عن الذكر ، أهمية انشاء مصنع للاسمنت خاصة لما يحتل قطاع البناء من أهمية في الضفة الغربية وفي اسرائيل . وقد بدأت بعض المصانع بالتفكير في هذا الاتجاه ، فمثلا هناك توجه من شركة الزيوت النباتية نحو إقامة مشروع عصر البذور مثل عباد الشمس ، بدلا من استيراد الزيوت من الخارج ، كما يتوجه مصنع الالكترود نحو تصنيع المسحوق الضروري لصناعة قضبان اللحام ، ولكن هذه ايضا ستحتاج الى استيراد بعض المواد الأساسية من الخارج ، ويتوجه مصنع سلك الجلي في الخليل نحو انشاء فرع لانتاج المعاجين اللازمة للزجاج والسيارات والاخشاب . ويتوجه مصنع شركة بلسم للادوية وشركة المنتوجات الكيماوية نحو

تصنيع بعض المواد اللازمة لصناعة الأدوية بالاضافة الى تخطيط الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف لاقامة مصنع لانتاج الفيتامينات للاعلاف والاستفادة من بعض المواد المتاحة مثل الدم في المسلخ والنفايات .

يتبين لنا أن هناك محاولات من قبل المصانع والشركات في الضفة الغربية للتحايل على صعوبات استيراد المواد الخام ، وذلك عن طريق وساطة الوكلاء الاسرائيليين ، أو عن طريق التفكير بانشاء مصانع لانتاج بعض المواد الضرورية للصناعة . وواضح أن السلطات الاسرائيلية تعمل ما في وسعها لضرب صناعة الضفة وعرقلة تطورها ، الا أنه واضح أيضا أنه رغم كافة الصعوبات والجهود المبذولة من أجل تحقيق ذلك ، فان الصناعة العربية ما زالت قادرة على الاستمرار .

رأس المال

من الصعب الحصول على ارقام دقيقة تتعلق برؤوس أموال المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية ، وذلك بسبب تداخل رأس مال المصنع مع الرأسمال الشخصي خصوصا في الشركات الخاصة . كما أن الأرقام المسجلة عادةهي أصغر ممـــا في الواقع، وذلك بقصد التهرب من ضريبة الدخل المفروضة على هذه المصانع . ورغم أن الأرقام التي حصلنا عليها ليست دقيقة ، فانها مؤشر واضح لتطور استثمار رؤوس الأموال الكبيرة في الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ ، بالمقارنة مع تدني حجم الاستثمارات حتى تلك السنة. حيث لم يتجاوز عدد المنشآت الصناعية الكبيرة ، ١١ منشأة ، ويبين الجدول رقم ١٠ تطوراً واضحا في عدد هذه المؤسسات ، بالاضافة الى نمو حجم الرأسمال المستثمر في المشاريع الجديدة مقارنة بما كان قبل الاحتلال ، مما يدل على مدى عرقلة السلطة الاردنية قيام مثل هذه المشاريع في السابق .

وقد بدأ كثير من المصانع عمله كشركات عادية ، ثم تحولت الى مساهمة خاصة ، ثم الى عامة ، كما هو الحال مع شركات الأدوية[٣٤] ، ومصنع الالكترود [٣٥] .

وتعتمد المصانع الجديدة على مساهمة أكثر من شخص كما يوضح الجدول رقم١٠ وذلك لأن الصمود في وجه منافسة الشركات الاسرائيلية يتطلب رؤوس أموال تفوق امكانيات الافراد . فمثلا ، بلغ عدد المساهمين في شركة جاما للمواد الكيماوية ٧ أشخاص ، وفي الشركة العربية للأعلاف ، ١٨ شخصاً ، وحتى مصنع البلاط للضفتين الذي انتهى به المطاف ليكون شركة خاصة ، بدأ عمله سنة ١٩٧٦ كشركة مساهمة .

وقد لعب الانخفاض المستمر لليرة الاسرائيلية دوراً في استثمار رؤوس الأموال المتاحة في مشاريع صناعية ، بالاضافة الى تحديث مستمر في هذه المشاريع . وفي كثير من الأحيان يكون المساهمون من ذوي الدخل المحدود ، مما يؤدي الى عدم القدرة على منافسة الصناعة الاسرائيلية وقد استطاعت بعض مصانع الضفة الغربية الصمود أمام هذه المنافسة بسبب رأسمالها الضخم الذي ساعد في تطوير وتحديث الاجهزة والمعدات بالاضافة الى القدرة على تخفيض قيمة المبيعات حسب متطلبات السوق . إلا أن امكانية الاستثمارات الكبيرة في الضفة الغربية تظل محدودة ، بعكس ما هو قائم في اسرائيل . كما أن الصناعة الاسرائيلية تتمتع بدعم السلطات الحكومية لها ، في الوقت الذي تفتقر صناعة الضفة الى أي دعم أو تشجيع .

الجدول رقم ١٠

أهم المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية للفروع المختلفة من حيث رأس المال والملكية حتى العام ١٩٧٩ .

الفرع	المؤسسة	رأس المال الحالي بالدينار الأردني	الملكية	عدد المساهمين	سنة التأسيس
المواد الغذائية والدخان	شركة الصناعات الزراعية (قسم البندورة)	٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	٢	١٩٥٢
	شركة الصناعات الزراعية (قسم الزيوت)	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٣
	مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	٨٤,٠٠٠	شركة عادية	٢٠	١٩٧٧
	شركة معكرونة الغزال	٥٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٣
	مخبز شحادة الحديث	٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٣٠
	مصنع الجبشة للشوكولاته	١٠٠,٠٠٠	—	—	١٩٦١
	شركة الزيوت النباتية	٥٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٣٠٠٠	١٩٥٢
	مصنع الاصدقاء للبسكوت	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	٦	١٩٧٨
	شركة مصنع سلفانا	—	شركة خاصة	—	١٩٥٤
	شركة السجائر العالمية	١,٠٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة عامة	—	١٩٧٤
	شركة سجائر القدس المساهمة	١,٥٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٢٠٠٠	١٩٦٤
النسيج والتريكو والملابس والخياطة	مصنع الاقصى للنسيج	—	مؤسسة خاصة	٢	١٩٤٤
	مصنع عزات ادعيبس للنسيج	١٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٧٨
	مصنع العشي للنسيج والتطبيع	٢٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٧٢
	شركة أوبي جي للنسيج	٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٦
	شركة النسيج الوطنية	١٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٣
	مصنع نسيج وخياطة قمصية	—	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٨
	مصنع سليم ناصر للاقمشة والمناشف	٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	٤	١٩٦٥
	مصنع نجيب ناصر	—	مؤسسة خاصة	٢	١٩٣٧

	مصنع اسكندر قمر	—	شركة خاصة	—	١٩٥٢
الجلود	مصنع شمس الدين الزعتري للدباغة	٤٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	قبل ١٩٦٧
أثاث ومفروشات	شركة مصانع معايعة للموبيليا	٣٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٥
	مصنع البندك للاسرة		مؤسسة خاصة	—	—
المنتجات الكيماوية	مصنع المطاط الحديث والسيلسيون	٣٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٣
المطاط والبلاستيك الاسفنج الدهان والأدوية)	مصنع دهان يونفرسال	٢٥,٠٠٠	شركة مساهمة	٨	١٩٧٢
	مصانع شركة الصناعة العربية	١,٠٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٢٠	١٩٧٢
	شركة المنتوحات الكيماوية	١٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	٣	١٩٦٧
	شركة البلاستيك الأردنية	٥,٠٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٧
	شركة ملحيس للصناعة والتجارة	—	شركة خاصة	٧	—
	شركة رباح لصناعة الاسفنج	٨٠,٠٠٠	شركة مساهمة محدودة	٤	١٩٧٧
	شركة المصنع الكيماوي الأردني	٦٧,٠٠٠	شركة مساهمة	٤٢	١٩٦٨
	شركة بيرزيت لصناعة الأدوية	٣٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة	١٠٠	١٩٧٤
	مصنع شركة فلسطين لصناعة الأدوية	٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٥٠	١٩٦٩
	مصنع بلسم لصناعة الادوية	٣٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة محدودة	٢٥	١٩٧٠
	شركة جاما للمواد الكيماوية	٥٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	٥	١٩٧٩
	شركة القدس للمستحضرات الطبية	٣٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة عامة	١٠٠	١٩٦٧
	شركة السختيان اخوان	—	شركة خاصة	٣	١٩٧١
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	٢٦,٠٠٠	شركة خاصة	٤٠	١٩٧٢
	الشركة العربية للأعلاف	١٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٧٧
	شركة فلسطين للأعلاف	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٧٠
	الشركة الوطنية للأعلاف	٢٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	٣	١٩٧٧

منتجات غير معدنية	مصنع أوهنسيان للورق	—	شركة خاصة	—	—
	مصنع البلاط للضفتين	٢٥,٠٠٠	شركة مساهمة	—	١٩٧٦
منتجات معدنية	مصنع الالكترود	٧٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة عامة	٢١٢	١٩٧٣
	مصنع سلك الجلي/الخليل	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٤
	مصنع رويال لصناعة السخانات الشمسية	٢٠,٠٠	شركة خاصة		١٩٧٨
	شركة نيروخ لصناعة القبانات	—	شركة خاصة	٤	١٩٥٣
	شركة جنين الزراعية (التنك)	٢٠٠,٠٠	شركة مساهمة عامة	٤٠٠	١٩٧٠
	مصنع أبو عيطة لشصيات الفلورسنت	٢٠,٠٠٠	شركة خاصة	٤	١٩٧٠
	شركة مصانع التنك / نابلس		شركة مساهمة خاصة	٥٠	١٩٥٦
	مصنع انتاج قطع معدنية	٢٥,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٤

الضرائب والجمارك

لا تنتهج السلطات الاسرائيلية سياسة معلنة ضد تطوير اقتصاد الضفة الغربية ، ولكن كما بينا سابقا ، فانها تعمل بكافة الوسائل باتجاه ضربه وتكييفه حسب احتياجاتها في القطاعات المختلفة . ورغم أنه طوال السنوات التسع الأولى من الاحتلال ، ثم تطبيق قانون الضرائب الأردني على الضفة الغربية ، الا أن تفاقم الأزمة الاقتصادية في اسرائيل واستمرار الوضع الناجم عن حرب تشرين ، أدى الى عجز في الموازنة بلغ حوالى ٤ مليارات دولار سنويا[٣٦]، عدا عن الديون القومية الخارجية التي تجاوزت ١٤ مليار دولار . وقد أدى هذا الوضع الى بحث السلطات الاسرائيلية في سنة ١٩٧٦ عن بدائل لتغطية هذا العجز . واعتبرت الضرائب البديل الامثل الذي يحقق هذا الهدف وفي نفس الوقت يحول دون ارتفاع الأسعار ، أو البطالة . فاستحدثت الضريبة الاضافية التي تعني عمليا ارتفاع السلع للمستهلك . وقد استلزم تطبيق هذه الضريبة في الضفة الغربية ، تعديل قانون الضرائب الأردني المعمول به حتى ذلك الوقت . وقد بدء العمل بالقانون الجديد في أول تموز سنة ١٩٧٦ [٣٧] ، مما أدى الى اضرابات في بعض مصانع الضفة الغربية مثل مصنع الكبريت في نابلس[٣٨] ، ومصانع الأحذية في الخليل[٣٩] . بالاضافة الى موجة من التظاهرات عمت كافة أنحاء الضفة الغربية . وكانت حصيلة ضريبة القيمة الاضافية في الأشهر الستة الأولى من سنة ١٩٧٧ ، ما قيمته ٢٤ مليون ليرة اسرائيلية[٤٠] . في حين استحدثت هذه الضريبة لاستيفاء مبلغ اجمالي قدره ٢,٥ مليار ليرة اسرائيلية[٤١] . وهذا يعادل قيمة صادرات الضفة الغربية تقريبا للعام ١٩٧٨ ، الأمر الذي يدل

على مدى الاستغلال الذي يتعرض له السكان في الضفة الغربية .

وقد أثار اجتماع الصناعيين المنعقد في الضفة الغربية ، بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢١ ، معوقات السياسة الضرائبية للتطور الصناعي ، حيث يجمع من الضرائب الصناعية فقط لأحد مكاتب الجمارك في الضفة الغربية ، حوالى ١٦ مليون ليرة شهرياً(٤٢) .

وتفرض هذه الضريبة على جميع الصفقات ، سواء كانت بيع أو شراء ، استيراد أو تقديم خدمات . وتسري على جميع المعاملات التجارية في كل مرحلة من مراحل الانتاج والتسويق ، من بدء الاستيرادوحتى بيع المفرق.وعندما بدىءالعمل بهذه الضريبةغير المباشرة،كانت تفرض بنسبة٨٪ على البضائع والخدمات والمواد المستوردة ، وبنسبة ٦ ٪ على اجور المؤسسات المالية وأرباحها ، ونسبة ٣٪ على المؤسسات التي لا تجني أرباحاً . إلا أن هذه النسب ما لبثت ان وصلت حسب قرار الحكومة الاسرائيلية في ٧٧/١١/٢٨ الى ٩٪ ، ١٢٪ و ٥٪ على التوالي(٤٣).

وقد أدى تطبيق هذه الضريبة الى ارتفاع أسعار الكهرباء ، والماء ، والوقود ، والسكن ، والسلع المستوردة ، والمنتوجات الصناعية المحلية . ويتولى جباية هذه الضريبة من المستهلك التجار وأرباب العمل .

وبالاضافة الى الضريبة المذكورة ، تفرض السلطات الاسرائيلية جمارك على ما يستورد من بضائع ، وذلك في محاولة لاغلاق باب الاستيراد أمام المصانع العربية ، فاذا ما أخذ بعين الاعتبار قيمة الشحن وتخليص البضائع ، تصبح قيمة ما يدفع من اجل استيراد بضاعة ما ، مساوية لثمنها . وعلى سبيل المثال ، فان مصنع الأقمصى للنسيج يستورد مواده الخام عبر حيفا وتبلغ قيمة تكلفة الاستيراد من ثمن البضاعة كما يلي . ٧٠٪ جمارك ، وهذه تتضمن قيمة الضريبة الاضافية ، ٢٠٪ ثمن شحن ، ١٠ ٪ مقابل تخليص البضاعة . وتبلغ قيمة الضريبة الاضافية المستوفاة من هذا المصنع ما بين ٢٥ ــ ٣٠ ألف ليرة اسرائيلية سنوياً . وفي مصنعي سنقرط والعشي للنسيج تبلغ قيمتها حوالى ٢٠,٠٠٠ ليرة لكل منهما .

وفي شركة سجائر القدس المساهمة المحدودة ، يظهر بوضوح حجم المكوس والضرائب الباهظة التي تستوفيها السلطات الاسرائيلية من مصانع الضفة الغربية . فمثلا ، يستوفى ٦٥٪ من قيمة المبيعات كمكوس ، و ٣٨ ٪ من أرباح الشركة كضريبة دخل ، و ١٥ ٪ من قيمة المواد الخام المستوردة ، عدا عن استيفاء نسبة معينة على كل كغم من التبغ المستورد . بالاضافة الى قيمة الضريبة الاضافية .

وتجنبا لعقبات الاستيراد والتصدير ، يلجأ كثير من أصحاب المصانع الى وسطاء اسرائيليين للقيام بالاجراءات اللازمة ، مما يدفع المصانع العربية باستمرار لمزيد من التبعية للشركات الاسرائيلية . وتظل الصناعة في الضفة الغربية مهددة باستمرار بقرارات جديدة تمليها السلطات الاسرائيلية . ولذلك فان فئة أرباب المصانع تعيش في خوف مستمر ، فهي مهددة في كل لحظة بالافلاس . ورغم ما يمكن أن يقال عن اعتمادها على الاقتصاد الاسرائيلي وارتباطها به ، إلا أن ذلك الارتباط تمليه الضرورة أكثر مما تمليه المنفعة . وهي تختلف عن فئة الوسطاء التجاريين الذين لا يملكون شيئا في الضفة الغربية ، ويعتمدون بشكل أساسي على الشركات الاسرائيلية في استيراد المنتوجات التي تحتاجها الضفة الغربية . وهؤلاء عادة قلة . وهم مستفيدون من وجود الاحتلال . أما فئة أرباب المصانع ، فلا تتضرر بزواله ، فلها ما تملكه من مصانع ، وتستطيع استيراد ما تريد من مواد خام دون عراقيل . وهي رغم أنها تستوفي ما تدفعه من ضرائب ومكوس من المستهلك ،إلا أن ذلك يعني ارتفاع تكلفة المنتوجات الصناعية ، وبيعها بأسعار مرتفعة ، مما يجعلها أضعف في المنافسة أمام مثيلاتها من المنتوجات الاسرائيلية المدعومة من قبل السلطات الحكومية .

الخبرة الفنية

تفتقر معظم مصانع الضفة الغربية الى الخبرة الفنية الضرورية لتطوير الانتاج ، رغم ارتفاع نسبة الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا . إلا أنه من الواضح أن معظم هؤلاء لا يستطيعون العمل في الضفة الغربية خاصة وان تعليمهم في الغالب أكاديمي . وفي الواقع فان تطور مصانع الأدوية بالشكل الذي أوضحناه ، عائد أساسا الى توفر الصيادلة هناك ، كما أن التطور الذي حصل في شركة السجائر العالمية بعد خسارة مستمرة ناتج عن الاستعانة بالخبرة الفنية المتوفرة لدى شركة سجائر القدس . كما أن التطور الذي حصل لدى الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف عائد الى وجود خبير فني متخصص يعمل كمدير للمصنع وله ٥٠ ٪ من رأسماله . وعلى خلاف مصنع سنقرط للنسيج الذي يتميز بعدم وجود أية خبرة فنية لدى أصحابه ، يبرز مصنع العشي للنسيج والتطبيع نتيجة لوجود خبرات فنية وادارية ، تساهم باستمرار في تطوير الانتاج . ويعود السبب في صمود بعض الصناعات أمام المنافسة الاسرائيلية لتوفر الخبرة الفنية الضرورية لتحسين الانتاج . مثل البلاستيك ، والالكترود . وتعاني مصانع الجلود والدباغة والخزف من نقص في الخبرة الفنية ولذلك لم يحصل فيها أي تطوير .

وقد طرحت جامعة بيرزيت امكانية تطوير مصنع المطاط الحديث والسيلسيون عن طريق اجراء التجارب الكيماوية الضرورية لذلك . ويمكن لهذه الجامعة أن تقوم بحل جزئي لمشكلة النقص في الخبرة الفنية ، خاصة في مجال الصناعة الكيماوية .

ولا يقتصر النقص في الخبرة الفنيه اللازمة لتطوير الانتاج انما يتعداه للايدي العامله الفنية في المصانع في مختلف الاختصاصات . وذلك بسبب الهجرة الى الخارج خاصه بعد سنه ١٩٧٣ . حيث أدى انخفاض الليرة الاسرائيلية المستمر وبالتالي ارتفاع الأسعار الى تضرر كثير من السكان خاصة عمال مصانع الضفة الغربية ، في الوقت الذي بلغ معدل الأجور للعمال في الأردن أكثر من ضعفي المعطى في الضفة الغربية . الأمر الذي دفعهم الى البحث عن ظروف عمل أفضل . كما توجه الكثير من العمال الفنيين الى دول الخليج للعمل هناك ، خاصة بعد قدوم مندوبين لشركات في هذه الدول لتوقيع عقود عمل مع العمال في الضفة الغربية . وقد ساعدت السلطات الاسرائيليه هذه الهجرة عن طريق منح حرية الحركة للعمال عبر الجسور ، كما لم تعارض السلطات الأردنية هذه الهجرة باستثناء بعض الاجراءات الشكلية .

لذلك يبقى الحديث عن التأهيل المهني للعمال لا معنى له دون أن يترافق ذلك مع خطة جادة لتطوير الصناعة . أما التأهيل المهني بالمطلق ، فهو في الحقيقة لا يعني سوى تهجير مزيد من الطاقة البشرية . ولذلك ليس غريباً أن تقوم السلطات الاسرائيلية بفتح مراكز للتأهيل المهني مباشرة بعد الاحتلال ، حيث كانت فترة التدريب تمتد من ثلاثة أشهر إلى خمسة . وفيما بعد وصلت الى ١٥ شهراً. وقد تخرج من هذه المراكز حوالى ١٣,٠٠٠ مهني كما هو مبين في الجدول رقم ١١ ، يعمل معظمهم في اسرائيل .

الجدول رقم ١١

توزيع خريجي مراكز التدريب المهني في الضفة الغربية التابعة لسلطات الحكم العسكري حتى العام ١٩٧٨

	العدد
مركز التدريب المهني في بيت جالا	٧٠٠ (٤٤)
مركزالتدريب المهني في الخليل	٣٠٠٠ (٤٥)
مركزالتدريب المهني في رام الله	٥٩٠ (٤٦)
مركزالتدريب المهني في أريحا	٥٠٠ (٤٧)
مركزالتدريب المهني في نابلس	٢٥٣٧ (٤٨)
مركزالتدريب المهني في سلفيت	٨٩٤ (٤٩)
مركزالتدريب المهني في قلقيلية	٥٠٠ (٥٠)
مركزالتدريب المهني في طولكرم	١٤٤ د (٥١)
مركزالتدريب المهني في جنين	٢٤٠٠ (٥٢)
مجمـوع	١٢,٥٦٦

ومن الملاحظ أن معظم خريجي المدارس الصناعية والمهنية،الثانوية منها والعالية ، لا يعملـون في مصانـع الضفـة الغربيـة ، حيـث لا يتناسـب ما ينلقـون من تاهيل مع حاجـات هذه المصانـع . فالمواضيـع التـي تدرس هي بشـكل أساسي الخراطة والحدادة واللحام والنجارة والتنجيد والأدوات الصحية والتدفئة والراديو والتلفزيون والخياطة . حيث يتخرج معظم هؤلاء إما للعمل في اسرائيل ، أو للتوجه نحو دول الخليج . وفي أحسن الأحوال يعملون كحرفيين في الضفة الغربية ، وهؤلاء قلة . وواضح أن هناك اقبال على هذه المدارس حيث يقبل أقل من نصف عدد المتقدمين بطلبات التحاق . وهذا يدل على توجه كثير من طلاب الضفة الغربية نحو التعليم المهني . ورغم قلة عدد هذه المراكز والمدارس الخاصة بمثل هذا النوع من التعليم، إلا انها تلتقي اكثر مع احتياجات الخليج اكثر من ضرورات الضفة الغربية . ولا تساهم هذه المراكز عملياً في تطوير قطاع الانتاج الصناعي رغم حاجة هذا القطاع الملحة الى الخبرات الفنية المختلفة .

الجدول رقم ١٢

خريجي المدارس الصناعية الثانوية في الضفة الغربية منذ ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨ (٥٣)

اسـم المدرسة	المكان	عدد الخريجين
المدرسة الصناعية الثانوية	القدس	٣٤٢ (٥٤)
المدرسة الصناعية الثانوية	نابلس	٦٥١ (٥٥)
مدرسة السلزيان الثانوية الصناعية	بيت لحم	١١٨ (٥٦)
مركز التدريب المهني للاتحاد اللوثري	القدس (بيت حنينا)	٤٠٧ (٥٧)
مدرسة عبد الله بن الحسين الثانوية الصناعية	القدس	٤٩ (٥٨)
مدرسة دير دبوان الصناعية	رام الله	٢٠ (٥٩)
المدرسة الصناعية الثانوية	طولكرم	لم يتخرج أحد بعد
مجموع		١٥٨٧

الجدول رقم ١٣

الطلاب المقبولون في مراكز التدريب المهني للعام ١٩٧٨

	اسم المؤسسة	المكان	عدد الطلاب
١ـ	مركز التدريب المهني	قلنديا	٤٢٦(٦٠)
٢ـ	مركز تدريب المعلمات	الطبرة ـ رام الله	٣٥٤(٦١)
٣ـ	دار الايتام الاسلامية الصناعية	القدس	١٢٩(٦٢)
٤ـ	مدرسة جمعية الشبان المسيحيين	عقبة جبر ـ أريحا	١١٥(٦٣)
٥ـ	مدرسة البر بأبناء الشهداء	عقبة جبر ـ أريحا	١٦٥(٦٤)
٦ـ	مدرسة المشروع الانشائي العربي	أريحا	٣٨(٦٥)
٧ـ	المعهد الفني الهندسي(البوليتكنيك)	الخليل	١٠٠(٦٦)

الصناعة ومساهمتها في الانتاج المحلي الاجمالي

لم يكن للصناعة في الضفة الغربية دور مهم في الانتاج المحلي الاجمالي منذ الحاقها بالنظام الهاشمي . وذلك نتيجة للسياسة الالحاقية التي اتبعها هذا النظام في أضعاف تكوينها الاقتصادي وخاصة في هذا القطاع . فلم يتجاوز الانتاج المحلي للضفة الغربية أكثر من ٣٦ ٪ من مجمل الانتاج في الضفتين ، حيث بلغت مساهمة القطاع الصناعي في سنة ١٩٦٦ ما يعادل ٤ ٪ من اجمالي الانتاج القومي للضفتين ، كما لم تزد نسبتها من الانتاج المحلي للضفة الغربية نفسها عن ٨,٧ ٪(٦٧) . وترتفع بالمقابل نسبة مساهمة قطاع الخدمات ، حيث وصلت في ذلك العام الى ٦١٪ من الانتاج المحلي للضفة ، و ٢٢٪ من اجمالي الانتاج القومي للضفتين . ورغم أن قطاع الزراعة ساهم بحوالى ٢٦ ٪ من الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية ، إلا أنه لم يساهم بأكثر من ٨٪ من اجمالي الدخل القومي للضفتين (٦٨) .

وتشير الاحصاءات الاسرائيلية الى أن الناتج المحلي الاجمالي للضفة الغربية قد انخفض بعد الاحتلال مباشرة . فبعد أن كان في سنة ١٩٦٦ حوالى ١٦٦ مليون دولار(٦٩) ، أصبح في سنة ١٩٦٨ حوالى ٣٣٣ مليون ليرة اسرائيلية أي ما يعادل ٩٥ مليون دولار(٧٠) . ونتيجة لتوقف المساعدات الخارجية بسبب ظروف الحرب فقد كان الناتج القومي الاجمالي لا يزيد عن ٣٤٤ مليون ليرة اسرائيلية في تلك السنة(٧١) . وترتفع نسبة الفارق بين الناتج القومي الاجمالي والناتج المحلي الاجمالي بعد ذلك بسبب زيادة العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل . وقد بلغت قيمة الناتج المحلي في سنة ١٩٧٧ ، حسب أسعار سنة ١٩٦٨ كما يبين الجدول رقم ١٤ ، ٧٥٣ مليون ليرة اسرائيلية ، أي ما يعادل ٢١٥ مليون دولار . وهذا النمو عائد الى ارتفاع مساهمة قطاع البناء ، الذي أدى الى زيادة سنوية في الانتاج المحلي تعادل حوالى ٥ ملايين دولار .

الجدول رقم ١٤

الانتاج القومي الاجمالي والمحلي الاجمالي للضفة الغربية (بالمليون ليرة اسرائيلية) (٧٢)

السنة	حسب أسعار السوق		حسب أسعار ١٩٦٨	
	الانتاج المحلي	الانتاج القومي	الانتاج المحلي	الانتاج الاجمالي
١٩٧٢	٨٨٣	١,١٦٧	٥٧٨	٧٤٣
١٩٧٣	١,٠٤٠	١,٣٦٧	٥٧٢	٧٠٥
١٩٧٤	١,٨٦٧	٢,٣٦١	٦٨٨	٨٩٣
١٩٧٥	٢,٥١٨	٣,٣٧٨	٦٥٦	٨٨٣
١٩٧٦	٣,٧٦٥	٤,٨٥٦	٧٧٣	١,٠١٥
١٩٧٧	٤,٩٢٠	٦,٤٥٦	٧٥٣	١,٠٠٤

وقد ظلت مساهمة الصناعة في الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية تقريباً ثابتة طوال فترة الاحتلال ، كما كانت عليه قبل ذلك . ففي سنة ١٩٦٦ ، بلغت نسبتها ٨,٧ ٪ من اجمالي الانتاج المحلي . ويشير الجدول رقم ١٥ إلى أن هذه النسبة بلغت أقصاها في سنة ١٩٧١ ، وذلك بسبب حوافز التصدير للمنتجات الصناعية المصدرة للأردن والتي بلغت أقصاها في تلك السنة .

الجدول رقم ١٥

الأهمية النسبية للقطاعات الاقتصادية في الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية (بالأسعار الجارية)(٧٣)

القطاع	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
الزراعة الغابات الاسماك	٢٦,١	٣٦,٦	٤٠,٢	٣٤,٤	٣٦,٣	٣٦,٨	٣٤,٦	٤٤,٥	٣٠,٣
الصناعة	٨,٧	٨,٣	٨,٧	٩,٣	٩,٦	٨,٢	٨,٤	٨,١	٨,٤
البناء	٤,٧	٣,٥	٥,٣	٦,١	٦,٨	٨,٥	١٠,٤	١١,٣	١٥,٥
الخدمات العامة	٦٠,٥	٥١,٦	٤٥,٨	٥٠,٢	٤٧,٣	٤٦,٥	٤٦,٦	٣٦,١	٤٥,٨
مجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

وضع الصناعة والعمل النقابي

أدى التشويه الذي تعرضت له الصناعة في الضفة الغربية طوال فترة الالحاق الهاشمي وتحت ظروف الاحتلال الاسرائيلي ، الى تغليب الطابع الحرفي على هذه الصناعة . فلم تستطع استيعاب أكثر من ١٦ ٪ من القوة العاملة في الضفة الغربية كما بينا سابقاً . ورغم ما أشرنا اليه من زيادة في عدد العاملين في الضفة الغربية في قطاع الصناعة ، الا أنه لم يحدث تغيير حقيقي في بنية هذا القطاع . فالزيادة الحاصلة هي في الحقيقة في عدد النساء اللواتي يلزمن المنازل . ولم تزد كثيراً نسبة العاملين في المصانع نفسها . حيث كان حوالى ٩٠ ٪ من مؤسسات الضفة الغربية الصناعية يضم تسعة عمال أو أقل في العام ١٩٧٩(٧٤) .

وقد أدى صغر هذه المصانع وعدم التنسيق والترابط بين الصناعات المختلفة الى ضعف

وتفكك في القوة العاملة في هذا القطاع . فلا يتجاوز عدد المؤسسات التي تضم ٥٠ عاملا فاكثر ، ١٤ مؤسسة كما مر سابقا .

وقد أدى فتح المجال أمام الأيدي العاملة العربية للعمل في اسرائيل بأجور أعلى مما يعطى في الضفة الغربية الى هجرة كثير من عمال المصانع . الأمر الذي نتج عنه عدم ثبات العمال واستمراريتهم ، وزيادة الاعتماد على الاطفال والنساء . كما أن تدني نسبة العاملين بأجور والتي لم تزد في سنة ١٩٧٧ عن ٦١ ٪ ، أدى الى تداخل بين علاقات العمل والعلاقات العائلية ، مما أضعف امكانية تبلور طبقة عاملة ثابتة . وحتى في المؤسسات الكبيرة ، فمن الملاحظ أن معظم أصحاب المصانع لا يقومون بالادارة فقط ، بل يقدمون أكبر جزء ممكن من العمل اليدوي ، خاصة في الفترة التي تعقب بدء تأسيس العمل .

وقد ترك مثل هذا الوضع أثرا كبيرا على تشكيل العمال الطبقي ، وجعل امكانية تنظيمهم وتاطيرهم في نقابات أمرا صعبا . كما أن أصحاب المصانع الكبيرة يعارضون انتماء العمال الى مثل هذه النقابات تحسبا من اضرابات محتملة من أجل زيادة الأجور أو تحسين ظروف العمل . ولذلك فليس غريبا أن لا يتجاوز عدد المنتجين الى نقابات عمالية بما فيه مدينة القدس ، ٨٠٠٠ عامل(٧٥) . ويتبين من الجدو رقم ١٦ ، قلة عدد عمال المصانع المنتسبين مقارنة بغيرهم من العمال .

الجدول رقم ١٦

توزع المنتسبين للنقابات في الضفة الغربية للعام ١٩٧٩(٧٦)

اسم النقابة	البلد	عدد المنستبين
نقابة الخياطة	نابلس	٢٨
نقابة البناء	نابلس	١٥٠٠
نقابة المؤسسات	نابلس	٢٥٠٠
نقابة المطابع	نابلس	١٢٨
نقابة المخابز	نابلس	٤٩
نقابة الاحذية	نابلس	٢٦٠
نقابة سائقي السيارات	نابلس	١٠٤
نقابة الغزل والنسيج	الخليل	١٣٠
نقابة مشاغل الخليل	الخليل	٢٩٤
نقابة الخياطة	الخليل	٤٥
نقابة عمال صانعي الأحذية	الخليل	١٣٦
نقابة عمال المؤسسات	بيت لحم	٣٠٦
نقابة عمال الصيدليات	رام الله	٥٠
نقابة عمال المؤسسات	رام الله	٤٦٠
نقابة عمال المؤسسات	جنين	٤٠٢
نقابة عمال المؤسسات	طولكرم	٢٨٣
نقابة عمال المطاعم والفنادق	القدس	٧٥٠
نقابة عمال الجلود	نابلس	—
نقابة عمال السائقين والكراجات	الخليل	٢٧
نقابة شركة القدس للكهرباء	القدس	٣٥٠
نقابه مستشفى المطلع	الطور	١٥٠

ورغم حدوث بعض الاضرابات في مصانع الضفة الغربية احتجاجاً على تدني الأجور ، الا أن رؤية التناقض مع العدو الصهيوني كأساس يدفع العمال في كثير من الأحيان الى التحاور مع أصحاب المصانع والذين هم أيضاً مضطهدون من نفس العدو .

وقد عاد عمال أكثر من مصنع للعمل ليس لأن مطالبهم تحققت ، إنما عن طريق الوصول إلى حل يكفل استمرارية المصنع بالاضافة الى زيادة نسبية في أجورهم . فكما بينا هناك كثير من المصانع مهددة بالتوقف نتيجة المنافسة الاسرائيلية على سوق الضفة الغربية . بالاضافة الى أن هذه الصناعة مهددة في كل لحظة بالتوقف بقرار من السلطات الاسرائيلية . إلا أن ذلك ليس مبرراً لعدم رفع أجور العمال في معظم مصانع الضفة الغربية بشكل يضمن للعامل مستوى معيشيا مناسبا .

فرفع الاجور يعتبر عاملا هاماً في الحفاظ على القوة العاملة في المصانع ، واستمراريتها ، وبالتالي ، حفظ الطاقة البشرية من التهجير .

خاتمة

يتضح مما سبق أن الاحتلال الاسرائيلي يلعب دوراً متمماً لما أدت إليه السياسات السابقة له من أضعاف اقتصاد الضفة الغربية ، وعرقلة نمو القطاعات المنتجة فيها . وهذا ليس غريبا ، لأنه لا يمكن النظر الى نشأة اسرائيل بمعزل عن الدور الذي لعبه الاستعمار والامبريالية في تفتيت المنطقة وتقسيمها وخلق كيانات ودول تشكل أدوات طيعة ، يرتبط مبرر وجودها في خدمة الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة .

وقد انتهجت سلطات الاحتلال الاسرائيلي سياسة تؤدي الى خنق الصناعة في الضفة الغربية بكافة الوسائل والطرق الممكنة . ووضعت ، كما أشرنا في هذه الدراسة ، العراقيل أمام استيراد المواد الخام ، علما بأن كافة مصانع الضفة الغربية تعتمد على الاستيراد في بعض المواد الضرورية لها . كما فرضت الضرائب الباهظة التي تثقل كاهل أرباب المصانع . بالاضافة الى ضيق السوق المحلية وعدم توفر امكانية التصدير لمعظم المنتوجات الصناعية . وعملياً فقد تراجع كثير من الصناعات خاصة تلك التي حرمت من التصدير للأردن .

وبالمقابل نمت تلك الصناعات التي اعتمدت في تسويقها على السوق الاسرائيلية ، مثل النسيج والملابس . كما تطورت الصناعات التي يتطلبها قطاع البناء ، مثل الحجارة ، والطوب ، والبلاط ، والرخام ومناشر الحجر ، والأثاث .

ومن الملاحظ أن الصناعات التي تعتمد في الأساس على الرأسمال الكبير ، لا تتوفر لها فرص النجاح ، لأنها لا تستطيع منافسة مثيلاتها من الصناعات الاسرائيلية المدعمة من قبل السلطات . أما الصناعة التي تعتمد على العمل اليدوي المكثف فهي تحمل امكانية نجاحها ونموها . ولا تتأثر من المنافسة الاسرائيلية ، لأن قطاع الصناعة في اسرائيل يعاني من النقص في الأيدي العاملة . والتي أصبحت امكانية توفرها صعبة للتراجع المستمر في الهجرات التي تؤمن عادة مثل هذه الأيدي . ولذلك فان الشركات والمصانع الاسرائيلية تلجأ إلى استغلال « العمل العربي » لتوفير الأيدي العاملة الضرورية ليس للصناعة فقط ، بل للزراعة والبناء . وبعد أن استنفدت هذه الشركات الأيدي العاملة من الذكور ، توجهت للاناث . ويبلغ عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل حسب الاحصاءات الاسرائيلية ٣٦ ٠٠٠ عامل(٧٧) . ومثل هذا العدد تقريباً يعمل بطرق غير رسمية عدا عن العاملين في الضفة الغربية نفسها لصالح

الشركات الاسرائيلية . وفي الواقع فان العمل في اسرائيل يستقطب هذا العدد الضخم من العمال العرب ليس بسبب ارتفاع الأجور فقط مقارنة بما يدفع بالضفة الغربية ، فقد أشرنا في السابق إلى ان الفارق بين الأجور أصبح بسيطا جداً مقارنة بالسابق ، إنما بسبب عدم توفر امكانية العمل في الضفة الغربية فالعمال العرب يفضلون البقاء في الضفة على العمل باسرائيل حتى بأجور أقل فيما اذا توفر عمل ثابت ودائم ، خاصة وان معظم العاملين بطرق غير رسمية يعملون بشكل موسمي وغير دائم ، وبالتالي يعانون من بطالة حقيقية ، كما أن العمال العرب إذ يعملون في الضفة الغربية يوفرون الوقت الذي يصرف في التنقل بالاضافة الى نفقات السفر . عدا عن الشعور بالأمن الذي يفتقد أثناء العمل في اسرائيل . ولذلك تصبح ضرورة ملحة مسألة ايجاد فرص عمل جديدة في الضفة الغربية تستوعب الطاقة البشرية العاملة في اسرائيل . ومن هنا تأتي أهمية انشاء مصانع جديدة تعتمد على العمل اليدوي المكثف لاستقطاب أكبر عدد ممكن من القوة العاملة ، وبالتالي الاستفادة من الطاقة البشرية المستثمرة من قبل العدو .

(١) كان مجموع ما يصدر للأردن في سنة ١٩٦٦ يقدر بحوالى ٢ مليون دينار ، أما ما يستورد منه فيبلغ حوالى ٤ ملايين دينار . جميل هلال ، **الضفة الغربية والتركيب الاجتماعي والاقتصادي (١٩٤٧ ــ ١٩٤٨)** بيروت ، مركز الابحاث ، ص ١٦١ .

(٢) الارقام من سنه ١٩٧٢ وحتى سنـه ١٩٧٤ مستخرجة من *Statistical Abstract of Israel* 1975, table xxi vol 12, p. 693.
اما الارقام من سنة ١٩٧٥ وحتى سنة ١٩٧٧ فمن *Administered Torritories Statistics Quarterly* (Jerusalem 1978) vol 2, table Cii. p. 6, والارقام لسنة ١٩٧٨ فمن *Admistered Torritories* vol 4, table C-1. p. 6.

(٣) بلغت قيمة الصادرات الزراعية في سنة ١٩٦٦ حوالى ١,٦ مليون دينار . هلال ، **مصدر سبق ذكره .**

(٤) كانت قيمة صادرات الضفة الغربية في تلك العام حوالى ٤ ملايين دينار أردني ، أما وارداتها فقد كانت ٢٤ مليون دينار . **المصدر نفسه .**

(٥) *Administened Territories, n o 2.* table C-9, p. 19, and N°. 4, table C-9. p. 19.

(٦) *Administered torritories* N°. 4. table C-9. p. 10.

(٧) اقتصاديات المناطق ... ، **مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ .**

(٨) *Administered tarritories* N° 4, 1978 Table C-5. p. 15.

(٩) ينتج المصنع بالاضافة الى السمنة ، المرجرين ! وعلب التنك اللازمة للتعبئة .

(١٠) *Administered Torritories*, N° 4.

(١١) قدمت اسرائيل مكافأة تشجيعية لجميع صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاردن ، خاصة المنتوجات الصناعية ، ووصلت في اب ١٩٧٠ الى ٣٠ ٪ من قيمة هذه الصادرات ، إذا ما أودعت حصليتها بالدينار الأردني في البنوك الاسرائيلية . وذلك بغية اجتذاب الدينار الاردني الذي يعتبر عملة صعبة لثبات قيمته مقارنـة باللـيرة الاسرائيلية . هلال ، **مصدر سبق ذكره ،** ص ٢٢٠ .

(١٢) **الفلسطينيون في الوطن العربي ،** القاهـرة ، جامعة الدول العربية ١٩٧٨ ، جدول رقم ١٦ ، ص ٣٥٠ ، وهلال ، **مصدر سبق ذكره ،** ص ٢٢١ ،
Sheila Ryan, *«Israel Economic Policy in the Occupied Areas»* MERIP (Wachington D. C) 1974, No. 24.

(١٣) ينتج هذا المصنع حوالي ٢٥ نوعا من الشوكولاتة والتوفي والبسكويت وغيرها .

(١٤) يقوم المصنع بالاضافة الى تعليب البندورة ، بصنع المربيات وتعليب الخضار ، بالاضافة الى صنع علب التنك اللازمة للتعبئة .

(١٥) ينتج هذا المصنع ٤٠ نوعا من قضبان اللحام ، منها ما هو خاص بانابيب البترول .

(١٦) تقدر مبيعاته بحوالى ٥٠٠,٠٠٠ ليرة اسرائيليـة شهريا

(١٧) تقدر مبيعاته بحوالى ٥,٠٠٠ ليرة اسرائيلية يوميا .

(١٨) ينتج هذا المصنع نحو ٥٠٠ صنف من الادوات البلاستيكية ، بالاضافة الى انتاج المواد الاسفنجيـة وفرشات الزنبرك .

(١٩) *Administered territories*, N°. 4, table C-7. p. 17.

(٢٠) ينتج هذا المصنع ١٢ نوعا من المعكرونة ، ويسوق نصف انتاجه من السبجيتي في اسرائيل .

(٢١) تعتبر غزة منطقة زراعية بالدرجة الأولى ، ولكن توجد فيها بعض الشركات والمصانع الكبيرة والمهمة مثل مصانع مرتجي للكولا (ستار) ، ولسلك الجلـي ، ولتعبئة الحمضيات ، وشركة شنطي للصناعة والتجارة ،

ومصنع غزة للاعلاف ، ومصنع الهلال للسمنة ، ومصنع المبيدات الحشرية ، وشركة تعبئة سفن اب .

(٢٢) تنتج شركة بيرزيت نحو ٩٠ صنفا من الأدوية ، وشركة بلسم حوالى ١٠٠ صنفا . وشركة القدس للمستحضرات الطبية ، ١٠٠ صنفا . وشركة فلسطين ، ١٣٠ صنفا ، أما المصنع الكيماوي فينتج ٩٠ صنفا .

(٢٣) ينتج مصنع شركة الصناعات العربية الاصناف التالية . ٣ أنواع من مسحوق الصابون للغسيل ، يدوي وأتوماتيك ، وشامبو للشعر ، وسائل للغسيل البيتي ، وصابون للجسم على شكل شامبو ، وكلور . أما مصنع المنتوجات الكيماوية فينتج مواد التنظيف ، مبيضات الغسيل ، والصابون السائل، والمعجون وكلور ، وصابون لتنظيف البلاط ، شامبو .

(٢٤) تبلغ انتاجية مصنع نابلس ، ٥ الاف تنكة يوميا ، أما مصنع جنين فيصل الى ٣ الاف تنكة .

(٢٥) تنتج شركة سجائر القدس ٦ أنواع من السجائر ، أما شركة السجائر العالمية فتنتج ٧ أنواع .

(٢٦) تقوم السلطات الاسرائيلية بدعم الصناعة الاسرائيلية من حيث رأس المال وقروض بفوائد قليلة ،

(٢٧) الدرجة من حيث الضخامة في الانتاج والجودة .

(٢٨) من ايطاليا واسبانيا بالدرجة الأولى ، ثم من اليونان وقبرص .

(٢٩) سنغافورة ، ماليزيا ، الملايو .

(٣٠) **الطليعة** ، القدس ٣١ اب ، ١٩٧٨ .

(٣١) **المصدر نفسه** ، ١١ أذار ، ١٩٧٩ .

(٣٢) **المصدر نفسه** ، ٤ أيلول ، ١٩٧٨ .

(٣٣) **المصدر نفسه** ، ١١ أذار ، ١٩٧٩ .

(٣٤) بدأت شركة المستحضرات الطبية عملها كشركة خاصة من ٣ أشخاص ، ثم تحولت الى شركة مساهمة خاصة . وفي سنة ١٩٧٨ أصبحت مساهمة عامة . كما بدأت شركة بيرزيت لصناعة الأدوية سنة ١٩٧٤ كشركة مساهمة خاصة ، ثم تحولت الى مساهمة عامة بلغ عدد المساهمين فيها ١٠٠ شخص . كما بدأت شركة بلسم عملها كمصنع بسيط سنة ١٩٧١ ، وتحولت في سنة ١٩٧٤ الى شركة مساهمة محدودة ثم الى مساهمة عامة في سنة ١٩٧٤ ، يساهم بها ١٠٥ أشخاص .

(٣٥) تأسس في سنة ١٩٧٣ كشركة عادية تضم ٢٠ شخصا ثم تحول الى شركة خاصة مساهمة ثم الى مساهمة عامة بلغ عدد المساهمين فيها ٢١٢ شخصا .

(٣٦) من تصريح لوزير المال في ذلك الوقت ، يهو شواع رابينوفيش ، في مقابلة نشرتها دافار في ٧٦/٩/١٠ . **نشره م . د . ف** ، ٧٦/١٢/١٦ ، عدد ٢٤ ، ص ٤٦٩ .

(٣٧) **المصدر نفسه** .

(٣٨) **الدستور** ، عمان ٣ كانون الثاني سنة ١٩٧٨ .

(٣٩) **الطليعة** . ٢٥ كانون الثاني ، سنة ١٩٧٩ .

(٤٠) **الدستور** ، ٣٠ تموز سنة ١٩٧٧ .

(٤١) **نشرة م . د . ف** ، ٧٦/١٢/١ ، عدد ٢٠ – ٢٣ ، ص ٨١١ .

(٤٢) **الطليعة** ، ١ أذار سنة ١٩٧٩ .

(٤٣) **نشرة م . د . ف** ، ١٩٧٦/١٢/١ ، عدد ٢٠ – ٢٣ ، ص ٨١١ . وصحيفة **القبس** ، ٨ نيسان ١٩٧٨ .

(٤٤) يدرس في هذا المركز بالاضافة الى ما ذكر حول المراكز الأخرى ، صناعة خشب الزيتون والخياطة ، **المصدر نفسه** ص ٢٥ .

(٤٥) حسن القيق ، **التعليم الصناعي في الضفة الغربية** ، القدس ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥ .

(٤٦) تدرس مادة الخياطة والتطريز . **المصدر نفسه** ، ص ٢٦ .

(٤٧) تدرس مادة الحدادة واللحام بالاضافة الى الخياطة ، **المصدر نفسه** .

(٤٨) تدرس النجارة والخياطة والصوف والتبليط والطوبار والنجارة . **المصدر نفسه** .

(٤٩) تدرس مادة الحدادة واللحام والتبليط والطوبار . **المصدر نفسه** ، ص ٢٧ .

(٥٠) يدرس الطوبار والخياطة . **المصدر نفسه** ، ص ٢٨ .

(٥١) يدرس النجارة والتبليط والطوبار والخياطة ، **المصدر نفسه** .

(٥٢) تدرس النجارة والتبليط والطوبار والخياطة . **المصدر نفسه** ، ص ٢٩ .

(٥٣) يتم تدريس المواضيع التالية في هذه المدارس . الخراطة والتسوية، الحدادة واللحام ، النجارة ، التنجيد والديكور ، الادوات الصحية والتدفئة المركزية ، الراديو والتلفزيون ، الكهرباء ، السيارات .

(٥٤) المدرسة الوحيدة التي تأسست بعد الاحتلال هي في طولكرم ، سنة ١٩٧٦ ، أما كافة المدارس الأخرى قبل الاحتلال ، وقد كانت مدرستا عبد الله بن الحسين ، ودير دبوان مركزين للنشاط الصناعي في المرحلة الاعدادية ، وتحولت فيما بعد الى مدرسة ثانوية .

(٥٥) يتقدم للمدرسة ٤٠٠ طالب كل سنة ، يقبل منهم ١٢٠ – ١٤٠ فقط . القيق ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨١٧

(٥٦) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ٣٠٠ طالب يقبل منهم ١٣٠ فقط ، **المصدر نفسه** ، ص ٩ ، ١٠ .

(٥٧) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ١٠٠ طالب يقبل منهم ٥٠ فقط ، **المصدر نفسه** ، ص ١٠ ، ١١ .

(٥٨) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ٢٥٠ طالب يقبل منهم ٥٠ فقط . **المصدر نفسه** ، ص ١١ ، ١٢ .

(٥٩) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ١١٠ طلاب يقبل منهم ٧٠ طالبا فقط وقد تخرج أول فوج سنة ٧٧ . **المصدر نفسه** ، ص ١٦ .

(٦٠) بلغ عدد الخريجين منذ تأسيس المعهد سنة ١٩٥٣ ، ٣٨٢٨ طالبا، ويتم تدريب الطلاب بالاضافة الى التأهيل المهني ، على المهن الصناعية التي يدرب عليها في المدارس الصناعية الثانوية السالفة الذكر ، **المصدر نفسه** ، ص ١٩ .

(٦١) يتم تدريب الفتيات على الخياطة والتجميل ، بالاضافة الى المهن الطبية المساعدة ، **المصدر نفسه** ، ص ٢٠ .

(٦٢) **المصدر نفسه** ، ص ٢١ .

(٦٣) **المصدر نفسه** .

(٦٤) **المصدر نفسه** ، ص ٢٢ .

(٦٥) **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ .

(٦٦) يقبل في هذا المعهد الطلاب الذين حازوا على الشهادة الثانوية العامة بفرعيها القسم العلمي أو الصناعي ، ويعد هذا المركز الفنيين الهندسيين التطبيقيين . ولم يتخرج أحد من هذا المعهد لحداثة تأسيسه في نهاية سنة ١٩٧٨ . **المصدر نفسه** ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٦٧) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٨ و ١٤٩ .

وديع شراعية ، **التنمية الاقتصادية في الأردن** ،

القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ١٩٦٨ .

(٦٨) **المصدر نفسه .**

(٦٩) **المصدر نفسه .**

(٧٠) *S.A.I.* 1978, table xxvii-6. p. 668.

(٧١) **المصدر نفسه .**

(٧٢) **المصدر نفسه .**

(٧٣) النسب لسنة ١٩٦٦ مأخوذة من هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٨ . أما للسنوات الأخرى فمن اقتصاديات المناطق المحتلة ، **مصدر سبق ذكره** ، جدول رقم ١٣ .

(٧٤) هشام عورتاني ، **الدوافع الاقتصادية للهجرة من الضفة الغربية** ، نابلس ، جامعة النجاح ، ١٩٧٦ ص ٢ .

(٧٥) هناك ١٨ نقابة منتسبة الى اتحاد النقابات العام من مجموع ٢١ نقابة في الضفة الغربية .

(٧٦) تأسست كافة هذه النقابات قبل الاحتلال باستثناء نقابة عمال الصيدليات في رام الله التي تأسست سنة ١٩٧٨ .

(٧٧) *Administered Territories, no 2.*

منير شفيق

حرب آذار ١٩٧٨ عسكريًا

أغلق الربع الاخير من عام ١٩٧٦ مرحلة ، واذن ببدء مرحلة جديدة . وكان أبرز مؤشرات ذلك مؤتمر الرياض (١٧ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٦) ومؤتمر القاهرة (٢٥ تشرين الاول ١٩٧٦) ، اللذين اعلنا نهاية الصدام المسلح الفلسطيني ـ السوري ، وعودة الوئام السياسي بين الجانبين ، وثبتا وجود القوات السورية في لبنان تحت اسم قوات الردع العربية ، كما أكدا مجددا على اتفاقية القاهرة بين الثورة الفلسطينية والدولة اللبنانية ، وكان ذلك بمثابة التكريس او التصديق العربي الشامل لها .

كانت هذه النتائج تعني ، من الناحية السياسية ، انزال ضربة قاسية بمخطط المؤامرة الاميركية ـ الصهيونية في لبنان ، وفتح الطريق امام اعادة توحيد لبنان وتكريس عروبته . ولكن تحقيق ذلك كان يتطلب الدخول في مرحلة جديدة من الصراع السياسي والعسكري : الامر الذي اعاد الجنوب الى مكانته الاولى ، باعتباره مركز الثقل في الصراع المسلح . وكان هذا يعني الاقتراب ، اكثر فاكثر ، من نقطة الصدام المباشر مع العدو الصهيوني .

ولهذا ، ما ان عقدت اتفاقيتا الرياض والقاهرة ، وتم التاكد من انهما ستجدان طريقهما الى التطبيق ، ولو جزئيا ، حتى بدأ الجيب العميل في الجنوب يتصدر الواجهة من جهة الدور الذي راح يلعبه ، او على الاصح ، من جهة الدور الذي انيط به . وهكذا ، بدأ عمليات واسعة للسيطرة على المزيد من القرى الجنوبية الحدودية .

الاندفاع جنوبا

التقطت قيادة الثورة الفلسطينية ، بسرعة ، الاتجاه الجديد للصراع : فاندفعت بقواتها جنوبا، ودون ان تاخذ فترة، ولو قصيرة ، لتلأم جراحها وتلتقط انفاسها ويجب التذكر هنا ان هذا الاتجاه الجديد الصائب ، بعيد النظر ، كما اثبتت الاحداث ، قد شق طريقه في حينه ، وسط معارضة ظالمة اتهمته بالمغامرة ، ودعت الى المحافظة على القوى الذاتية وعدم ارسالها الى الجنوب « لئلا تصبح بين المطرقة والسندان » . كانت تلك المعارضة تعيش مرحلة ١٩٧٥ ـ

١٩٧٦ ، وقد صعبت عليها رؤية سمات المرحلة الجديدة : الأمر الذي يسمح بالقول ان القيادة العامة لقوات العاصفة كانت سترتكب خطأ فادحا تنجم عنه كارثة لو انها استمعت الى تلك الموضوعات، او رضخت لضغوطها . ذلك ان الجنوب كان سيقع ، حتما ، فريسة سهلة للخائن سعد حداد ، او على الاصح ، كان سيصبح تحت الاحتلال الصهيوني المباشر تظلله يافطة « لبنانية » : لانه من غير الممكن توقف ذلك التمدد السرطاني ما لم تندفع القوات جنوبا ، وبكل ثقلها ، لمواجهته ، وردعه .

لم يكن القرار بدفع القوات جنوبا قرارا مغامرا ، او مجرد قيام بالواجب القومي . لقد كان يستند الى شفافية وعمق في الرؤية السياسية لمجمل الاوضاع العامة في لبنان والمنطقة والعالم . وقد اثبتت الوقائع العملية ان ذلك التحرك العسكري قد نجح في وقف التدهور وحصر الجيب العميل . وبالطبع ما كان له ان ينجح في ذلك لولا صواب رؤيته السياسية ودقة تقديره للموقف السياسي العام .

لقد اثبتت تلك التجربة ، مرة اخرى ، ان العمل العسكري في الظروف الفلسطينية واللبنانية لا يكون ناجحا الا في ظل تقدير سديد للموقف السياسي العام ، لأن هذا التقدير هو الذي يسمح بتنظيم الخطوات العسكرية من جهة الهجوم والدفاع او من جهة المكان والزمان . بل اثبتت الوقائع ان المقاتل الفلسطيني والمقاتل الوطني اللبناني تتضاعف قدراتهما القتالية ومعنوياتهما حين يتخلصان من التقدير السياسي المتشائم السوداوي لاوضاع تحمل في طياتها ايجابيات وظروفا مؤاتية تسمح بتحقيق مآثر ومنجزات ونجاحات على رغم ما يحيط بها ، في الوقت نفسه ، من سلبيات وظروف غير مؤاتية .

معارك ١٩٧٧

كان نزول قوات العاصفة الى الجنوب ، بعد اتفاقيتي الرياض والقاهرة، وتثبتها في المحاور الرئيسية ، يسيران في سباق مع الزمن . ولم يكن التثبت في القطاع الغربي او الاوسط او الشرقي ، عملا بسيطا وميسورا ، بل احتاج ، حقيقة ، الى عزيمة الرجال ، والى المعنويات العالية في ظل القصف والمناوشات والحشود المعادية والحرب النفسية المدمرة . ولم تمض اسابيع حتى كانت القوات قد تخندقت جيدا ، وبدأت تثبت اقدامها في الأرض ، وذلك في ظل ظروف من القتال تختلف نوعيا عن ظروف حرب السنتين في الداخل اللبناني . وهكذا لم ينته عام ١٩٧٦ او يبدأ عام ١٩٧٧ ، حتى كان الجنوب ، في اغلبه ، بيد القوات الفلسطينية ـ اللبنانية المشتركة ، وانحصرت مناطق سعد حداد في جيبين : الاول محور رميش ـ عين ابل : والثاني القليعة ـ مرجعيون ، وكان قاطع بنت جبيل يفصل بين الجيبين : مما جعله في المرحلة القادمة ، احد المحاور الاكثر اهمية في حرب سعد حداد ضد قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية والشعبية اللبنانية . وقد شكلت المحافظة عليه والحيلولة دون سقوطه بيد القوات العميلة أحد الأسباب الرئيسية لحرب الجنوب فيما بعد ، وذلك لأهميته بالنسبة للخطة الصهيونية ـ الاميركية . بل سنرى ، فيما بعد ، انه المكسب الوحيد الذي اصرت القوات الصهيونية على الاحتفاظ به بعد اضطرارها للانسحاب من المناطق التي احتلت في حرب اذار ١٩٧٨ .

كان النصف الاول من عـام ١٩٧٧ مسرحا لاشد المعارك التي انتهت بكسر شوكة

الهجمات العامة التي شنتها قوات الانعزاليين . فقد شهدت تلك المرحلة معارك هامة في بلدة الخيام ونواحيها ، ثم اوقف الهجوم العام الذي شن للسيطرة على عقدة ابل السقي . وهو أمر ، لو تم ، كان يعني سقوط القطاع الشرقي . ولكن بطولة قوات العاصفة واستماتتها في الدفاع عن تلك العقدة ، بقيادة الرائد محمد علي (ابو يعقوب) الذي استشهد في تلك المعركة ، حالت دون تلك النتيجة الوخيمة ، بل ثبتت الثورة الفلسطينية في تلك الارض التي ما زالت محروسة بالفدائيين الشجعان .

أما محور بنت جبيل ــ الطيبة ــ رب ثلاثين ، فقد حمل بدوره ثقلا رئيسيا في تلك المرحلة حيث اشتركت قوات العاصفة في القطاعين الاوسط والغربي ، والجنوب عموما ، في الدفاع عن المحور : فكانت معركة تلة شلعبون التي احتلت ثم استردت في اليوم نفسه ، ثم معركة الطيبة ــ رب ثلاثين ، التي كانت عملية استردادها وتحريرها من اهم المآثر العسكرية ، خصوصا من جهة حجم القوات التي اشتركت فيها ، (وقد تألفت القوة الضاربة من مختلف كتائب قوات القسطل) ، او من جهة صواب تقدير الموقف السياسي ودقة الخطة العسكرية ، ومستوى الاداء . لقد ادت تلك المعركة الناجحة الى كسر شوكة هجوم قوات سعد حداد المعززة بالقصف والامداد الصهيونيين ، ثم انكفائها الى الدفاع بقية من عام ١٩٧٧ .

البعد السياسي لمعارك ١٩٧٧

كان لصد الهجمات اليومية ، ثم لمعارك ابل السقي وتلة شلعبون والطيبة ، بعد سياسي هام ورئيسي ، الى جانب اهمية البعد العسكري المادي . ذلك ان النجاحات في التصدي وفي اجتراح انتصارات ، قد رفعت من معنويات جماهير الجنوب وعززت تلاحمها مع الثورة الفلسطينية وضربت مؤامرة الايقاع بين الثورة الفلسطينية وجماهير الجنوب . بل يمكن القول ان المعركة السياسية في جنوب لبنان تشكل الوجه الاهم للصراع في ميدان لم يتوقف فيه القصف والقتال .

ومن هنا يمكن القول أن العمل السياسي السليم بين الجماهير ، وصحة الشعارات السياسية التي تطرح في الجنوب ، يشكلان الشرط الاساسي لاحباط المؤامرة الصهيونية ــ الاميركية ــ الانعزالية ، بل انهما شرط للصمود العسكري ، وان كانا غير مجديين الا في ظل صمود عسكري وبطولات وتضحيات . وهكذا ، تظهر تلك العلاقة المتبادلة الحية بين السياسة والقتال ، او بين العمل مع الجماهير والقتال ضد العدو . ولعل من الجدير قوله هنا انه حينما كان هنالك قتال حقيقي كان هنالك عمل سياسي سليم مع الجماهير . وحيثما كان هنالك عمل سياسي سليم مع الجماهير كان هنالك قتال حقيقي . كما ثبتت صحة هذه المقولة من جهة نقيضها : حيثما كان القتال رديئا وضعيفا ــ ربما لا قتال ــ كان العمل مع الجماهير رديئا ، او خاطئا سياسيا ، او كثير التجاوزات ، طبعا كان لكل قاعدة عامة شذوذها ، ذلك أن الذي بيده بندقية ، ويستقوي على الشعب فيطغى يكون من المؤمنين بقانون القوة والتسلط ، متعبدا في محرابهما . ولهذا ، حين يواجه عدوا اقوى منه ، او متفوقا عليه ، ينهار ويولي الادبار . اما الذي ، بيده بندقية ويحترم الشعب ، ويعمل من اجل مثل اعلى ، فلا يكون مؤمنا بقانون القوة والتسلط . ولهذا حين يواجه عدوا اقوى منه او متفوقا عليه ، يثبت في الميدان ويقاتل بشجاعة وشرف وايمان .

اجواء ما قبل حرب اذار ١٩٧٨

وهكذا دخل عام ١٩٧٨ ، وقد فشلت المؤامرة في الجنوب عسكريا وسياسيا . وبدأت مرحلة العد العكسي : الأمر الذي جعل العدو الصهيوني يستعد لشن الهجوم المضاد ، لكي يمنع تدهور قوات عملائه في الجنوب ، وليوقف تصاعد العمل العسكري والانتفاضات الشعبية في فلسطين . وليمنع تواصل الانتصارات السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا يفسر الهجوم الواسع الذي شنته قوات سعد حداد على قرية مارون الراس في ٢/٣/١٩٧٨ ، وهي قرية في رأس جبل يسيطر على بنت جبيل ويطل على الأرض الفلسطينية التي تبعد عنه مرمى بندقية . وكانت ، بسبب حساسية موقعها الاستراتيجي ، خالية من القوات المسلحة دائما : لأن الوصول اليها يعني تغيرا في ميزان القوى العسكري في القطاع الاوسط ان لم يكن على مستوى الجنوب كله .

كان من الواضح ان احتلال مارون الراس مجرد خطوة للوثوب على محور بنت جبيل ، ان لم يكن اسقاطه دون قتال . ولهذا جاء القرار من قيادة الثورة الفلسطينية بالرد الفوري ، قبل ان تتموضع القوات او تلتقط انفاسها . وبالفعل حدثت مأثرة في ذلك اليوم نفسه ، حيث شن هجوم مضاد في وضح النهار ، فاجأ القوات الانعزالية التي لم تتوقع التجرؤ على مثل هذا الهجوم فورا ونهارا ضد موقع مثل موقع مارون الراس . وسرعان ما تشتت سرية مؤللة تركت عددا من الياتها ومعداتها وجثث قتلاها وهي تلوذ بالفرار .

وبهذا انقلب الموقف في غير مصلحة العدو الصهيوني ، ناهيك عن جماعة الجيب العميل . وقد زاد الوضع خطورة بالنسبة اليهم ، حين رأوا قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية والشعبية اللبنانية تتمركزا في القرية وتباشرا عمليات التحصين والخندقة : الأمر الذي يعني ان المواجهة في تلك المنطقة اصبحت مباشرة مع المستعمرات الصهيونية .

لم يكد العدو الصهيوني يجمع اجزاء صورة الوضع الجديد حتى كانت عملية الشهيد كمال عدوان قد اندلعت في القلب ، بل في اكثر النقاط حساسية . وكانت عملية جريئة اسفرت عن معركة بطولية اسطورية اهتز لها الكيان الصهيوني من اعماقه ، وانشدت لها انظار العالم اعجابا او اندهاشا ببطولة تلك المجموعة من الفدائيين بقيادة الشهيدة دلال المغربي . فكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير . وقد سبقها تصاعد مستمر للكفاح المسلح ، وتواصل للانتفاضات الشعبية داخل الأرض المحتلة ، وهزائم للمؤامرة الصهيونية ـ الاميركية على مستوى لبنان عموما ، والجنوب خصوصا ، ثم انتصارات سياسية ودبلوماسية لمنظمة التحرير الفلسطينية على مستوى دولي، ثم عزلة خانقة لخط الاستسلام الساداتي الذي تمثل ، في حينه ، بزيارة العار للقدس ، ثم ، فيما بعد ، بتنازلاته الخيانية في كامب ديفيد ومعاهدة واشنطن . ولكن ، في المقابل ، اذا كانت هذه كلها تشكل اسبابا لشن حرب الجنوب ، فان تلك الحرب لم تات في ظروف سياسية عامة مؤاتية للعدو الصهيوني . ولعل الدليل البسيط السريع على ذلك انه لم يستطع ان يحقق مبتغاه في احتلال الجنوب حتى نهر الليطاني ، او يضع يده على مياه الليطاني ، فاضطر الى التراجع والانسحاب من القسم الاعظم من الأراضي التي احتلها في حرب اذار ١٩٧٨ ، وذلك على خلاف معظم التقديرات التي كانت تستبعد حدوث التراجع والانسحاب من الليطاني . ولهذا ، يمكن القول أن القرار الصهيوني بالحرب تم في

ظروف التراجع العام والعزلة ، وتلقي الضربات ، وضمن وضع عربي ودولي غير مؤات للتوسع والاحتلال،على الرغم من ان الجيب الانعزالي وسع مناطق سيطرته اثر تلك الحرب . فشملت قاطع بنت جبيل في القطاع الاوسط والخيام في القطاع الشرقي .

توقع الهجوم

كانت كل لحظة تمر بعد ١١ اذار ١٩٧٨ ، مرشحة لتصبح ساعة الصفر لحرب العدوان . بل ان العدو راح يحشد قواته باعداد ضخمة قرب الحدود اللبنانية منذ فجر ١٢ اذار ، ثم اخذت تتوالى المؤشرات والمعلومات ، حتى التصريحات الرسمية حول حتمية الحرب . ويبدو ان سوء الأحوال الجوية في ١٢ و ١٣ و ١٤ آذار ، هو الذي اجل موعد الهجوم الى منتصف ليلة ١٤ ــ ١٥ اذار ١٩٧٨ .

اذا كانت الحرب امراً متوقعا الى ما فوق مستوى الاحتمال المرجح ، فقد دارت النقاشات حول الخطة الصهيونية : هل سيكون هجوما شاملا على كل الواجهة يتقدم لاحتلال الجنوب حتى الليطاني ؟ هل سيبدأ بانزال وراء الخطوط ثم بعملية اطباق على القوات بعدا اغلاق طرق الانسحاب عليها ؟ هل سيأخذ شكل اختراق من اكثر من محور ، ثم تجري عمليات الالتفاف والتمشيط ؟ هل ستشمل الحرب محورين اساسيين في القطاعين الاوسط والشرقي ، بحيث يتصل جناحا الجيب العميل ، وبهذا يكون الهدف محور الطيبة ــ بنت جبيل في القطاع الاوسط ، والخيام ومحور ابل السقي في القطاع الشرقي ؟.

في الحقيقة ، لم يكن من السهل ترجيح احد الاحتمالات ، وان غلب ترجيح احتمال الحرب الواسعة على طول الواجهة حتى الليطاني ، وهو الذي حدث فعلا . اما السبب ، فكان التناقض بين ايهما سيتغلب على الآخر : غطرسة العدو وطبيعته المتعجرفة ، أم تقديره العقلاني للوضع السياسي العام . ان التقدير السياسي العام ، خصوصا ، الوضع الأميركي المتأزم وغير القادر ، في تلك المرحلة ، على تحمل صراع على مستوى احتلال شامل ، كان يفرض ان يكون الهجوم محدودا . ولكن الغطرسة والعجرفة تفرضان ردا انتقاميا شاملا ، وربما التصور ان الاحتلال الشامل يضع العدو في موقع تفاوضي اقوى بالنسبة الى وجود الثورة الفلسطينية في الجنوب ، بل في لبنان كله . ومن هنا تغلب هذا الجانب على خطة الحرب ، ولكنه ارتطم بمقاومة فلسطينية ولبنانية باسلة وشجاعة وطويلة النفس ، واستعداد لمواصلة المقاومة ، وارتطم بمعارضة عربية ودولية ضد أميركا شبه شاملة . مما فرض الانسحاب ، حقيقة خلال ثلاثة اشهر . وقد اجبرت الامبريالية الاميركية على التصويت لمصلحة الانسحاب الفوري ، ولم تكن قادرة على تغطيته في البقاء مدة اطول .

اهداف الهجوم

كان العدو الصهيوني يعلم ان قيادة الثورة الفلسطينية متأكدة من حتمية شنه لحرب واسعة . بل ربما تعمد ان يفسح لها مجال الانسحاب . وقد استمر على هذ الخط حتى بعد بدء هجومه العسكري . والدليل على ذلك انه لم ينزل قوات وراء خطوط الثورة ، واستخدم اسلوب التقدم من الواجهة باتجاه الليطاني .

من هنا يصح الاستنتاج ان العدو كان يريد انزال هزيمة سياسية ومعنوية بمنظمة

التحرير الفلسطينية وبالقوات المشتركة في الجنوب ، وذلك عن طريق دفعها ، بأرخص ثمن ، الى اخلاء الجنوب . أما هدفه الثاني ، فكان تدمير ما تبقى من القوات ، ولكن دون تعريض قواته إلى خسائر كبيرة : وهذا ما يفسر استخدامه تكتيك الاحتلال اولا بأول ، وليس تكتيك الانزال وراء الخطوط والاختراق لضرب الطوق على مسرح العمليات ، وذلك تجنبا لوضع قوات الخصم امام خيار القتال المستميت اذا رفضت الاستسلام ، وهو تكتيك اسلم عاقبة حين يغري الخصم بالهرب . اما من الجهة الاخرى فهو يسمح بتحشيد تكتيكي للقوى ضد كل موقع بنسبة ١:٢٠ (لمصلحة العدو) ، كما يؤمن سرعة في الانجاز اذا انهار الخصم ولاذ بالفرار . اما التكتيك الآخر ، فله مزايا عسكرية على مستوى العملية ككل ، خصوصا حين يدمر القوات المقابلة او يفرض الاستسلام عليها ، ولكنه مكلف جدا اذا صممت تلك القوات على المقاومة في قلب الحصار ، وهو ما يتوقعه العدو من الفدائيين والقوى الوطنية اللبنانية لحظة يجدون انفسهم امام خيار الموت او الاستسلام ، لأنهم سوف يختارون القتال حتى الشهادة . وعندئذ تطول المعارك وتزداد كلفتها .

يصح مما تقدم ، ترتيب اهداف العدو من حربه على كما يلي :

١ ــ انزال هزيمة سياسية ــ معنوية بقوات الثورة والقوى الوطنية اللبنانية ، وطردها من الجنوب الى ما وراء الليطاني .

٢ ــ فرض احتلاله وهيمنته على ارض الجنوب ، وتعميم تجربة « الجدار الطيب » حتى الليطاني ، وتحقيق اطماعه في الأرض والماء .

٣ ــ ابادة ما يمكن من القوات ضمن الاطار المذكور اعلاه .

وبهذا يكون ، في حالة النجاح ، قد زعزع مكانة الثورة الفلسطينية وهيبتها عربيا ودوليا ، ويكون قد احتل ارضا وحسن من مواقعه ومواقع الانعزاليين في لبنان ضد الثورة الفلسطينية وسوريا والحركة الوطنية والقوى الشعبية الاسلامية ، وضد الوضع العربي عموما ، ويكون قد انتقم لعملية كمال عدوان بما انزل من خسائر بقوات الثورة الفلسطينية .

هنا ايضا كان قرار القيادة الفلسطينية الصمود والتصدي وخوض الحرب حتى اخر مدى . وقد استعادت ذكريات معركة الكرامة : فكانت محاولة العدو اغراءها على الانسحاب بمثابة الدعوة لها الى حشد القوات ودفعها الى مواجهة الحرب الخامسة من اجل تسطير ملحمة بطولية تصفع غطرسة العدو الصهيوني ، وتشكل الرد على سياسة التخاذل والاستسلام .

محصلة عامة للحرب

اعلن العدو ، رسميا ، ان حملته في الجنوب ستستغرق ٢٤ ساعة ، وربما ٤٨ ساعة ، حتى يكون قد وصل الليطاني ، و « طهر » الجنوب من « المخربين » . ولكن الذي حدث انه ارتطم بمقاومة ضارية لم يتوقعها : مما جعلها حرب ثمانية ايام ، وقد انتهت بوضع الثورة الفلسطينية ندا له في المواجهة ، ودون ان يتمكن من السيطرة على مدينة صور . ثم تضافرت العوامل السياسية فأجبرته على الانسحاب . ولم يفد من كل تلك الحرب الا بتوسيع رقعة سيطرة سعد حداد على بعض الاجزاء الجديدة . ولكن حتى هذا تم ، فيما بعد ، عن طريق تواطؤ

قوات الطوارىء الدولية ، او بعض اطرافها على الاقل . إن هذه الجوانب السلبية يجب ألا تمنع من تحديد المحصلة العامة للحرب ، وهي خروج الثورة الفلسطينية أعلى شأنا على كل الاصعدة الشعبية والرسمية فلسطينيا وعربيا ودوليا ، ناهيك عن بروز الثورة الفلسطينية عسكريا ، لأول مرة ، باعتبارها ندا للعدو الصهيوني . وقد نالت ذلك من خلال قتالها المستمر ثمانية أيام بلياليها ، وانزالها خسائر فادحة بالعدو ، وتجنبها لخسائر كبيرة ، ومحافظتها على قواها الذاتية عبر القتال نفسه ، ثم مضاعفتها لجسم قواتها نتيجة تدفق المتطوعين .

ان كل ذلك يجعلنا نقطع بان العدو فشل في تحقيق اي من اهداف العملية ، بينما حققت الثورة الفلسطينية انتصاراً باهراً يصح وصفه بالكرامة او الكرامات .

العملية عسكريا

تبين مما تقدم ، ان هجوم العدو فقد عنصر المفاجأة من ناحية التحرك المباغت ، او — كما يقال — على حين غرة . بيد ان هذا لا يمنع استخدام الاساليب الأخرى لتحقيق المفاجأة بطريقة استخدام النيران او الحركة التكتيكية ، الخ .

لقد بدأ العدو ، في الدقائق الاولى بعد منتصف ليلة ١٤ — ١٥ اذار ، هجومه مستخدما القصف التمهيدي الشامل على طول الحدود . وقد اشتركت اسلحة الطيران والمدفعية والبوارج في ذلك ، ثم تحرك بمشاته لاحتلال بعض المواقع الاساسية في الظلمة الحالكة ، وقبل ساعتين من انبلاج الفجر : اي ان العدو استخدم في الهجوم ثلاثة تكتيكات ، كان اولها . بدء القتال في حلكة الظلام ، وهو ما لم يمارسه العدو من قبل بما في ذلك قصف الطيران ليلا ؛ وكان ثانيها استخدام المشاة الراجلة بدلا من الدبابات ؛ وذلك في الشحنة الاولى من الهجوم . وقد ابقى الياته في اليوم الاول بعيدة نسبيا ، واسند إليها مشاركة مباشرة محدودة ؛ وكان ثالثها عدم اللجوء الى تكتيك الاختراق ليجعل قوات القشرة تحت الحصار ، وقد قطعت طرق امدادها ، وانما استخدم تكتيك التطويق والاختراق من الخلف بالنسبة لكل موقع على انفراد ، والاحتلال اولا بأول ، وعدم ترك مواقع معادية وراءه.

يجب ان يلاحظ هنا ان استخدام هذا التكتيك بحاجة الى وقفة متأنية . فهو ، فضلا عن جوانبه التي تحمل سمة المفاجأة التي تعوض عن فقدانه للمفاجأة المتعلقة بالزمان والمكان، فانه قد يكون اسلوبا جديدا يعد العدو نفسه لاستخدامه في اية حرب عربية قادمة . فهو ، بهذا التكتيك ، مارس اسلوبا جديدا يكون قد تدرب عليه ، ثم يكون قد قوم التجربة واستخلص منها دروسا قد تفيده في حروبه القادمة . وهنا يجب ان نلاحظ ما يلي :

أ — الدقة العالية في التنسيق بين قصف الطيران والمدفعية وبين حركة المشاة . حيث لوحظ انعدام الفارق الزمني **تقريبا** بين توقف القصف وبين اقتحام المشاة للمواقع التي كانت هدفا للرمايات .

ب — كانت حركة العدو القتالية في الليل على درجة عالية من الاتقان ، بما في ذلك قصف الطيران ، وهو امر يجب ان يؤخذ بجدية ، خصوصا فيما يتعلق بالتوقيت لتحقيق المفاجأة ، او في اثناء الحرب نفسها .

جـ — التكتيك الذي استخدم في احتلال المواقع غلب عليه الالتفاف من الخلف ، حيث كان يعبر بمشاته من نقاط ميتة بين المواقع — لا يتوقع المدافع المرور منها او يكون المدافعون عنها قد

تركوها او دوهموا دون ان يشعروا ـ ومنها يخرق الموقع من خلف ، اساسا من نقطة امداده : اي كان تكتيك العدو هو القصف المركز للموقع ، وفي اثناء ذلك يتم تطويقه وتهيئة اقتحامه من خلفه . (ان المفاجاة باقتحام الموقع من خلفه غير ممكنة باستخدام الاليات ، ولكن تصبح ممكنة حين تستخدم المشاة . وقد استخدمت الكواتم في بعض المواقع للاستمرار في تحقيق مفاجاة الالتفاف) .

د ـ في اليوم الثاني والثالث والرابع غير العدو تكتيكه : حيث راح يعطي دورا اكبر للطيران والدبابات ، وذلك ، كما يبدو ، لانزعاجه من الخسائر التي لحقت به في اليومين الاول والثاني . وقد فوجيء بمقاومة لم يتوقعها : لانه هيأ كل الظروف لانسحاب المقاتلين واخلاء المواقع . ورغم ذلك ، وجد هنالك اصرارا على منازلته في مجابهة في قلب الخنادق الامامية وليس باسلوب حرب العصابات التقليدي . ولهذا ، أصبح يستخدم تكتيكا يمكن تسميته « جس النبض من اجل الاقتحام بلا مقاومة » : فقد كان يكفي ، بعد القصف الكثيف وتحرك الاليات ، ان تخرج بضع رصاصات مقاومة من قلب الموقع حتى يتوقف التقدم ويعود ليقصف بلا هوادة .

لقد فقد العدو المبادرة في هذا التكتيك ، واصبح معتمدا كليا على الاليات وعنصر النيران دون الحركة ، وهذا ما جعل تقدمه بطيئا جدا .

فوجيء العدو عند استخدامه للآليات بالالغام (م . د) التي اعترف بانها زرعت بصورة جيدة ، وانها انزلت به خسائر .

هـ ـ في الايام الخامس والسادس والسابع ، غير العدو تكتيكه للمرة الثالثة ، حيث اصبح اكثر عزما في التقدم ، واكثر استعدادا لتقبل الخسائر ، فلم يعد يتوقف عندما تعطب اليه من الياته ، وإنما اصبح يتركها ، ويواصل التقدم ، كما اصبح على استعداد لان يترك وراءه بعض المواقع . ان الايام الثلاثة الاخيرة كانت سباقا مع الزمن ، من اجل الوصول الى الليطاني ومدينة صور : انها الايام التي حاول ان ينقذ فيها هيبة جيشه الذي اضطر ان يتقدم بسرعة السلحفاة في مواجهة قوات يتفوق عليها عدديا بسبعة اضعاف على الاقل ، بحسب تقديراته . فهو يقدر قوات الفدائيين بسبعة الاف ، وقواته التي شاركت في الهجوم بـ ٣٥ الفا ، دون حساب الفروق في قوة النيران والاليات والطيران والتكنولوجيا والتدريب واللوجستيقا ، وهي فروق بعشرات المرات . اما بالنسبة الى الموقع الواحد ، فكان الفرق لا يقل عن نسبة ١٠٢٠ .

الثغرات التي ظهرت في قيادة العدو للعمليات العسكريه

١ ـ على الرغم من أنه حشد قوى متفوقه جدا لخوض المعركة الا انه لم يتوقع ان يستخدمها في قتال فعلي ، وإنما لارهاب الخصم واجباره على الفرار ثم قطف الثمرة بلا كبير عناء . وهذا ما أربكه عندما واجه مقاومه حقيقيه ، فلم يستطع ان يهتدي الى التكتيك المناسب فورا .

٢ ـ الغرور والاستعلاء . وقد تبدى ذلك منذ الساعات الاولى من الهجوم ، حيث راح الجنود والضباط يرقصون ويغنون في المواقع التي دخلوها (احد الأمثلة في مارون الرأس) قبل

ان ينظفوها فعليا . انهم لم يتصوروا ان يبقى احد ليقاتلهم بعد كل ذلك القصف والتدمير ، ولهذا ، عندما فوجئوا بالنيران من مسافة عشرة امتار ، انقلب رقصهم وغناهم الى قتلى وجرحى وصراخ وانين وهبوط في المعنويات .

٣ ــ التخبط في الاستخدام التكتيكي للمشاة ، بعد ان خسروا في اليوم الأول على كل الجبهات (الغربي ، الأوسط ، الشرقي) ، مما جعلهم يصدرون تعليمات للجنود بعدم ترك الدبابات ، بل النوم ليلا في داخلها دون حراسات خارجية . فكان تكتيك المرحلة الثانية مذلا للجنود ، مضعفا لمعنوياتهم ؛ الأمر الذي انزل ضربات كثيرة بالاليات ، وأبطأ وتيرة التقدم وحصر الحركة والتواجد في الشوارع الرئيسية ؛ مما سمح لاعداد كبيرة من الفدائيين أن تعود من وراء الخطوط سالمة ، بعد ان استمرت في اقتناص المناسبات وهي تنسحب .

٤ ــ التغيير في التكتيك لم يكن نتيجة خطة وانما نتيجة ردود فعل .

٥ ــ سوء تقدير الموقف ؛ مما جعل تصريحات قادة العدو متناقضة وهزيلة وقد فقدت مصداقيتها .

٦ ــ كان العدو يبدل قوات الجبهة كل ليلة ، وذلك حفاظا على المعنويات ، والنشاط . ولكن هذا التكتيك يحمل نقطة ضعف شديدة ؛ لأن عملية التبديل تكشف القوات لهجمات مضادة في اللحظة المناسبة .

تكتيك الثورة

كان قرار قيادة الثورة بالتصدي وصنع « كرامة » جديدة قرارا صحيحا وشجاعا ينسجم مع المعطيات السياسية والمادية بين الثورة وبين العدو الصهيوني .

وافيد من الايام الثلاثة الممتدة من ١٢ الى ١٥ آذار ، في الاعداد لمواجهة الهجوم . فقد كان من الضروري اعادة توضيع القوات . فالقوات كانت موضعة على اساس المعارك مع القوى الانعزالية ، لا على اساس مواجهة هجوم شامل او جزئي من قبل الجيش الصهيوني مباشرة . الأمر الذي تطلب اخذ عدد من الاجراءات التي اثبتت انها صحيحة بعد شن الهجوم ، وذلك مثل تخفيف الاعداد من بعض المواقع ، ونشرها في مواقع اخرى ، والتمويه والانتشار والاستنفار ضد الطيران .

ثم بادرت القيادة العامة الى تزويد المقاتلين بتجهيزات مضاعفة تكفيهم لعدة أيام ، في ظل معركة متواصلة ، تحسبا لانقطاع الاتصال . وقد رفع هذا من المعنويات ، عندما وزع على كل مقاتل عدة وحدات نارية اضافية . وكان الأمر كذلك بالنسبة الى التموين ، بالاضافة الى التجهيز بالنسب نفسها على مستوى كل محور وكل قطاع .

وساعد أخذ القرار بالمواجهة ورفض الانسحاب ، على تحقيق تهيئة نفسية عالية لمواجهة هجوم واسع . وكانت شجاعة ابطال عملية الشهيد كمال عدوان ملهما للمقاتلين لاجتراح بطولات جديدة . ومن الجهة الاخرى فان من الضروري ان يلاحظ ان التحصين كان جيدا في كثير من المواقع الامامية ؛ مما ساعد على التقليل من الخسائر في ظل القصف الجوي والمدفعي . وقد ادى ذلك الى ازالة الوهم من خطورة قصف الطيران ، ورؤية امكانات للقتال في ظروف سيطرة الطيران على الجو . ان ضحايا القصف الجوي بين الفدائيين في حرب آذار تكاد

لا تذكر ، وهذه مسألة يجب ان تعمم على القوات وفي التدريب لازالة وهم الطيران . بل يمكن ان يكون ذلك درسا تفيد منه بعض الجيوش العربية .

لقد استخدمت الثورة الفلسطينية تكتيك تلقي الصدمة الاولى بمجابهة محدودة تهز زخم الهجوم وتنزل بالعدو خسائر ملموسة ، ثم الانسحاب الى عقدة ثانية قريبة ، وهكذا ... وقد اثبت هذا التكتيك انه مناسب حتى عند مواجهة قوات متفوقة تفوقا عاليا ، ولكنها ضعيفة سياسيا وتريد انتصارا سريعا ولا تحتمل خسائر عالية . وهو تكتيك أنسب ، في هذه المرحلة من مراحل تطور الثورة ، من تكتيك اخلاء المواقع وترك العدو يتقدم بلا مجابهة تحت شعار مقاتلته بحرب عصابات وراء خطوطه الامامية . لقد اثبتت تجربة حرب الجنوب ان التكتيك الانسب يكمن في الدفاع الايجابي المحدود عن المواقع والمتسلسل في عقد ومحاور في العمق ، او بكلمات اخرى ، أن جعل الصدمة الاولى ترتطم بمقاومة ملموسة تسمح بتنظيم القتال فيما بعد ، وعلى كل المستويات هذه . اما الانسحاب الفوري من امامه ، فيقود الى اضعاف امكانات المجابهة ، سواء في الشكل العصابي او غيره . ان تكتيك تلقي الصدمة الاولى ومواجهتها مواجهة محدودة ، وليس الهرب من امامها ، يؤدي عدة اغراض :

٢ ـ يرفع معنويات المقاتلين ويسمح بتنظيم قتال تراجعي بأقل ما يمكن من الخسائر ، وابقاء الروح الهجومية .

١ ـ انه يزعزع زخم الهجوم ويربك تكتيك العدو ، مما يفرض عليه بطئا في التقدم ، يشكل احد شروط انتصار الثورة ، سياسيا ، عليه .

٣ ـ يسمح باستمرار القتال وراء خطوط العدو ، خصوصا من قبل الذين شاركوا في تلقي الصدمة الاولى ، وبعد ان يكونوا قد تطعموا في المواجهة .

٤ ـ رفع معنويات الجماهير ، وهذه مسألة في غاية الاهمية بالنسبة الى ظروف الثورة في بلادنا .

هنا يمكن ان تضاف ملاحظات سريعة اخرى حول تجربة حرب اذار :

١ ـ اثبت اسلوب زرع الالغام جدارة في اعاقة العدو وانزال الخسائر المادية به ، على رغم ما لديه من فرق هندسية ، خصوصا استخدام اسلوب الزرع العشوائي لحقول الالغام .

٢ ـ وجود م . ط . ولو متوسطة ، أخاف الطائرات وأفقدها القدرة على التركيز .

٣ ـ ان وضوح المهام والخطة ، على مستوى المحور والموقع والمجموعة ، كانت له ايجابيات عديدة ، خصوصا عندما فقد الاتصال .

٤ ـ يجب ان يشدد على قانون عسكري يمكن استنتاجه من تجربة الثورة الفلسطينية ، وهو : « لكي ننسحب بشكل جيد ، يجب ان نقاتل بشكل جيد » : لأن امر الانسحاب هو امر قتالي ينفذ وفق الاصول العسكرية وليس فرارا .

٥ ـ اهمية التهيئة المسبقة واللقاءات السياسية التي اجرتها قيادة الثورة مع الضباط والمقاتلين .

٦ ــ استطاع المقاتل ان يقاتل بحماسة من موقع لموقع وهو يتراجع . لكن هذا النوع من القتال يتطلب توعية مسبقة خاصة تهدف الى توعية المقاتل ، وذلك بالتوضيح ان هذا هو الأسلوب الامثل في ميزان القوى القائم ، كما انه الاسلوب الذي يصنع نصرا في ظروفنا ، الأمر الذي يتطلب القضاء على الفكرة القائلة : « اما نقاتل دفعة واحدة او نتراجع دفعة واحدة » ، او على الموضوعة القائلة : « ان حرب العصابات تفرض تجنب المواجهة ، فتترك العدو يتقدم ثم تناوشه من وراء خطوطه » .

لقد استخدمت قوات الثورة ، في مواجهة الهجوم الصهيوني ، عددا من التكتيكات ، كان اهمها ثلاثة تراتبت وفق تطور العمليات ، وهي :

أ ــ تلقي الصدمة الاولى في المواقع الامامية ، والقتال من الخنادق وفي الشوارع وداخل البيوت . اي الاشتباك الفعلي ، وهو ما وصفه العدو بأنه « كان قتالا من شارع لشارع ومن بيت لبيت » .

ب ــ الانسحاب من الخط الاول على شكل مجموعات تمسك بنقاط عند عقد خلفية ، حيث تستقبل العدو بالضرب من كمائن غير متوقعة . وقد ادى ذلك الى توقف هجوم الاليات من اجل اعادة تقويم الوضع والتمشيط بنيران الطيران والمدفعية .

جـ ــ عندما تعود العدو مواجهة تكتيك المجموعات في نقاط موضعة في طرق تقدمه ، وذلك باستخدامه اسلوب عدم الالتفاف للخسائر ، والاستمرار في التقدم ، ومطاردة المجموعات ، ردت عليه الثورة بتكتيك ثالث ، وهو اسلوب الجمع بين الشكلين (أ) و(ب) ، وذلك عن طريق حشد عدة مجموعات (ثلاث او اربع) ، عند عقدة رئيسية ، ومفاجأة العدو بمعركة مواجهة شبيهة بمواجهة اليوم الاول وبالزخم نفسه ، كما حدث في معركة جويا ، وهو ما لم يكن يتوقعه العدو مطلقا .

لكن الثورة استخدمت ، الى جانب هذه التكتيكات الاساسية ، بتكتيك ملحقة اخرى ، مثل : القتال على طريقة حرب العصابات وراء الخطوط ، خصوصا من قبل الافراد الذين تخطتهم الدبابات ، او الذين انتشروا في اثناء القصف ، كما استخدمت الالغام المضادة للدروع وللافراد ، قبل بدء الحرب ، استخداما واسعا كجزء من الخطة الدفاعية .

دروس قديمة جديدة

ثمة عدد من الملحوظات التي تجب الافادة منها مستقبلا ، الى جانب الدروس التكتيكية الاساسية التي مر ذكرها .

□ « **الخندقة** » **في العمق** : ان القتال الدفاعي التراجعي ، على اساس العقد العميقة ، تكتيك ناجح جدا في ظروف ثورتنا في المرحلة الراهنة ، ولكنه يتطلب الاهتمام بتحصين وتعزيز العقد التي في العمق . فالذي حدث في بعض المواقع ، ان التحصين كان جيدا في النقاط الامامية (على القشرة) . اما العقد في الخلف ، فلم تكن محصنة ومعدة لتصلح نقاطا امامية ، وهذا ما

اضعف زخم المواجهة في بعض العقد الخلفية : لأنه فرض الاعتماد على طبيعة الأرض بشكلها المبكر ، وحرم الافادة من مواقع استراتيجية مهمة للغاية كانت مناسبة جدا لمواجهة العدو فيها لو كانت محصنة او مخندقة . ان الدرس الذي يجب تعلمه هنا ، هو ضرورة الخندقة والتحصين في عقد العمق . اي الاهتمام بخط الدفاع الثاني والثالث والرابع والخامس في الصراع ضد العدو الصهيوني .

□ **التناوب في الرمايه** : ضرورة اعادة تدريب المجموعات على مبدأ التناوب في الرمي في اثناء الاشتباك القريب ، حتى تتاح فرصة المحافظة على زخم النيران ، واعادة تعبئة المخازن بصورة متناوبة . فقد حدث مع بعض المجموعات خلل في تطبيق هذا المبدأ ، وكادت تنشأ عنه مخاطر .

□ **اخلاء الجرحى** : ان مسألة القدرة على اخلاء الجرحى من المسائل الهامة بالنسبة الى المقاتل . ويؤدي توفرها الى زيادة في الاندفاع القتالي ، وهذا يتطلب توفير نقالات حتى على مستوى المجموعة .

□ **الاسلحه** : اثبت الرشاش الخفيف والـ « ب ٧ » والهاون ٦٠ ، والدكتريوف ، والغرينوف المعدل ، انها من افضل ما يمكن ان تتسلح به المجموعة ، وذلك لما تملكه من فعالية ومرونة في النقل والاستخدام .

□ **المدفعيه** : اثبتت وحدات المدفعية ان باستطاعتها العمل حتى بوجود طيران في الجو . كما ان فعالية المدافع ٧٥ و٨٢ ، تزداد اذا توفرت الطواقم الكافية . ان وجود مضاد الطائرات من شأنه ان يربك الطائرات ويجعل قصفها بلا دقة . اما لو توفرت صواريخ سام لاربكت حركتها ارباكا .

□ **تجهيز المقاتل** : اثبتت حرب الجنوب اهمية تجهيز المقاتل بما يساعده على البقاء عدة ايام وراء خطوط العدو ، بما في ذلك ان يؤمن له حذاء متين . فهنالك من قطع ٤٠ كيلومترا مشيا على الاقدام .

□ **طيران العدو** : اثبتت هذه الحرب ان الطيران ضعيف الفعالية بالنسبة للوحدات المقاتلة المنتشرة جيدا او المخندقة ، بينما تزداد فعاليته ضد المباني ، خصوصا في القرى ، وضد المدنيين . اما خطره ، فهو على المعنويات اكثر منه على جسد المقاتل : وهذه مسألة يمكن معالجتها عندما يثبت للمقاتلين ان الخسائر من الطيران تكاد لا تذكر حتى بالنسبة للمواقع التي قصفت بضراوة ولم يغادرها المقاتلون .

مواجهة السلبيات المستجدة : لقد أثبتت التجربة أن خوض المعارك يحتاج الى تهيئة مسبقة للمقاتل لكي لا يفاجأ حين تخرب أجهزة الاتصال ، أو حين يتعذر رمي المدفعية ، أو حين تقطع الطرقات ، أو حين يصبح المقاتل وراء خطوط العدو . فهذه الأمور يجب أن تؤخذ في الحسبان وتكون هنالك ثقة بامكانية خوض المعارك بحدوثها ، أو بعبارات أخرى ، ثمة ضرورة محاربة فكرة خوض المعارك على المسطرة ، أو أن يكون كل شيء في مكانه ويجري وفق الخطة المرسومة .

لقد اثبتت تجربتنا أننا نستطيع أن نخوض معارك ناجحة بوجود نواقص وثغرات وحدوث ما لم يكن متوقعا .

الاهتمام بالمعنويات أثناء القتال : لا يكفي شحن المقاتل والجماهير بمعنويات عاليه قبل بدء المعركة ، وإنما يجب أن يستمر ذلك في كل لحظة من لحظات المعركه . وهنا يمكن لفت الانتباه الى ضرورة عدم نشر الأخبار السلبية . ولكن حين ينتشر خبر سلبي ، فمن الخطأ إنكاره . وإنما يجب تفسيره ، وذلك للمحافظة على المصداقيه والصدق مع المقاتل والناس . كما أن من الضروري التاكد من صحه المعلومات التي تنقل على الأجهزة . ويجب أن يراعى أن ينقل بعض المعلومات لمن يهمهم الأمر فقط وليس للجميع (مثلا المعلومات عن إنزال وراء الحصون ، أو اختراق لجبهه ما) . أما من الجهة الأخرى ، فثمه حاجة ماسه للاهتمام بمعنويات الجماهير ومساعدتها ، خصوصا في المواقع الخلفيه . فقد اثبتت التجربه أن المواقع الخلفيه عرضه لهبوط المعنويات اكثر من المواقع الأماميه .

حرب آذار مرحلة جديدة

تبقى كلمة اخيرة حول حرب آذار ١٩٧٨ ، وهي تحولها الى نقطة انطلاق متقدمة في العمل الفلسطيني . فقد مثلت مرحلة جديدة على المستوى السياسي ، ولكنها كانت مرحلة جديدة ايضا بالنسبة الى التجربة القتالية في الثورة . ويكفي ملاحظة ان جبهة الجنوب بعدها ، وعلى الرغم من وجود قوات الطوارىء الدولية ، قد اصبحت في حالة حرب دائمة ، بل ان العدو الصهيوني خاض مع الثورة الفلسطينية حرب استنزاف دامت ثمانية اشهر سنة ١٩٧٩ . ولعل اهم سمات هذا الوضع ، هو الوقوف امامه وجها لوجه ورد الصاع صاعين . وما كان هذا التطور في ميزان القوى ليتحقق لولا نتائج حرب آذار من جهة ، ولولا نشوء ظروف سياسية اكثر مؤاتاة من جهة اخرى .

حقا ، لقد شكلت حرب آذار ، منذ سنتين ، بداية مرحلة جديدة ما زلنا نعيشها ، وان كنا في هذه الايام على ابواب انتهاء تلك المرحلة ، وبداية مرحلة جديدة اخرى ، لعلها تأتي استمرارا لسابقتها وتخطيا لها الى امام ، رغم السحب الدكناء التي تتلبد فوق سماء لبنان ومن حوله .

نبيل بدران

المؤسسات الاجتماعية في الثورة الفلسطينية

مع إستمرار مسيرة النضال وتطويرها ، تمتنت المؤسسات الاجتماعية التاريخية (جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، الشؤون الاجتماعية في حركة فتح) ، وظهرت مؤسسات جديدة ، تهتم ببعض الجوانب الاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني والجماهير اللبنانية الملتحمة معه في النضال ضد الصهيونية والقوى المضادة . والاهم ايضا ، تبلورت وتعمقت تطورات وقناعات ، تلح في تطوير وتنويع العمل الاجتماعي كجزء من العمل الثوري ، وما يرافق ذلك من جهد لاكتشاف مزيد من مجالات العمل ، او التمهيد لعمل مثمر في مجالات تعثر العمل ضمنها .

ان النظرة التكاملية ، التي تهدف الى تحديد مسار التطور المستقبلي، تفرض معالجة موضوع المؤسسات الاجتماعية في الثورة ، بأفق اوسع ، بحيث يشمل تعريف المؤسسات الاجتماعية ، جميع الاطر المؤسسية ، والتي تعنى بتحسين الوضع الاجتماعي للجماهير او بعض فئاتها . وتتميز هذه المؤسسات باطار منظم ودائم ، لتوفير الخدمات وتحقيق التطور المستقبلي . ويتجاوز هذا التعريف المفهوم الضيق للمؤسسات الاجتماعية ، كعناية بالحالات الخاصة .

ويشمل تحسين الوضع الاجتماعي رعاية الفرد والاسرة والجماعة ، وتطوير وضعهم . وفي اطار الثورة يفرض القيام بهذه الرعاية وتحقيق التطوير ، بالانسجام التام مع الاهداف الاستراتيجية والمرحلية . ان التشديد على مفهوم المؤسسات الاجتماعية هذا ، لا يفرض علينا الاسترسال في الحديث عن جميع اشكال العمل الاجتماعي في الثورة ، تجنبا لما قد يترتب على هذا الاسترسال من اطالة في البحث ، قد لا تحقق المعالجة والوضوح المطلوبين .

فالهدف من البحث الحالي ، متابعة سير العمل الاجتماعي عبر المؤسسات واستكشاف مدى وضوح واجبات الثورة تجاه الجماهير كجزء من العملية التعبوية ونرى معالجة الموضوع من خلال عرض سريع لانواع المؤسسات الاجتماعية ، ثم تقديم عرض تاريخي لظروف نشوئها، والانتقال بعد ذلك الى توضيح مدى علاقة هذه المؤسسات بوعي اجتماعي

محدد ، وما يوضح هذا الوعي من تطور مستقبلي ، ومن ثم ابداء بعض التطورات حول مستقبل العمل الاجتماعي .

اولا : المؤسسات الاجتماعية في الثورة

يشمل الجدول المثبت في المقالة خمس عشرة مؤسسة ، ترتبط مباشرة او غير مباشرة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، او بالمنظمات السياسية . والى جانب هذه المؤسسات يوجد بعض المؤسسات الاهلية ، والتي تنسق مع الثورة ، مثل « الجمعية اللبنانية لانعاش المخيم الفلسطيني » ، او « صندوق الطالب الفلسطيني » .

يتضح من الجدول تغطية المؤسسات المذكورة لعديد من جوانب العمل الاجتماعي ، وتكاملها . ومن المفيد ايضا القيام بتدقيق في نوعية هذه المؤسسات ، لتنجلي الصورة .

١ ــ تسعى بعض هذه المؤسسات تقديم خدمات لجميع افراد الشعب ، وتنظيم الاطر للوصول الى جميع التجمعات الفلسطينية ، مثل الهلال الاحمر الفلسطيني ، والتعاونيات الاستهلاكية . وتسعى مؤسسات اخرى الى رعاية كامل الفئة التي هي محط اهتمامها،مثل الشؤون الاجتماعية (رعاية جميع اسر الشهداء والمعتقلين) ، صامد (تشغيل اسر الشهداء) ، المدارس الثانوية (الطلاب الثانويون) ، المجلس الاعلى لرعاية الشباب والمنظمات الشبيبية، واخيرا جمعية الكفيف الفلسطيني . وكان من المفروض ذكر رياض الاطفال التابعة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في هذا الاطار ، والتي كان مخططا لها ان تشمل جميع المخيمات والتوسع تدريجيا لتستقبل اكبر عدد ممكن من فئة عمر ٤ ــ ٦ سنوات ، لكن وضع الاتحاد غير المستقر جمد هذا الطموح

٢ ــ مؤسسات لا تطمح الى تغطية كافة إحتياج الجماهير في خدمات معينة ، بل تسعى الى إشعار الجماهير بارادة العمل الاجتماعي لدى التنظيم المعني ، وابراز نموذج اخر من العمل الاجتماعي ، ومثال ذلك المستوصفات لدى التنظيمات ، وكل من مؤسسة غسان كنفاني والنجدة الاجتماعية .

٣ ــ بالرغم من صعوبة العمل الجبهوي الفعال ، استطاعت بعض المؤسسات الاقتراب كثيرا من العمل على المستوى الوطني .

أ ــ استطاعت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، تركيز صورتها الوطنية ، وحصولها على التأييد العام ، على اساس انها الجهة الاساسية لتوفير الخدمات الصحية ، والانطلاق من هذه القناعة لتحسين مستوى الخدمات المقدمة ، وتوفير المزيد منها .

ب ــ ارادة المجلس الاعلى لرعاية الشباب عامة وحركة الكشاف الفلسطيني خاصة ، تحقيق نشاط شبيبي عام ، وتشجيع النشاط الرياضي ، ويساعد المجلس الاعلى ، بمسعاه ، رغبة الشباب انفسهم في تقوية النشاط الرياضي الفلسطيني ، وإخضاع التنافس الفنوي الى قواعد ومفاهيم ، تعود بمردود ايجابي على الرياضة وعلى نشاط النوادي عامة .

ج ــ اقتناع المنظمات السياسية بضرورة دعم عمل تعاوني استهلاكي واحد ، لتجميع اكبر عدد ممكن من المكتتبين بالاسهم التعاونية ، وتوفير الاموال اللازمة لتمويل انشاء

تعاونيات ذات حجم مقبول لتوفير اكبر قدر من السلع ، وباسعار متدنية فعليا . كما ان وحدة العمل التعاوني الاستهلاكي وفي اطار الاتحاد العام لعمال فلسطين ، تدعم هذا الاتحاد ، وتزيد من تلاحم جماهير العمال معه .

٤ ــ عمد العديد من المؤسسات الى التشكل في جمعية إجتماعية محلية ، لتأخذ صفة قانونية ، تفيدها في نشاطها الاجتماعي والاقتصادي ، وتضمن بقاءها كمؤسسة ومن هذه المؤسسات ، جمعية أسر مجاهدي وشهداء فلسطين في سورية ، وكل من الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني ، وجمعية معامل أبناء شهداء فلسطين « صامد » ، ومؤسسة غسان كنفاني والنجدة الاجتماعية في لبنان .

٥ ــ ان معظم المؤسسات المعنية ، مرتبطة بحركة فتح ، او تحظى بدعم مادي منها . ونتيجة المساعدة المقدمة من الحركة ، استطاعت هذه المؤسسات النمو ، وتحمل أعبائها على المستوى الوطني ، مما جعلها تأخذ طابعا وطنيا عاما ، يفرض عليها تحمل كامل حجم المسؤولية في الوقت الحاضر ، والاستعداد لتحمل المسؤولية المتعاظمة مستقبلا . واضحت هذه المسؤولية كبيرة جدا ، مما دعى منظمة التحرير الى توفير الدعم لبعض هذه المؤسسات ، والتفكير بالحاق عدد اخر من المؤسسات الاجتماعية رسميا بها وتمويل قسم كبير من احتياجاتها .

ثانيا : مراحل نشوء وتطور المؤسسات الاجتماعيه المختلفه

تجاذب علاملان اثرا في نشوء المؤسسات الاجتماعية في الثورة الاحتياج الاجتماعي والرغبة في عمل اجتماعي يلازم النشاط الجماهيري . فتضخم اعباء محددة ، مرتبطة بتصاعد العمل الثوري ، ولا تندرج تحت انماط خدمات وكالة الغوث ، حتم انشاء بعض المؤسسات، مثل جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني او الخدمات الطبية (المستوصفات) للتنظيمات لمعالجة المقاتلين ، او مثل الشؤون الاجتماعية في حركة فتح لرعاية اسر الشهداء والمعتقلين .

كما ان نشوء ازمة التحاق الاسرة بمعيلها في الكويت ، بعد حرب ١٩٦٧ ، حتم انشاء مدارس منظمة التحرير هناك . وتجربة هذه المدارس ، والتي استمرت حتى العام المدرسي ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ، توضح نمط استيعاب هذه المنظمة لدورها الاجتماعي . لقد جرى فتح المدارس على مضض ، وكان الاتجاه منذ البدء الحاق التلامذة بمدارس وزراة التربية الكويتية ، ثم الحاق هذه المدارس بالوزارة ، وخصوصا ان ابنية مدارس منظمة التحرير هي ابنية لوزارة التربية ، وتعمل كاحدى مدارسها صباحا . ومع استمرار اشراف منظمة التحرير ، اخذت تتبلور لجان اشراف وتخطيط ، والتي بدورها اخذت توضح اسس ونمط توجيه الاجيال الصاعدة وربطها بقضيتها . الا ان قيادة منظمة التحرير التي لم تكن بعد مهيأة لدعم تجربة تربوية متكاملة ماديا ، بقيت تتمسك بمبدأ واجب الاقطار العربية ووكالة الغوث وتقديم الخدمات الاساسية .

ولكن تطور الحرب الاهلية في لبنان ، ودخول دولة العدو طرفا مباشرا في الحرب ، وتصعيد موجات النزوح ، ادخل على الفكر الفلسطيني مفهوم واجب رعاية الجماهير ، وجعل هذه الرعاية قسما اساسيا في الصمود ، وما يترتب عن ذلك من اعباء مادية .

المؤسسة	رعاية الاسرة	مؤسسة رعاية	رعاية الامومة والطفولة	رياض اطفال	تشغيل	تاهيل	نشاط شبيبي
الشؤون الاجتماعية في حركة فتح	رعاية اسر الشهداء والمعتقلين	ـ بيت المقدس في عمان ـ مساعدة بيت اسعاد الطفولة				منح دراسية	
جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني	طب علاجي ووقائي		مراكز امومة وطفولة ـ حضانة		مراكز تطريز	معهد تدريب	
الضمان الصحي في حركة فتح	توفير العلاج للمضمونين واسرهم						
مستوصفات التنظيمات السياسية	طب علاجي						
الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية		بيت ابناء الصمود ـ تل الزعتر	حضانة		مركز تطريـز	وتأهيل	
جمعية رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين		بناء المدينة التعليمية في دوما سورية					
الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني		بيت إسعاد الطفولة سوق الغرب ،لبنان.					
مؤسسة غسان كنفاني		بناء مؤسسة رعاية في برج الشمالي					
النجدة الاجتماعية			حضانة		مراكز تشغيل	مراكز تأهيل	
جمعية الكفيف الفلسطيني					تشغيل	تأهيل	
المجلس الاعلى لرعاية الشباب							نوادي ، وكشاف ونشاط رياضي
المنظمات الشبيبية							معسكرات ، ونوادي
المعاهد الثانوية							
جمعية معامل ابناء شهداء فلسطين « صامد »						تعليم ثانوي في لبنان	
الاتحاد العام لعمال فلسطين التعاونيات الاستهلاكية	خفض تكاليف المعيشة				تشغيل	وتأهيل وتدريب	

ومن المفيد تتبع نشوء وتطور المؤسسات عبر الحقب التي مر بها النضال الفلسطيني . وتميزت حقبة النضال على الساحة الاردنية، بعد العام ١٩٦٧، بوجود تجمع فلسطيني ضخم ملتف حول الثورة ، ونشاط العديد من الاجهزة الرسمية والمجمعيات الاهلية في نطاق رعاية نازحي حرب ١٩٦٧ . كما تميزت تلك الفترة ، بانطلاق الحماس الثوري الفلسطيني والعربي عامة ، وشغف هذا الحماس بأشكال من التعبئة الجماهيرية ، تبرز الطموح الى مجتمع ثوري جديد .

نشأ الهلال الاحمر الفلسطيني والخدمات الطبية عامة ، لتقديم المعالجة للمقاتلين ، ثم تطور الوضع باتجاه توصيل الخدمات الطبية الى نازحي الاغوار ، بعد اشتداد القصف الصهيوني ، واتباع العدو اسلوب تهجير السكان . ولما كان الطلب على العلاج المجاني اكبر من الامكانيات الرسمية المتاحة (الدولة الاردنية ، وكالة الغوث) ، استجابت الخدمات الطبية الفلسطينية لطلب الاهلين ، واخذت تشملهم تدريجيا ، يشجعها التحاق عدد متزايد من الاطباء والممرضين والممرضات بالثورة ، وتدفق المساعدات الطبية من الاقطار العربية والخارج .

وفي الوقت نفسه ، بدأ الاهتمام المركز بأسر الشهداء والمعتقلين وباعدادهم المتزايدة . وجسد هذا النشاط استعداد المرأة لدعم النضال . ويمثل العمل الاجتماعي مجالا رحبا لها ، وخصوصا ان العديد من الكوادر النسائية كان محصنا بخبرات في هذا النطاق ، ويطمح الى توظيف هذه الخبرات في نطاق الثورة .

ومع ازدياد عدد الاحداث المنخرطين في الثورة ، والملتحمين مع المقاتلين ، ومع القطاع السياسي ــ الجماهيري ، برزت ضرورة توفير عناية خاصة بهذه الفئة . فانشأت حركة فتح معسكرات الاشبال ، وتطور النشاط بعد ذلك الى عمل مركزي ، باسم مؤسسة الاشبال ، واخذ العديد من الكفاءات التربوية يمنحها إهتمامه .

ومع استمرار النضال على الساحة الاردنية ، اخذت النشاطات الاجتماعية تتبلور وتاخذ منحى جديدا . اخذت جميعة الهلال الاحمر الفلسطيني تتولى مساعدة اسر المعتقلين في الداخل ،وتطـور هذه المساعدة لتصبح تشجيعا للتراث الوطني مثل التطريز ، لتحسين دخل الاسرة وابراز هذا التراث . ومن جهتها اخذت الشؤون الاجتماعية تتوجه نحو تاهيل زوجات واخوات الشهداء والمعتقلين مهنيا . فجرى فتح مشاغل تاهيل خياطة وتطريز ، وتحويل هذه المشاغل تدريجيا الى مراكز انتاج ، والاستفادة من اطار العمل لتكثيف تطوير المرأة اجتماعيا وسياسيا .

وفي نطاق تعبئة المخيم الفلسطيني في الاردن ، والتي ظهرت اهميته الجماهيرية والقتالية ، اخذت التنظيمات الفدائية تعنى ببلورة اشكال من العمل الشعبي ، وتكسب من خلاله ثقة الجماهير وارتباطها بها ، ومن ضمن هذه الاشكال حملات محو الامية ، ومشاغل التطريز ، وانشاء المزارع .

وتميز العمل الاجتماعي ، حينذاك ، بكونه عملا تطوعيا ، يعتمد على المبادرات الفردية . يتقبله العمل السياسي ، كنشاط رديف ، لكن لا ينظر اليه كعمل متلازم عضويا معه ومع العمل العسكري، بحيث يتطلب تخطيطا وتقييما يوازيان المجهود الممنوح للعمل السياسي والعسكري.

وعلى كل حال ، اوجد النشاط الاجتماعي على الساحة الاردنية ، مدا على مستوى الساحات الفلسطينية الاخرى ، خصوصا في لبنان : فجرى انشاء فروع للخدمات الطبية وللشؤون الاجتماعية . واخذت هذه الفروع تفكر في نشاط محلي يتجاوب مع الاحتياجات الجماهيرية المباشرة . وكان المخيم الفلسطيني في لبنان ، يعاني من مشاكل عديدة ، نتيجة اهمال السلطات اللبنانية له ، وتضاؤل خدمات وكالة الغوث .

وعلى الساحة الاردنية نشأت فكرة رعاية ابناء الشهداء والمعتقلين ، وجاء الواقع مع مساعدة قدمها محسن عربي من ليبيا ، فافتتحت دار بيت المقدس للفتيات . وجاءت احداث الاردن واستشهاد العديد من الاباء والامهات ، لتعطي حافزا قويا للشؤون الاجتماعية على تبني بيت اسعاد الطفولة ، في سوق الغرب ــ لبنان ، والتابع للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني في لبنان ، وجعله يستقبل ضعف العدد الموجود . ومن الجدير ذكره ان عامل الايواء تغلب على عامل الرعاية الواعية . فاستقبلت مدرسة بيت اسعاد الطفولة الاطفال والاحداث دون تمييز بالمستوى التحصيلي او الوضع النفسي : مما اوجد مناخا تربويا غير صحي . فكان التفاوت العمري في الصف الواحد ، يزيد عن خمس سنوات ، كما اسقط الازدحام كل قدرة على تنظيم نشاطات تربوية وترفيهية ضرورية للنمو الجسدي والذهني .

وامام ازدحام عدد الاطفال في مدرسة بيت اسعاد الطفولة ، وتضخم اعداد ابناء الشهداء والمعتقلين ، اخذت اوساط حركة فتح من جهة ، وجمعية رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين من جهة اخرى ، تخططان لانشاء مدينة تعليمية في دوما ، قرب دمشق ، تستوعب حوالى ١٠ الاف تلميذ . ولتحقيق المشروع جرى تجنيد العديد من الامكانيات والطاقات له .

رافق انتقال زخم الثورة الى الساحة اللبنانية مواجهة اعباء متزايدة، الى جانب مواجهة الظواهر الاجتماعية المتراكمة لدى التجمعات الفلسطينية هناك . وكان على المؤسسات الاجتماعية مواجهة النتائج الاجتماعية لاحداث الاردن ، من مصابين واسر شهداء ومعتقلين . ومن جهة اخرى فان تزايد حدة المعارك في جنوب لبنان ، ولد مزيدا من اعباء المعالجة ورعاية الاسر .

واذا استثنينا الخدمات الصحية ورعاية اسر الشهداء والمعتقلين ، بقي التصور الرسمي الفلسطيني قائما على ضرورة الالحاح على وكالة الغوث بالاستمرار في تقديم خدماتها وتطويرها ، وعدم منافستها . خصوصا وان جميع افراد التجمعات الشعبية الفلسطينية في لبنان مسجلة في وكالة الغوث ، ولها حق الاستفادة من خدماتها . ومن هنا نشأت حركة احتجاج تجاه وكالة الغوث تتبناها منظمة التحرير . ومن جهة اخرى لم تنل المطاليب الخاصة بتقديم مساعدات مباشرة من منظمة التحرير أو التنظيمات السياسية لمشاريع في المخيمات ، أي اذن صاغية ، بحجة عدم وقوعها ضمن اختصاص او مجال خدمات منظمة التحرير وعدم وجود الامكانيات المادية المطلوبة . ورافق هذا الوضع غياب ادارة شعبية فعالة في المخيم ، تجهد، جماعيا، في تحسين الوضع الاجتماعي والمطالبة بالدعم المادي اللازم .

إلا أن الاحساس الجماهيري العام بضرورة تحسين الوضع الاجتماعي في المخيمات ، نتيجة سياسة الاهمال التى تبعتها الحكومة اللبنانية ، وقبولها لتفاقم الوضع الصحي في مخيمات بيروت ، لاعطاء مبرر دائم لطلب نقلها الى الجنوب ، جعل الافراد والقطاعات المختلفة

تثابر على ايجاد الوسائل الممكنة لمساعدة سكان المخيمات . ومن هنا كان طموح جمعية معامل ابناء شهداء فلسطين «صامد» عند انشائها، خدمة المخيمات الى جانب خدمة اسر الشهداء. فتشغيل العاطلين عن العمل وتوفير سلع رخيصة ، كانا هدفين دائمين لمؤسسة صامد.

وأعطت تجربة جمعية انعاش المخيم الفلسطيني قرب مخيم شاتيلا في بيروت ، ومنذ أوائل السبعينات، نموذجا لمركز قادر على توفير عدة نشاطات في الوقت نفسه، تساهم في تطوير الوضع الاجتماعي في المخيم . فتلازم نشاط تشغيل النساء في حقل التطريز مع استعمال المركز كروضة في الصباح ، وكصفوف تعليم عام او مهني في المساء ، الى جانب تشجيع نشاط شبيبي ثقافي ورياضي . ووظفت ايضا قاعات المركز وحدائقه للنشاطات العامة . واخضع هذا النموذج للتقييم، فبانت ضرورة التصاقه بالمخيم ، ليبقى التفاعل قويا مع المجتمع المحلي . وهذا ما سعت اليه الجمعية حينما اسست مركزاً في مخيم تل الزعتر ، واخر في مخيم بعلبك . ويوفر الالتصاق ايضا حماية امنية اكبر للموجودين داخل المراكز ولا يشل عملها في حال التوتر الامني .

وفي ظل جمود حركة الأشبال ، نتيجة غياب العديد من الكوادر ، التي كانت فاعلة على الساحة الأردنية ، برز المجلس الأعلى لرعاية الشباب كجزء من دائرة التنظيم الشعبي . واستفاد هذا المجلس من تجربة العمل مع الشبيبة على الساحة الأردنية ، ليغرس فكرة تنظيم نشاطات شبيبية متحررة من العصبية الحزبية . فشجع نشوء جمعية الكشاف والمرشدات الفلسطينية، ودعم الأندية الرياضية وانشاء المزيد منها ، وتنشيطها عبر الدورات الرياضية وانشاء المزيد منها ، وتنشيطها عبر الدورات الرياضية، وانشاء اللجان الاولومبية والمساهمة في الدورات الرياضية العربية والعالمية . لقد جاء نشاط القيمين على المجلس بمثابة مبادرات فردية شجاعة ، لم تجد دوما الدعم الكامل . كما تخلل النشاط الشبيبي على مستوى المجلس نكسات ، نتيجة توالي المعارك على الساحة اللبنانية، وعدم ايجاد صيغة ، تبرز المجلس خلال المعارك مثل تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة .

وسبق احداث العام ١٩٧٣ نشوء مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ، والتي وجدت في مناخ ما بعد حوادث ايار ١٩٧٣ تجاوبا اكبر مع اهدافها محليا وعربيا وعالميا . فبدأت نشاطها بانشاء رياض الاطفال . وفي الوقت نفسه بدأ قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط الفلسطيني يوجه اهتمامه نحو تدريب معلمات رياض الاطفال ودعم انشاء مزيد من الرياض . وعمد الى دعم تولي الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية هذه المهمات والتوسع المخطط في هذا المجال . وبعد العام ١٩٧٣ شهدت حركة انشاء رياض الاطفال نموا مطرداً، فاصبح النشاط في هذا الحقل رمزا لاهتمام التنظيم السياسي بالعمل الاجتماعي .

وجاءت احداث العام ١٩٧٥ ، لتضع منظمة التحرير امام نضال شامل ومستمر ، ناتج عن أثر الاحداث الحربية على الوضع الجماهيري العام . فتوضحت ضرورة دعم صمود المخيمات ، والاهتمام بمجموعات النازحين . وبرزت جلية واضحة حتمت الاعباء الاجتماعية المتعاظمة والمتتالية اعتماد الاطر المؤسسية الاجتماعية القائمة ومنها من كان جنينيا للتصدي للاعباء المستجدة . عقب ذلك خضعت هذه الاطر لتطور سريع ، ومع استمرارها وتطورها رسخت ايضا هذه الاطر الوعي لنشاطها وللاعباء الاجتماعية عامة .

وفي الحوادث ، أخذت الجماهير تلح من جانبها على ضرورة الاهتمام باوضاعها ، وتبادر الى اقتراح مشاريع وملاحقة تمويلها وانجازها . ودفع مناخ الاحداث والجماهير المنظمات الجماهيرية الى تكثيف نشاطها الاجتماعي . فبادر الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية الى انشاء بعض المشاريع ، مثل حضانة ومطعم ومؤسسة رعاية هي بيت ابناء الصمود . وقام الاتحاد العام للعمال الفلسطينيين في لبنان بانشاء التعاونيات الاستهلاكية : امام اتساع حجم اعباء رعاية اسر الشهداء ، نشطت الشؤون الاجتماعية في انشاء رياض اطفال .

واتضحت أهمية مؤسسة صامد في توفير فرص عمل للعاطلين عن العمل من جهة ، وتوفير بعض الاحتياجات المدنية من جهة اخرى . فحصلت صامد على مساعدات وقروض لتحقق التوسع الانتاجي المطلوب ، وانشاء مزيد من المشاغل الصناعية . وقد جرى استنفار هذه المؤسسة مع مؤسسات اخرى لتقديم مساعدات للنازحين وتوفير انواع الكساء والمأكل . ومع نزوح سكان تل الزعتر طلب من صامد التوسع السريع لتوفير مجال عمل لابناء تل الزعتر في الدامور وخارجها .

وبرهنت تجربة رعاية سكان تل الزعتر في الدامور على اهمية وجود المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية المتخصصة ، ووجود الكوادر الادارية والفنية اللازمة ، لمواجهة الاعباء الطارئة ، ودعم صمود الجماهير وتحسين وضعها المعيشي والحياتي عامة . وفي نطاق هذه التجربة تسارع التقاء الفكر الفلسطيني الرسمي مع التطلعات الجماهيرية ، مما أوجد قناعة مشتركة وراسخة حول ضرورة دعم العمل الاجتماعي ، واستيعابه كجزء متمم للنضال الوطني . فسمحت هذه القناعة بتشجيع انتقال بعض الشباب المتخصص في القطاع العسكري او السياسي الى القطاع الاجتماعي ، ودعم هذا القطاع معنويا وماديا لاستقطاب عناصر وكوادر مهنية أو متخصصة .

وشجع هذا الوضع على طرح مشاريع نشاطات اجتماعية جديدة، مثل مؤسسة الضمان الصحي ، وجمعية الكفيف الفلسطيني .

وكان من أثر الاعباء الاجتماعية على مستوى الساحة اللبنانية ، وبروز المناخ الجماهيري الضاغط وتولد القناعة المشتركة ،دعوة المندوبين من الساحة اللبنانية الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة (القاهرة ١٩٧٧) ، وباقي المندوبين لمناقشة الاوضاع الاجتماعية في خارج الاراضي المحتلة ، الى جانب مناقشة الاوضاع في الداخل . ووجدت هذه الدعوة اذانا صاغية ، بحيث وافق المجلس على معظم توصيات لجنتي التربية والتنظيم الشعبي فأنشأت دائرة الشؤون الاجتماعية والمجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم وصدرت توصيات بانشاء مدارس ثانوية في لبنان ، ودعم رياض الاطفال، ودعم ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

ولم يعن عدم طرح القضايا الاجتماعية على المجلس الوطني في دورته الرابعة عشرة (دمشق ١٩٧٨) ، غيابها التام . فلقد كانت تفرض ثقلها عند الحديث عن نمط توزيع المبالغ المخصصة من قبل مؤتمر القمة في بغداد واسلوب توطيد العمل الجبهوي الوطني .

إنطلاقا من القرارات التربوية الصادرة عن الدورة الثالثة عشرة ، جرت مبادرات جماهيرية على مستوى الساحة اللبنانية لانشاء مدارس ثانوية ، وبلغ عددها حتى العام

الدراسي ١٩٧٩ ــ ١٩٨٠ اربع مدارس، مما اقتضى انشاء قسم اشراف تربوي خاص بها . ومع تجمد الحرب الاهلية ، وعودة الشباب الى المدارس والجامعات ، والى مزاولة الاعمال المدنية انتعشت النوادي الفلسطينية ، وجرى فتح المزيد منها . كما وضعت الحركات الشبيبية الناشئة ثقلها في دعم النوادي وتطويرها .

وأخيراً لم تكن التجربة النضالية على الساحة الفلسطينية في لبنان ، المؤثر الوحيد في بلورة الوعي حول النشاط الاجتماعي ، إذ كان لمتابعة العمل الاجتماعي في الاراضي المحتلة ودعمه اثرهما ايضا في تعميق الوعي بترابط العمل الاجتماعي بالعمل السياسي . ونجمل سمة المرحلة الحالية بكونها مرحلة بلورة الوعي للعمل الاجتماعي ، وما يزال ينقص هذا الوعي الرؤية الشاملة والارادة بالتحرر من تقاليد بالية متسربة الى العمل الاجتماعي كعمل خيري يعتمد فقط على التطوع والحسنات .

ثالثا : مستوى وعي المؤسسات لدورها وموقف الثورة

اتضح من التحليل السابق ، ترابط مراحل تطور النضال مع بزوغ ونمو اشكال النشاط الاجتماعي، وادراك ضرورة تثبيت العمل الاجتماعي في صلب النضال الوطني ادراكاتدريجيا، وتتميز هذه الحقبة من المسيرة النضالية ، ببروز ارادة عامة ، عازمة على دعم اشكال العمل الاجتماعي ورفض أي تقليص لمستوى الخدمات المقدمة ، الافتخار بهذه النشاطات كتعبير عن تكامل النضال في الثورة الفلسطينية ودليل على المستوى المتحقق للشعب العربي الفلسطيني . ولذا تشعر المؤسسات الاجتماعية المختلفة بثقة متزايدة بالذات ، وبطموح نحو تطوير عملها ، مما جعلها تخطط لمشاريع مستقبلية وتسرع في تأمين تمويلها . ويدفعها الى هذا التخطيط ايضا تجاوب عالمي مستعد لدعم نشاطات اجتماعية فلسطينية.ولم يطل الوقت ببعض المؤسسات الاجتماعية لتحسس ضرورة استقطاب الكوادر المتخصصة ، وتطوير الكوادر والعناصر العاملة ، والاتجاه حاليا الى تنظيم اعداد داخلي للكوادر الوسطى وللعمال المهرة . فانشات جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني مراكز اعداد لتخصصات طبية مختلفة . عززت هذا الاتجاه بانشاء قسم تدريب يشرف على النشاط التأهيلي والتدريبي ويخطط له. وعمدت مؤسسة صامد الى انشاء شعبة تخطيط تطوير القوى العاملة ، واناطة مهمة الاشراف على التدريب والتأهيل في المؤسسة بادارة متطورة .

ومع توطد ارادة التوسع والتطور ، توضحت الحاجة الملحة لبناء اطر إدارية وفنية ، قادرة على توجيه المؤسسة حاضرا ومستقبلا ، ونتيجة لذلك اخذ يتقلص العمل التطوعي الخيري ، ويأخذ مكانه العمل المتفرغ والخاضع لقانون الثواب والعقاب.وهكذا برزت الحاجة الى اداريين ومهنيين من تخصصات معينة . ومع انتسابهم الى المؤسسة ، أوضحوا عمليا ضرورة تعيين كفاءات من تخصصات جديدة .

إلا أن الوعي الفلسطيني ما يزال ينقصه الوضوح الكامل حول ربط العمل الاجتماعي بالعمل السياسي.فالسمة المهيمنة على نشاط المؤسسات التقوقع والتخلف في فهم اهمية التنسيق العضوي بين مختلف المؤسسات ، والتنسيق بين هذه المؤسسات، والتنظيم السياسي . وفي الحقيقة تشجع التنظيمات السياسية من جهة ،ومنظمة التحرير من جهة اخرى، هذا الاتجاه ،

مع عجزها عن توضيح رؤية ثورية وطنية للعمل الاجتماعي ، وتحديد مبادىء وأسس العمل ومراحله ، والتي تستمد من مفهوم التعبئة الجماهيرية الشاملة .

ما يزال ينظر الى العمل الاجتماعي ، كتخط للمشاكل الطارئة ، أو يجري ابرازه كبرهان على نشاط اجتماعي لتنظيم معين. ولم يكتشف العمل السياسي حتى الآن الضرورة العضوية للعمل الاجتماعي كتحصين لصمود الجماهير وتطوير قدراتها ، وتعويدها الاعتماد على الذات ، واتباع نسق العمل التعاوني الجماعي . ولم يكتشف العمل السياسي ايضا ، ضرورة العمل الاجتماعي كأسلوب لاعداد الكوادر الجماهيرية قياديا ومهنيا ، والتي تكون دعائم وروافد للقيادات السياسية والعسكرية .

ومن المؤسف ان دوائر ومراكز منظمة التحرير ،تشكك بدورها، وتحجمه كعمل اعلامي شكلي أو كنشاط خدماتي محدود ،لتزيح عن عاتقها واجب وايجاد سبل التنسيق الفعال بين المؤسسات المتشابهة والقريبة تخصصا في مجال نشاطها . وتغفل ايضا واجب تهيئة مناخ تفكير مشترك وبرامج مشتركة لتطوير الكفاءات ، بهدف الوصول الى تصورات جديدة على المستوى الوطني ، ترسم معالم عمل اجتماعي مثمر ، وتوضح سبل توسعه في المستقبل ليشمل جميع القطاعات والفئات المعنية اجتماعيا .

ومع غياب اهتمام الجهات المعنية ، غاب التفكير بايجاد تنسيق بين النشاطات المختلفة ، لترشيد اداء كل نشاط وتقديم اقصى الخدمة او الفائدة الممكنة .

ومن جهة اخرى ما يزال يكتنف العمل الاجتماعي ، مفاهيم وأساليب عمل متخلفة ، مرفوضة عالميا ، تتناقض مع ابسط المفاهيم الثورية. فاتباع الاسلوب التقليدي في الرعاية الاجتماعية لابناء الشهداء وطمس شخصية الطفل وتشويهها ، امر غير مقبول . والرضوخ لاساليب التعليم القائمة والبارز فشلها ، هو ايضا تعبير عن عجز في توضيح الاهداف والاسس وتقويم الوضع . ومن ثم نرى ان تفضيل شكليات النشاط على العمل التربوي أو الاجتماعي الهادف ، اضحت سمة سلبية ترافق الاطر المختلفة .

رابعاً : ضرورة تطوير العمل الاجتماعي الفلسطيني

إن اهتمام الأطر القيادية السياسية بالعمل الاجتماعي ، من ناحية تحديد الاحتياجات الجماهيرية،أو من ناحية التقييم الدائم للمؤسسات القائمة ، هو عمل ضروري وأساسي ويكتمل مسار التقييم مع اشراك اطر بحث وتخطيط وعمل جماهيري أو تعبوي ابداء ملاحظاتها واقتراحاتها وفق توجيهات سياسية تتفق واستراتيجية النضال ومقتضياته المرحلية .

وأضحت الجماهير الفلسطينية تأمل بتجاوب منظمة التحرير مع حقوقها المشروعة وتجدها مكملة لواجباتها تجاه الثورة . مما يدعو منظمة التحرير، وبالحاح، لى توضيح كامل حقوق وواجبات الافراد والجماعات ، انطلاقا من دراسة علمية وحوار جماعي . والعمل بعد ذلك ، على تطبيق هذه الحقوق والواجبات على هدى الامكانيات المتاحة والظروف الملائمة ، على ان تتغلب ارادة والثورة، ارادة التغلب على الصعوبات. ان تملك منظمة التحرير لوضوح تام حول حقوق وواجبات الفرد الفلسطيني يساعدها على بلورة مجالات نشاط ودعم تطورها . ويساعد

أيضا على تحديد اسلوب عمل واسلوب تجنيد للقدرات الذاتية من جهة ، واستقطاب اقوى للدعم المادي العربي والعالمي .

كما ان الوضوح الوطني والثوري للعمل الاجتماعي يساعد ايضا على تحديد الاطر المختلفة المطلوب نشاطها في مجال محدد ، وتوزيع العمل فيما بينها ، وتقديم الدعم المتبادل، وحث هذه الاطر من مؤسسات ومنظمات جماهيرية على تطوير مفاهيمها الذاتية وتحديد ادق لاهدافها ، لتصل الى تطبيق اسلوب عمل يتلاءم والاعباء المتنامية ، وقابل للتطوير مع دخول مراحل توسع جديدة .

ومن المؤسف ان اسلوب التعامل مع الاعباء اليومية ، يلهي المسؤولين والكوادر في المؤسسات المختلفة ، عن تقييم موضوعي لنشاطها ، استنادا الى تصورات واهداف واضحة ، والتي هي بدورها حصيلة ابحاث وندوات متخصصة تشترك فيها كوادر المؤسسة واحيانا كوادر سياسية وجماهيرية وعلمية من خارجها . ومن الضروري ايضا تنظيم مثل هذه الندوات على المستوى الوطني او المحلي والقطاعي الفلسطيني ، لتوضيح الاعباء الوطنية أو القطاعية ، وتعميق القناعة بضرورة التنسيق على مستوى بعض المهمات مثل التدريب ، والبحث ، والحملات الجماهيرية .

إن التقييم والتفكير الجماعيين ، واعداد الكوادر المتأقلمة مع الظروف الفلسطينية والعربية عامة ، عوامل اساسية في تحقيق جدلية واعية ، تنمي الوعي السياسي الشمولي ، وتطور من أسلوب عمل جماعي قادر على خدمة الاهداف الثورية . وما أحوجنا الى جهد مكثف ومتعدد الاطراف ، يعمق من استيعابنا للمهمات الاجتماعية الملازمة للنضال الوطني، ولطرق انجازها بنجاح. فيصبح حينئذ التعامل مع هذه المهمات متحررا من الأساليب التقليدية الفاشلة. وان تبدو المرحلةالحالية، مرحلة القناعةبضرورة الاعتماد في العمل الاجتماعي على كوادر وعناصر متخصصة ، ومرحلة التفكير الجاد بتنظيم اعداد ممنهج للفرد قبل العمل او خلاله ، الا ان مستوى الوعي لاهمية الاعداد في مجالات العمل الثوري ما يزال جزئيا ويتسم بالمهنية الضيقة . فالمطلوب حقا هو وعي متكامل ، يرفع شعار « الوعي الاجتماعي الشمولي للكادر السياسي ، والكفاءة العملية للكادر الجماهيري والوعي السياسي الناضج للكادر المهني » . بحيث تستطيع هذه الفئات التفاعل مع بعضها ، والتخطيط والتنفيذ المشترك ، في اطار قناعة تامة بالقدرات الذاتية .

فالمطلوب حقا ، تنظيم اعداد متعدد الجوانب والمستويات ، يهيىء الكوادر والافراد ، لادراك عمق المسؤولية الملقاة على عاتقهم والابداع في العمل كجزء من المسؤولية والالتزام الثوري ، والتحلي برغبة قوية لتطوير انفسهم اجتماعيا وثقافيا ومهنيا ، والمثابرة على تقديم الافكار والحلول لتطوير العمل . ومن هنا فان اتباع اسلوب ربط الاعداد بالعمل وسيلة فعالة لخلق القدرات والاتجاهات المرغوبة . واخذت تظهر تجارب في هذا الحقل تساعد على بلورة الاسلوب الانجح ، مثل المعهد الفلسطيني للتنمية الادارية . ومعهد الاعداد في الهلال،وتدريب معلمات رياض الاطفال خلال العمل ،واخيرا فكرة انشاء الجامعة المفتوحة .

ومن ايجابيات اسلوب ربط الاعداد بالعمل تشجيع التكفير والابداع لدى الفرد وتقييم وابداء واقتراح الحلول الملائمة . وتزداد فعالية هذا الاسلوب مع وضوح سبل الارتقاء المهني للفرد ، من خلال ادراكه لترابط دورات التدريب أفقيا وعاموديا،بحيث يستطيع احتساب الجهد المطلوب للوصول الى مستويات مهنية متقدمة . وهذا يعني تنظيم برامج اعداد متداخلة ومتلاحقة تكون بمجموعها او بمجموع قسم منها ، اعداداً متوسطاً أو عالياً ، مما قد يطيل مدة التدريب المتقطع الى عدة سنوات . ويشرف على هذا التدريب مراكز متخصصة تنظم دورات مختلفة ، وتعد وتطور العناصر والكوادر لنشاطات اجتماعية مختلفة .

وان مبدأ اعداد العناصر والكوادر ، واعطاء هذا الاعداد الاولوية في النشاط الفلسطيني يخلق تجاوبا عربيا وعالميا، واستعدادا من الجهات المختلفة للمساهمة في تمويل برامج الاعداد . ومن البديهي انه كلما كان الهدف اوضح والتخطيط اسلم ، كان التجاوب العربي والعالمي اسرع واكبر .

وأخيراً ، يجب اعطاء أهمية خاصة للاحتكاك بالتفكير العربي والعالمي ، والاشتراك في الندوات والمؤتمرات المتخصصة وبناء العلاقات العملية المفيدة لتطوير العمل الاجتماعي الفلسطيني .

د. رياض منصور

الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة
خلفيتها وواقعها الاجتماعي وآفاق تطورها

أولا الخلفية الاجتماعية للجالية ، وواقعها الاجتماعي الجديد

الخلفيه الاجتماعيه التي جاء منها المهاجرون قبل القدوم الى الولايات المتحدة : يبلغ عدد المهاجرين الفلسطينيين الى الولايات المتحدة ٣٥,١٢١ بدءا من العام ٥٠ وحتى العام ٧٦ . الا ان الدراسة حول العمل سوف تتناول المهاجرين بدءا من العام ٥٩ بحسب المعطيات الاحصائية الموجودة ، بمعنى انها لن تتناول الا العدد ٣٠٩٦٢ . وهذا يعني ضعفا ضئيلا بالنتائج ، على الرغم من الاعداد المهملة فيما قبل العام ٥٠ ثم فيما قبل العام ٥٩ ، وهو ضئيل من حيث الحجم ، ثم هو ضئيل من حيث المعرفة العامة التي بينت أسباب الهجرة التي يخضع لها الجميع .

وبالنسبة للعدد موضع الدراسة (٣٠٩٦٢) فهو لا يعتبر بكامله قوة منتجة لأنه يشمل النساء والاطفال والعاطلين عن العمل لكبر السن أو سواه . وهؤلاء يشكلون حجما ضخما بسبب الوضع العام في الوطن ، الذي يجمد المرأة كربة بيت بنسبة عالية ، كما هو عائد للنسبة العالية من الاطفال . ويوضح الجدول رقم (١) ان حجم هذه القوى غير المنتجة هو ٥٥٪ من مجموع المهاجرين قبل عام ٦٧ ، ثم ترتفع نسبته الى ٦٧٪ ما بين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٦ .

هذا بصفة عامة ، الا ان قسما من هذه القوى وهم الشباب ما بين ١٤ ــ ١٩ وهم الطلبة عادة ، يضطرون ، بسبب الظروف الاقتصادية الى بيع قوة عملهم بأسعار بخسة سواء أنجزت الدراسة او لم تنجزها وعلى أساس العمل بالساعة . كما ان قسما من الاناث يضطررن الى المشاركة بالعمل ، وكذلك بالنسبة للعاطلين عن العمل من كبار السن أو سواه نتيجة لضغط الحياة الاجتماعية ومتطلبات المجتمع الاستهلاكي .

عدا ذلك يتبقى ٣٧٪ تقريبا من الجالية ، وهم ما يمكن اعتبارهم القوى المنتجة ، والذين يعطون الخلفية الاجتماعية للجالية بأكملها لحظة القدوم الى الولايات المتحدة وقبل قدومهم ، من حيث هم القوى المنتجة أساسا ، حتى وبعد اعتبار الاستثناءات المذكورة أعلاه ، اذ ان هذه الاستثناءات انما تبقى عاملا مساعدا لتحسين الوضع أكثر منها وضعا جديدا . وهي لا تكون

هذا الوضع الجديد الا بعد مرور فترة من الزمن وهو ما سندرسه لاحقا .

ان القوى المنتجة تتوزع على الطبقات التالية

١) **شرائح البرجوازية المتوسطة:** الريفية (الفلاحون الملاك او المدراء الزراعيون)، ونسبتهم ٢,٥٪ من حجم القوى المنتجة ، أو التجارية (كملاكي المؤسسات التجارية والعقارات أو المصدرين وباعة المنتوجات الزراعية او مدراء الشركات بكاملها ، أو أقسام منها ووكلاء الشركات الاجنبية وموظفي الدولة أو الادارة العامة ... الخ) وحجمهم لا يتجاوز الـ ١٤٪ . (جدول ١ مكرر) . وبذلك يكون مجموع شرائح هذه البرجوازية ١٦٪

٢) **شرائح البرجوازيـة الصغيرة :** شكلت هذه الفئة من حملة الشهادات الجامعية المحترفين والتقنيين من أطباء ومهندسين ومحامين ومعلمين وأساتذة جامعات ومعاهد عليا وصيادلة وفنانين .. الخ ، شكلت نسبة ٢٦٪ من القوى العاملة .

ومن المفيد أن ننظر الى حجم هذه الشريحة بالنسبة لحجم المهاجرين عامة ، اذ ان حجمها يعادل حوالى ١٠٪ من حجم الجالية ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار ان حجم المتعلمين الفلسطينيين من حملة الشهادات الجامعية هو ٦٠ الف (من أصل حوالى ٣ ملايين فلسطينـــي) أي حوالي ٢٪ ، واذا قارنا هذا بالحجم السابق والمتواجد في الولايات المتحدة ، أمكننا استخلاص ان الولايات المتحدة تشكل مركز استقطاب ونهب للملكات العلمية والأدمغة المتعلمة الفلسطينية بوتيرة عالية جدا لا يتناسب وحجم الجالية الفلسطينية .

كما شكلت شريحة الكتبة (ماسكي الدفاتر ، سكرتيرات ، ضاربي الة كاتبة ، سعاة بريد ، جباة ضرائب .. الخ) نسبة ٨٪ وشكلت شريحة (بائعين متجولين ، دلالين ، باعة بوليصات تأمين.. الخ) نسبة ٦٪ ، وبذلك يصل حجم البرجوازية الصغيرة بشرائحها هذه الى نسبة ٤٠٪ من حجم القوى المنتجة .

٣) **العمال :** تألفت هذه الطبقة من مشغلي الالات ، وعمال المصانع ، (سائقو الباصات والشاحنات وسيارات الأجرة ، قاطع تذاكر وجامعها في الباصات والقطارات ـ غزالون ، صباغون ، مشغلو الالات في المناجم والمصانع ، مشحمو الالات ، محمضو الافلام ، لحامو اوكسجين ، عمال المصانع والمستودعات .. الخ) وهم يشكلون ١٤٪ . ومن شريحة الحرفيين وكبار العمال أو العمال المهرة أمثال الخبازين والحدادين والنجارين والبنائين والكندرجية وعمال الكهرباء والخياطين والمشرفين على العمال في الورش .. الخ وهم يشكلون ١٧٪.ومن شريحة عمال الخدمات (طباخو مطاعم وفنادق ، النادلون والنادلات في المطاعم ، عتالون ، حلاقون ، أذنة ، قابلات ، بوابون .. الخ) ويشكلون ٦,٥٪.ومن شريحة عمال المنازل ، ويشكلون نسبة ١٪ .

أما الشرائح الزراعية ، التي تضم فئة العمال الزراعيين والزراعيين المهرة (عمال أجرة ، رعاة ، المشرفون على العمل الزراعي في المزارع .. الخ) فتشكل نسبة ٥٪ .

وبذلك تشكل طبقة العمال بشرائحها المختلفة نسبة ٤٣,٥٪ من حجم القوى المنتجة .

ان التحليل السابق يوضح ان الغالبية العظمى من القوى المنتجة الفلسطينية المهاجرة الى الولايات المتحدة هي من الطبقات الكادحة (البرجوازية الصغيرة ٤٠ + ٤٣,٥ عمال = ٨٣,٥٪) . وهو يعني ان ٨٣,٥٪ من المهاجرين هم من الفئات الكادحة لحظة قدومهم الى الولايات المتحدة . وقد هاجرت هذه الفئات المختلفة بهدف التخلص من الظروف السياسية والاقتصادية التي تعانيها ، وبهدف الحصول على العمل المفقود في الوطن والموضوع ، اذا وجد ، تحت خطر الموت والدمار . ويجب الانتباه الى ان هذا التوزيع يقوم على ما سجلته دوائر الهجرة الامريكية أو يقوم على ما هو مسجل في جوازات السفر ، وهي التي تحدد نوع المهنة السابقة ولا تحدد الوضع بالضبط كاشفة نوع البطالة . ولذا نرجح بأنه بالامكان اضافة نصف شرائح الطبقة المتوسطة ، خاصة الفلاحين ، والذين فقدوا أرضهم او تركوها نتيجة لتدابير العدو الصهيوني التوسعية ، والتي تهدف الى الاستيلاء على الأرض . وهذا يعني ارتفاع نسبة المهاجرين الفقراء الى ٩٠٪ أو أكثر من ذلك . وهذا ما سنحاول توضيحه ، اذ ان السؤال بعد هذا . ماذا حصل لهذا الجيش من المهاجرين الذين جاؤا لبيع أنفسهم في سوق العمل المأجور ، وبأي ثمن ، وبما في ذلك الطبقة المتوسطة ؟

ان المعطيات الديمغرافية غير متوفرة ، لتقدم لنا الاجابة المطلوبة عن مصير القوى المنتجة بكاملها . لذا سيتم التعرض لهذا الموضوع بالاعتماد على من يتجنس منهم في سنة التجنيس فقط بالنسبة لكل منهم . ان هذا الاعتماد بطبيعة الحالة يعني دراسة ١/٣ الجالية المهاجرة (بعد سنة ٥٩) تقريبا ، أي العدد المتجنس وهو ١٠٦٩٣ ، ويعني دراسة ٦٥٪ من القوى المنتجة المتواجدة فقط . كما ان الاعتماد يعني تقبل وضع متحرك ما قبل سنة التجنس ، ووضع سكوني ما بعد سنة التجنس ، وهو ما لا يمكن الركون اليه حتما . ومما يؤدي الى صعوبة التعميم ، ان الأخذ بهذه التحفظات لا يلغي امكانية الاستنتاج كلية ، اذ يبقى الوضع العام في الولايات المتحدة محددا لخيارات ضئيلة ، مثلما ان وضع هؤلاء المهجرين يحدد خيارات أقل .

الجدول رقم (١) تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب المهن *

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين		فلاحين ومدراء		مدراء وموظفين رسميين وملاك مؤسسات		كتبه وما شابهها		باعة		حرفيين ، وكبار العمال .. الخ		الالات وما شابهها		عمال المنازل الخصوصيين (خدم)		عمال الخدمات عدا الخدم		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال صناعيين عدا الزراعة والمناجم		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٥٩	٦٠٧	٧٧	١٢٪	٧	١٪	٢٢	٣٪	٣٤	٦٪	٢٢	٣٪	٥٥	٩٪	٢٤	٤٪	١	—	١٠	٢٪	٢	—	٤	١٪	٣٤٩	٥٨٪
١٩٦٠	٥٣٦	٨٣	١٦٪	١٠	٢٪	٤٠	٨٪	٣٤	٦٪	٢٢	٤٪	٣٤	٦٪	١٤	٣٪	١	—	١٠	٢٪	٦	١٪	٨	٢٪	٢٧٤	٥١٪
١٩٦١	٦٥٨	٨٥	١٣٪	١٤	٢٪	٤٣	٧٪	٢٨	٤٪	١٥	٢٪	٤٦	٧٪	٨	١٪	٥	١٪	١٣	٢٪	١٢	٢٪	٩	١٪	٣٨٠	٥٨٪
١٩٦٢	٧٧١	٩١	١٢٪	٨	١٪	٤٦	٦٪	٣٢	٤٪	٢٥	٣٪	٤٦	٦٪	١٥	٢٪	—	—	١٨	٢٪	١٤	٢٪	١٢	٢٪	٤٦٣	٦٠٪
١٩٦٣	٧٥٢	٨٧	١٢٪	١٢	٢٪	٦٢	٨٪	٢٩	٤٪	٣٨	٥٪	٦٥	٩٪	٩	١٪	١	—	١٨	٢٪	١٥	٢٪	١٥	٢٪	٤٠١	٥٢٪
١٩٦٤	٧٢٦	٨٩	١٢٪	١٢	٢٪	٦٩	١٠٪	٣١	٤٪	٤٧	٧٪	٢٢	٣٪	٢٥	٣٪	١	—	١٥	٢٪	١١	٢٪	١٦	٢٪	٣٨٨	٥١٪
١٩٦٥	٧٠٢	٧٠	١٠٪	١٤	٢٪	٩٦	١٤٪	٢٩	٤٪	٤٥	٦٪	٣٢	٥٪	٢٢	٣٪	٣	١٪	١٦	٢٪	٧	١٪	٩	١٪	٣٥٩	٥١٪
١٩٦٦	١٣٢٥	١٢٤	٩٪	٣٤	٣٪	٩٦	٧٪	٤٤	٣٪	٤٣	٣٪	١٠٢	٨٪	٣٥	٣٪	٥	١٪	٢٦	٢٪	١٧	١٪	٢٩	٢٪	٧٧٠	٥٨٪
١٩٦٧	١٦٠٤	١٧٥	١١٪	٢٥	٢٪	٨٢	٥٪	٦٠	٤٪	٣٣	٢٪	١٢٢	٨٪	٤٣	٣٪	١٢	٣٪	٢٨	٢٪	١٠	١٪	٢٣	١٪	٩٩١	٦٢٪
١٩٦٨	٢٠١٠	١٨١	٩٪	٢١	١٪	٦١	٣٪	٦٤	٣٪	٣٩	٢٪	١٢٣	٦٪	٤٢	٢٪	٩	٣٩	٢٪	١٣	١٪	٣٤	٢٪	١٣٨٤	٦٩٪	
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٢٢	٨٪	٤٥	٢٪	١٠٤	٤٪	٦٥	٢٪	٤٧	٢٪	١٨٣	٧٪	٦٦	٣٪	٨	—	٣٤	١٪	٣٣	١٪	٤٠	٢٠٪	١٧٨٠	٦٨٪
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٥٤	٩٪	٤٧	٢٪	١٠٤	٤٪	٨٧	٣٪	٧١	٢٪	٢٢١	٨٪	٨٦	٣٪	١٩	١٪	٥٠	٢٪	٢٢	١٪	٦٧	٢٪	١٨١٩	٦٤٪
١٩٧١	٢٥٨٨	٢٤٩	١٠٪	١٩	١٪	١١٢	٤٪	٦٧	٢٪	٥٤	٢٪	١٧٤	٧٪	٨١٠	٤٪	١٢	١٪	٧١	٢٪	٥١	٢٪	٥٤	٢٪	١٦١٥	٦٣٪
١٩٧٢	٢٧٥٦	٣٠٠	١١٪	٢	—	١٨٦	٧٪	٦٣	٢٪	٧٤	٣٪	١٦٥	٦٪	٨٣	٣٪	١٤	١٪	٧٠	٢٪	١٠٤	٤٪	٦٠		١٦٣٥	٥٩٪
١٩٧٣	٢٤٥٠	٢٥٧	١١٪	١	—	١٣١	٥٪	٥٥	٢٪	٤٧	٢٪	١٢٢	٥٪	٩٩	٤٪	١٤	١٪	٨٧	٤٪	٧٠				١٤٩٧	٦١٪

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين .. الخ		مدراء واداريين عدا الزراعة		باعة		كتبه وما شابههما		حرفيين وما شابههما		الالات وما شابههما		ميكانيكي اجهزة المواصلات		عمال صناعيين عدا الزراعة		فلاحين ومدراء زراعيين		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل الخصوصيين "الخدم"		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٧٤	٢٨٣٨	٢٢١	٨٪	١١٨	٤٪	٤٣	٢٪	٨٠	٣٪	١٤٦	٥٪	٤٥	٢٪	٤٤	٢٪	١٠٤	٤٪	—	—	٩١	٣٪	٩٠	٣٪	١٢	—	١٨٤٤	٦٥٪
١٩٧٥	٢٥٧٨	٢٠٤	٨٪	١١١	٤٪	٣٠	١٪	٦٧	٣٪	١٦٢	٦٪	٤٩	٢٪	٢٣	١٪	٥٩	٢٪	٥	—	٥٤	٢٪	٧٨	٣٪	—	—	١٧٣٦	٦٧٪
١٩٧٦	٢٥٦٦	٢١٨	٩٪	١٤٠	٩٪	٢٨	١٪	٨٢	٣٪	١٢٥	٥٪	٤٧	٢٪	٣٠	١٪	٧٩	٣٪	٥	—	٣٥	١٪	٥٩	٢٪	٤	—	١٧١٤	٦٧٪
المجموع	٣٠٩٢٦	٣٩٨٧	١٠٪	١٦٣٢	٥٪	٧٢٣	٢٪	٩٥١	٣٪	١٩٤٥	٦٪	٩٣٢	٣٪	٩٧	—	٦٩٢	٢٪	٢٨١	١٪	٣٥٧	١٪	٧٢٧	٢٪	١٢١	١	١٩٢٩٩	٦٢٪

* إبتداء من عام ١٩٧٤ تغير تقسيم المهن من ١٢ تصنيف الى ١٣ تصنيف كما وغير ترتيب التصنيفات كذلك .

** عند جمع النسب المئوية لجميع الفئات يخرج المجموع اكثر من ١٠٠٪ اما بزيادة ١,٥٪ او ٢٪ كحد اقصى وذلك عائد لفارق التقريب النسبي ،(أي اكبر من ٥٠ وكان يقرب الى ١٪ واصغر من ٤٩ وكان يقرب الى صفر) ،حيث كان مجموع التقريب في الغالبية السابقة يصل الى ١٠٠٪ ولكنه في الحالات المشار اليها لم يحصل التطابق

الجدول رقم (١) مكرر
تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب المهن

العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفون والتقنيون الخ ..		مدراء اداريون عدا الزراعة		باعة		كتبة وما شابههم		حرفيون وما شابههم		ميكانيكيو اجهزة مواصلات		عمال صناعيون عدا الزراعيين		فلاحون ومدراء زراعيون	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١١,٥٢٧	٢٩٨٧	٪٢٦	١٦٢٣	٪١٤	٧٢٣	٪٦	٩٥١	٪٨	١٩٤٥	٪١٧	٩٧	٪١	٦٩٣	٪٦	٢٨١	٪٢,٥

عمال وكبار عمال زراعيون		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل وخصوصا الخدم		عمال وما شابههم	
العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٥٥٧	٪٥	٧٢٧	٪٦,٥	١٢١	٪١	٨٢٢	٪٧

الجدول رقم ٢

تقسيم المتجنسين حسب المهن *

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين .. الخ .		فلاحين ومدراء زراعيين		مدراء وموظفون رسميون وملاك مؤسسات		كتبة وما شابههم		باعة		حرفيون وكبار العمال .. الخ .		الآلات وما شابهها		عمال المنازل الخصوصيين « خدم »		عمال الخدمات عدا الخدم		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال صناعيون عدا الزراعة والمناجم		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	
١٩٥٩	٢٠٩	٢٨	١٣٪	—	—	٢٢	١١٪	٤	٢٪	١٨	٩٪	٢٤	١١٪	٢٤	١١٪	١	—	٩	٤٪	—	—	٤	٢٪	٧٥	٣٦٪
١٩٦٠	٢٢٧	٤٣	١٩٪	١	—	١٦	٧٪	١١	٥٪	٢٢	١٠٪	١٧	٧٪	٢٣	١٢٪	٢	١٪	٦	٣٪	—	—	٦	٣٪	٨٠	٣٥٪
١٩٦١	٢٨٧	٢٨	١٠٪	١	—	٣٠	١٠٪	٢٠	٧٪	٣٤	١٢٪	٣٤	١٢٪	٢٧	٩٪	٢	١٪	١٤	٥٪	١	—	١٩	٧٪	٧٧	٢٧٪
١٩٦٢	٥٦٥	٥٢	٩٪	—	—	٤١	٧٪	٥٨	١٠٪	٥٢	٩٪	٧٠	١٢٪	٥٦	١٠٪	—	—	٥٥	١٠٪	—	—	٣٣	٦٪	١٤٨	٢٦٪
١٩٦٣	٤٣٥	٥١	١٢٪	—	—	٣٦	٨٪	٣٢	٧٪	٣٣	٨٪	٤٠	٩٪	٢٧	٦٪	٣	١٪	٣٥	٨٪	—	—	١٨	٤٪	١٦٠	٣٧٪
١٩٦٤	٣٣٣	٤٦	١٤٪	—	—	٣٤	١٠٪	٢٤	٧٪	١٩	٦٪	٢٥	٨٪	٢٥	١٪	٢	١٪	٢٥	٨٪	—	—	١٢	٤٪	١٢١	٣٦٪
١٩٦٥	٣٩٠	٦٦	١٧٪	—	—	٣٦	٩٪	٢٤	٦٪	٣٣	٩٪	٣٢	٨٪	٢٩	٧٪	١	—	١٨	٥٪	—	—	٩	٢٪	١٤٢	٣٦٪
١٩٦٦	٤٠١	٣٦	٩٪	—	—	٥٢	١٣٪	٣٧	٩٪	٣٠	٨٪	٣٠	٨٪	٢٣	٦٪	١	—	٢٩	٧٪	—	—	٦	١٪	١٥٧	٣٩٪
١٩٦٧	٣٨٤	٥٢	١٤٪	—	—	٣٨	١٠٪	٢٦	٧٪	٤٤	١١٪	٢٩	٨٪	٢٧	٧٪	١	—	١٩	٥٪	١	—	٨	٢٪	١٣٩	٣٦٪
١٩٦٨	٣٩٩	٥٦	١٤٪	١	—	٤٨	١٢٪	١٩	٥٪	٣٨	١٠٪	٢٤	٦٪	٣٥	٩٪	—	—	٣١	٨٪	١	—	١٣	٣٪	١٣٣	٣٣٪
١٩٦٩	٣٩٧	٥٠	١٣٪	—	—	٥٤	١٤٪	٢٦	٧٪	٣٣	٨٪	٢٩	٧٪	٢٨	٧٪	—	—	٢٦	٧٪	—	—	١٣	٣٪	١٣٨	٣٥٪
١٩٧٠	٤٢٩	٤٦	١١٪	—	—	٦٠	١٤٪	٢٨	٧٪	٤١	١٠٪	٢٨	٧٪	٣٦	٨٪	—	—	٢٨	٧٪	—	—	١٣	٣٪	١٤٩	٣٥٪
١٩٧١	٥٤٤	٧١	١٣٪	—	—	٧٩	١٥٪	٢٥	٥٪	٣٧	٧٪	٣٥	٦٪	٤٣	٨٪	—	—	٣٦	٧٪	١	—	١٩	٣٪	١٩٨	٣٦٪
١٩٧٢	٨٥٤	١٢٢	١٤٪	—	—	١٢١	١٤٪	٤٩	٦٪	٦٧	٨٪	٦١	٧٪	٦٠	٧٪	١	—	٥٢	٦٪	—	—	٣٥	٤٪	٢٨٦	٣٤٪
١٩٧٣	١٠٠٦	١٠٩	١١٪	—	—	١٤٢	١٤٪	٦١	٦٪	٧٩	٨٪	٨٤	٨٪	٦٤	٦٪	٢	—	٤٠	٤٪	٢	٠٪	٥١	٥٪	٣٧٧	٣٨٪

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين .. الخ		مدراء واداريون عدا الزراعة		باعة		كتبة وما شابههم		حرفيون وما شابههم		الالات وما شابهها		ميكانيكيو اجهزة المواصلات		عمال صناعيون عدا الزراعة		فلاحون ومدراء زراعيون		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل الخصوصيين «الخدم»		امهات واطفال وعاطلون عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٧٤	١١٥٧	٩٩	٪٩	١٥٧	٪١٤	٧٧	٪٧	٧٥	٪٦	٩١	٪٨	٨٤	٪٧	٩	٪١	٥٦	٪٥	—	—	١	—	٤٣	٪٤	٣	—	٤٦٢	٪٤٠
١٩٧٥	١٣٦٤	١٥٤	٪١١	١٩٨	٪١٥	٧٦	٪٦	٩٤	٪٧	١٢٨	٪٩	١١١	٪٨	١١	٪١	٦٣	٪٥	١	—	٢	—	٦٢	٪٥	١	—	٤٦٣	٪٣٤
١٩٧٦	١٣١٢	١٤١	٪١١	٢٠٠	٪١٥	٩٥	٪٧	٧٧	٪٦	١٠٩	٪٨	١٠١	٪٨	١٢	٪١	٤٩	٪٤	—	—	١	—	٦٩	٪٥	١	—	٤٥٧	٣٥
المجموع	١٠٦٩٢	١٢٥٠	٪١٢	١٢٦٤	٪١٢	٨٢٨	٪٨	٦٩٠	٪٧	٨٩٠	٪٨	٨٣٢	٪٨	٢٢	٪١	٤٢٧	٪٤	٤	١	١٠	١	٥٩٧	٪٦	٢١	١	٢٧٦٢	٪٢٥

ثانيا : الواقع الاجتماعي للفلسطينيين المتجنسين

في البدء نذكر الملاحظتين التاليتين حول هؤلاء المتجنسين : ١)ان العدد الاجمالي للمتجنسين هو ١٠٦٩٣ خلال الاعوام ٥٩ ــ ٧٦ (الجدول رقم ٢) . ويجب ان يضاف لهذا العدد ما مقداره ١٥٦٥٧٢، وهو الناتج عن الزيادة الطبيعية وهم المولودون في امريكا ، والذين يحصلون على الجنسية الاميركية تلقائيا ، فيكون مجموع المتجنسين من الجالية هو ٢٦٣٦٥ اي ما نسبته ٤٨٪ وهذه النسبة يجب ان ترتفع نتيجة لعدم وجود احصاء عن المتجنسين ما قبل العام ٥٩ . ويمكن استخدام النسبة اياها (كحد ادنى) لاستخلاص عدد المتجنسين لما قبل العام ٥٩ . ان عدد المهاجرين ما قبل العام ٥٩ هو ٦٤٢٩ ، وبحسب الفرض المتقدم يكون عدد المتجنسين منهم هي ٣٠٨٥ ، ويكون مجموع عدد المتجنسين المفترض هو ٢٩٤٥٠ ، اي ما نسبته ٥٤٪ من مجموع الجالية كحد ادنى .

وهذه الارقام تشير الى واقع مفروض على الجالية ، ومضطرة للتعامل معه لادامة الاقامة ، ولايجاد العمل المناسب . لكن هذه الارقام تشير من ناحية اخرى الى واقع سياسي مر ، ولا تظهر خطورته الضخمة الا بعد مضي زمن ما ، وعندها يصبح ما هو مقبول اضطرارا عبارة عن الامر الواقع . وبذلك تنتقل من قضية تكيف مع المجتمع الجديد الى قضية اندماج بالمجتمع الجديد ، بكل ما يعنيه الاندماج من الحنين الى الماضي ، ومن الانسلاخ عن الواقع السياسي الفلسطيني ، كهوية وكشخصية وطنية ومواطنية ، ومن انسداد افق العلاقات مع الوطن ، والتي تتحول بعد جيلين او اكثر الى مجرد خطوط رقيقة هشة ، تشير وجدانيا الى الاصل لا اكثر ! ان السؤال المنطقي في هذه الحالة الخاصة ليس، هل نجح تنظيم الهجرة بما لم تستطع مشاريع التوطين صنعه ؟ بل هو كيف يمكن ، ضمن معطيات هذا الواقع ، تنظيم المهاجرين ، لتثبيت شخصيتهم الوطنية الفلسطينية ، ولا بقاء العلاقة المتينة مع الوطن كجالية فلسطينية مغتربة ، على نحو محدد ! وهو ما سنعالجه لاحقا .

٢ ــ الملاحظة الثانية . ان الجدول رقم ٢ يوضح ان نسبة الامهات والاطفال والعاطلين عن العمل هي ٣٥٪ ، اي ان عددهم ٣٧٦٢ من عدد المتجنسين المذكورين . وقد سبق ان حددنا ان العاطلين عن العمل عددهم ١٥ شخصاً ، مما يدل على كون العطل عن العمل راجع الى كبر السن او الى عدم القدرة على الاعالة وما شاكل ذلك، مع ملاحظة ان السن التي تسمح بالتمييز ، بحسب المعطيات الاحصائية هي سن العشرين ، وبذلك حسب الطلاب ضمن هذه النسبة ، وقد سبق ان ذكرنا ايضا ان نسبة هؤلاء انخفضت نتيجة لاضطرار من هم دون العشرين ، وكذلك النساء والعاطلين عن العمل للاسباب المذكورة ، للعمل لتأمين الحياة ، وهذا الاضطرار يدفعهم الى تقبل اي نوع من العمل ، مهما تدنت نوعيته .

على ضوء هذا ، يجب ان تضاف الى هؤلاء نسبة مفترضة ، هي ٣٠٪ والتي تحدد نسبة الاناث في العام ٥٩ ، لتحديد نسبتهم فيما قبل ذلك بصورة تقريبية اي ما قيمة ١٩٢٥ . وكذلك يجب اضافة الزيادة الطبيعية وهي ١٤٦٤٣ (للاعوام ٥٧ ــ٧٦ ، وبعد حذف الزيادة الطبيعية لما قبل عام ٥٧ نتيجة لكون المولودين اصبحوا فوق العشرين) وبذلك يكون مجموع هؤلاء هو ١٩٣٣٠ ، اي ما نسبته ٦٦٪ من مجموع الجالية المتجنسة ، وهي نسبة مرتفعة جدا تتعدى النسب الموجودة في الوطن اصلا . ان معظم هذه النسبة ، كما هو واضح ، هم من الشباب دون ٢٠ ، وهي فئة عاطلة عن العمل بحكم صغر السن من ناحية ، وبحكم

ارتفاع نسبة العاطلين عن العمل بين الشباب في امريكا اصلا لسوء الحالة الاقتصادية بعد انتهاء حروب جنوبي شرق آسيا ، وعلى سبيل المثال فان نسبة العاطلين عن العمل بين شباب الاقليات (الاثنية غير البيضاء) يفوق ٣٠٪ في بعض الاحيان . واذا كانت المعلومات غير متوفرة عن هذه الفئة المتجنسة ، كفئة فلسطينية ، فان المعلومات المعروفة عن الشباب الاميركي عامة ، وما يعانيه من اضطرابات واستلاب ، يعكس الى حد بعيد واقع هذه الفئة المولودة هناك .

من هنا فان استخلاص الاساسي هو التدني الضخم لنسبة القوى العاملة والمنتجة ، وبالاستناد الى ما تم ايضاحه اعلاه ، بعكس ما توحي به ارقام الجدول المجردة عن واقع الجالية المتعدد الجوانب ان ما تقدمه دوائر الهجرة يوضح ان نسبة القوى العاملة هي ٦٥٪ على حين ان ما اوصلت اليه هذه الملاحظة من ربط الارقام بالواقع الحقيقي للجالية يثبت ان هذه النسبة تنخفض الى ٣٤٪ عن حجم الجالية العام .

ان الدخول ، بعد ذلك ؛ بمعطيات الجدول ، وخاصة الجدول رقم ٢ مكرر ، سيكمل هذا الاستنتاج ، بايضاحه واقع القوى المنتجة ، والذي يشكل ، بحد ذاته ، واقعا اكثر مرارة لجالية كادحة تعاني مرارة البعد عن الوطن ، مثلما تعاني مرارة الكدح والاستغلال في مركز الامبريالية الاكبر .

ان الجدول يوضح انقسام القوى المنتجة الى الطبقات التالية .

١ ـ شرائح البرجوازية المتوسطة

لقد اندثرت من صفوفها الفئة الريفية بشكل شبه كامل كما وان افراد هذه الفئة قد هبطوا تماما وبغالبيتهم الساحقة الى مستوى شرائح البرجوازية الصغيرة حسب ظروف الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة . ومع انه يوجد اعداد قليلة جدا من بين صفوف هذه الفئة ممن ينتمون حقا للبرجوازية المتوسطة التجارية (ملاك الشركات بيع الجملة للمواد التي يشتريها الباعة المتجولون منهم بغرض بيعها بالمفرق كالسجاد والساعات .. الخ) وملاك عدة محلات بيع الاغذية الكبيرة (سوبر ماركت) وملاك العقارات العديدة والاسهم باحجام كبيرة . الا ان هذا العدد يبقى هامشيا جدا ومقتصرا على بضعة افراد موجودين في بضعة مدن كبيرة بشكل اساسي (نيويورك ، ديترويت ، سان فرانسيسكو على سبيل المثال) ولهذا فان النسب الموجودة في جدول رقم ٢ تحت البند (مدراء وموظفون رسميون وملاك مؤسسات) تصبح حقا جزء من شرائح البرجوازية الصغيرة لان غالبية هذه الفئة هم من (ملاك البقالات الصغيرة والمتوسطة الحجم وملاك المطاعم والبارات وبعض العقارات المحدودة ، وكذلك بعض مدراء فرعيين لشركات صغيرة او فروعها وملاك محطات البنزين .. الخ) .

٢ ـ شرائح البرجوازية الصغيرة

تزايدت نسبة هذه الشرائح بصورة عامة لنزول شرائح البرجوازية المتوسطة الى هذه الطبقية بفقدانهم شروط العمل التي جعلتهم ينتمون الى هذه الطبقة في الوطن ، ولتبدل مقاييس الانتماء الطبقي المعتمدة في و . م . ذات التكاليف المعيشية المرتفعة . على هذا الاساس تكون هذه الشرائح مكونة مما اعتبر مدراء .. وهو ٢٠٪ وحملة شهادات ١٨٪ (انخفضت نسبتهم نتيجة لتبدل موقع العمل) وباعة ١٢٪ (ارتفعت نسبتهم الى الضعف)

وكتبة ١٠٪ (زيادة بنسبة الـ ١ / ٣ تقريبا) . وبذلك يكون حجم هذه البرجوازية الصغيرة هو بنسبة ٦٠٪ من حجم القوى المنتجة .

٣ ـ العمال

انخفضت نسبة العمال الزراعيين وعمال المنازل واجهزة المواصلات الى عدد لا يكاد يذكر وارتفعت نسبة مشغلي الالات من ٧٪ عند الهجرة الى ١٢٪ وانخفضت نسبة الحرفيين من ١٧٪ الى ١٣٪ وارتفعت نسبة عمال الخدمات من ٦,٥ الى ٩٪ وحافظت نسبة عمال الصناعة على نفسها ٦٪ . وبذلك يكون مجموع نسب العمال ٤٠٪ .

ان هذا يوضح ان العمال الزراعيين وعمال المنازل وعمال الميكانيك واجهزة المواصلات اضطروا الى تبديل موقع عملهم ، وقد اتم الانتقال الى فئة عمال الخدمات وعمال الالات . وهو ما حدث جزئيا بالنسبة لقسم من الحرفيين ، على قاعدة التكيف مع المجتمع الاميركي ومتطلباته ، باتجاه بيع قوة العمل بحسب ما يفرضه على المهاجرين .

ان محصلة هذا التحليل توضح ان مجمل الجالية الفلسطينة بعد التجنس هي من الطبقتين الدنيتيـــن البرجوازية الصغيرة والعمال . فاذا اضفنا الى ذلك ما تم استخلاصة عن القسم غير المدروس اتضحت حقيقة اوضاع هاتين الطبقتين عبر عملية التحول الاجتماعية التي يتعرضون لها .

وبما ان الجالية الفلسطينية تمر بمرحلة انتقالية سركبة الخصائص فهي تحوى على جيش من المهاجرين سنويا وكذلك تحوي على جيش من المولودين سنويا ، وان خصائص هذه الجالية لا تزال متاثرة بشكل اكبر بخصائص مقارنة الاوضاع المزرية في البلدان التي قدم منها المهاجرون من الاوضاع في امريكا (والتي تبدوا فيها بان الاوضاع الامريكية افضل للقادمين حديثا) بحكم طغيان حجم المهاجرين على المولودين . ولكن ما ان يحسم هذا الوضع الاستثنائي لصالح المتوالدين والذي يتزايد باضطراد لتصبح الجاليـة الفلسطينية باغلبها بعد حين جالية من الجيل الثاني . عندها يصبح الفلسطينيون في امريكا اجتماعيا ،جزء من هذا المجتمع بخصائصه العديدة وبمآسيه ومشاكله وتطاحناته الحادة . سيجاب على التساؤل حين ذاك ، هل حقا جاء الفلسطينيون الى بلاد العسل والرخاء ام جاؤا الى بلد اخر من بلاد العذاب والشقاء ؟ .

الجدول رقم ٢ مكرر
تقسيم القوى المنتجة المتجنسة حسب المهن

العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفون أو التقنيون		مدراء واداريون عدا الزراعة		باعة		كتبة وما شابههم		حرفيون وما شابههم		مشغلوا الآلات وما شابههم		ميكانيكو اجهزة مواصلات		عمال صناعيون عدا الزراعة	
	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة
٦٩٣١	١٢٥٠	٪١٨	١٣٦٤	٪٢٠	٨٢٨	٪١٢	٦٩٠	٪١٠	٨٩٠	٪١٣	٨٢٣	٪١٢	٣٢	—	٤١٧	٪٦

فلاحون ومدراء زراعيون		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل الخصوصية الخدم	
عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة
٤	—	١٠	—	٥١٧	٪٩	٢١	—

الجدول رقم ٣

توزع المهاجرين حسب كثافتهم السكانية في الولايات المختلفة

السنة	العدد الاجمالي	كاليفورنيا		الينويز		نيويورك		ميشغن		نيوجرسي		اوهايو		تكساس		بنسلفانيا		مستوستس		فلوريدا		بورتوريكو		فرجينيا		ميرلاند		واشنطن		بقيـــة الولايات	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٦١	٥٦٤٤	١١٤٨	٢٠٪	٧٣٥	١٣٪	٦٩٩	١٤٪	٤٦٣	٨٪	٣٠٠	٥٪	٢٦٥	٥٪	١٩٧	٣٪	٢١٣	٤٪	٢٠٤	٤٪	١٢٦	٢٪									١٢٩٤	٢٣٪
١٩٦٢	٤٤١٩	٩٩٨	٢٢٪	٥٣٩	١٥٪	٥٣٨	١٢٪	٣٨٣	٩٪	١٨٥	٤٪	١٦٥	٤٪	١٤٧	٣٪	١٦١	٤٪	١٦٣	٤٪	١٢٠	٣٪									١٩٥	٢١٪
١٩٦٣	٤٢١٤	٩٠٢	٢١٪	٦٨٩	١٦٪	٥٥٣	١٣٪	٣٦٤	٩٪	٢٣٥	٦٪	١٤٥	٣٪	١٢٦	٣٪	١٢٩	٣٪	١١٢	٣٪	١١٧	٣٪									٨٤٣	٢٠٪
١٩٦٤	٤١٢٧	٩٢١	٢٢٪	٥١١	١٢٪	٥٣٨	١٣٪	٥١١	١٢٪	٢٥١	٦٪	١٣٧	٣٪	١٣٤	٣٪	٤٦	١٪	٩٩	٢٪	١٤٥	٤٪									٨٣٤	٢٠٪
١٩٦٥	٤٢٣١	٩٤٠	٢٤٪	٥٠٠	١٢٪	٥٩٣	١٤٪	٤١٠	١٠٪	٢٧٤	٦٪	١٤٢	٣٪	١٤٦	٣٪	١٣١	٣٪	١٣٣	٣٪	١٣٩	٣٪									٨٢٤	١٩٪
١٩٦٦	٤٤٨٢	٩٨٦	٢٢٪	٥٢٣	١٢٪	٥٩٠	١٣٪	٤٠٧	٩٪	٢٦٣	٦٪	١٧٦	٤٪	١٣٨	٣٪	١٢١	٣٪	٩٩	٢٪	١٤٨	٣٪									١٠٣٢	٢٣٪
١٩٦٧	٥٦٤٦	١٠٨٤	٣٩٪	٧٥٣	١٣٪	٧٢٦	١٣٪	٥٩٤	١١٪	٢٦١	٦٪			١٦٢	٣٪	١٣٩	٣٪	١٢٥	٢٪	٩٦٣	٣٪									١٥٣٩	٢٧٪
١٩٦٨	٦٩٩٤	١٤١٧	٢٠٪	١٠٧٥	١٦٪	٩٢٠	١٣٪	٧٨	١١٪	٢٦٦	٥٪	٣٢٧	٥٪	١٩٠	٣٪	١٤٥	٣٪	١٢٣	٢٪	١٩٦	٣٪									١٤٣٥	٢١٪
١٩٦٩	٨٦٧٢	١٧٩٤	٢١٪	١٤٢٣	١٦٪	١١٢٣	١٢٪	٩٤٤	١١٪	٤٤٧	٥٪	٤١١	٥٪	٢٢٦	٣٪	١٧٨	٣٪	١٥٥	٢٪	٢١٣	٣٪									١٧٥٨	٢٠٪
١٩٧٠	٩٠٥٨	٢٠٠٩	٢٢٪	١٥١٩	١٧٪	١١١١	١٢٪	٧٤٣	٨٪	٤١٤	٥٪	٤٧٦	٥٪	٢٣٥	٣٪	١٩٨	٣٪	١٥٠	٢٪	١٩٣	٣٪									٢٠٠٦	٢٢٪
١٩٧١	١٠١٢٦	٢٣٧٢	٢٢٪	١٤٣٢	١٤٪	١٣٦٥	١٣٪	١٢٢٩	١٢٪	٧٤	١٪	٤٦٥	٥٪	٢٩٧	٣٪	٢٠٢	٣٪	١٧٩	٢٪	٢٣	٢٪									٢٣٨١	٢٤٪
١٩٧٢	١١٢٥٨	٢٣٧٤	٢٣٪	١٦٣٨	١٥٪	١٢٤٥	١١٪			٨٤٦	٨٪	٤٥٩	٤٪	٣١٦	٤٪	٢١٤	٢٪	٣٠١	٢٪	٢٦٠	٢٪									٢٤١٥	٢١٪
١٩٧٣	١٢٠٣٥	٢٤٣١	٢٠٪	١٧٧١	١٥٪	١٤٣٨	١٢٪	١٣٣٩	١١٪	٨٦١	٧٪	٥٩٣	٥٪	٣٣٩	٣٪	٢٤١	٢٪	١١٨	١٪	٢٩٠	٢٪									٢٦١٤	٢٢٪
١٩٧٤	١١٣٥٥	٢٦٦٥	١٩٪	١٧٢٢	١٥٪	١٣٥٣	١١٪			٣٣٠	٦٪	٥٠٢	٤٪	٣٩٨	٤٪	٢٤٢	٢٪	١٠٩	١٪	٢٣١	٢٪									٢٧٣٠	٢٤٪
١٩٧٥	١٣١٢٧	٣٦٤٠	٢٠٪	١٩٧٨	١٥٪	١٥٦٧	١٢٪	١٤٩٠	١١٪	٨٧٤	٧٪	٥٨٦	٤٪	٤٣٨	٣٪	٢٤٤	٥٪	٢٣٨	٢٪	٢٩٣	٢٪	٤٢١	٣٪	٢٧٨	٢٪	٣٩٢	٣٪	٨١	١٪	٦٠٧	١٢٪
١٩٧٦	١٢٠٢٩	٣٤٦٦	٢١٪	١٧٥٨	١٢٪	١٤٦١	١٢٪	١٣٥٣	١١٪	٨٥٧	٧٪	٤٩	٤٪	٤١١	٣٪	١٩٥	٢٪	٢٣١	٢٪	٢٥٠	٢٪	٤٠٤	٣٪	٣٦٧	٢٪	٣٥١	٣٪	٦٩	١٪	١٤٦٠	١٢٪

ملاحظة : بالنسبة للمربعات الفارغة فانه لم تتوفر الارقام حسب تقارير دائرة المهاجرة لتلك الأعوام . كما وان هناك في بعض الاعوام مشكلة تقريب نسبي كما بين تحت حاشية ** الجداول ١٢ و١٣ .

اين يتواجد الفلسطينيون وكيف نظموا انفسهم

اين يتواجد الفلسطينيون في ولايات اميركا ؟ : يبرز جدول رقم ٣ ، الكثافة السكانية للفلسطينيين في الولايات المتحدة المختلفة ، ويتمركز الفلسطينيون في ولاية كاليفورنيا اكثر من أي ولاية اخرى . ويتواجدون في كاليفورنيا بنسبة ٢١٪ من مجموع الفلسطينيين في القارة (اي حوالى ١١,٠٠٠ شخص فلسطيني يقطنون كاليفورنيا). ويلي كاليفورنيا ولاية الينويز حيث يتواجدون بنسبة ١٥٪ من المجموع العام (اي حوالى ٨,٢٥٠ شخص) ثم ولاية نيويورك التي يتواجد بها الفلسطينيون بنسبة ١٣٪ من المجموع العام (اي حوالى ٧,١٥٠ شخص) فولاية ميشغن حيث حجم الجالية بها ١٠٪ من المجموع العام (اي حوالى ٥,٥٠٠ شخص) وبعد ذلك ولاية نيوجرسي بحجم ٦٪ من مجموع الفلسطينيين في اميركا (اي حوالى ٣,٣٠٠ شخص) ، يلي نيوجرسي ولاية اوهايو حيث يتواجد بها الفلسطينيون بنسبة ٤٪ من مجموع الفلسطينيين العام في اميركا (اي حوالي ٢,٢٠٠ شخص) ثم ولايتي تكساس وميريلاند وكذلك بورتوريكو بحجم ٣٪ لكل منها (اي ١,٦٥٠ شخص لكل ولاية) ثم ولايات بنسلفانيا وميسشوست وفلوريدا وفرجينيا بحجم ٢٪ لكل ولاية (اي حوالى ١,١٠٠ شخص في كل ولاية) ثم ولاية واشنطن بحجم ١٪ (اي حوالى ٥٥٠ شخص) . وما تبقى حوالى ١٣٪ من مجموع الفلسطينيين في اميركا (اي حوالى ٧,١٥٠ شخص) متبعثرين على عشرات الولايات المتبقية .

وتجدر الاشارة الى ان اماكن التمركز الرئيسية للفلسطينيين (المدن) هي ، في كاليفورنيا منطقة الخليج (مدينة سان فرانسيسكو) ومدينة لوس انجلوس اللتان تشكلان المركزين الرئيسيين للفلسطينيين في كاليفورنيا ، واما في الينويز فان منطقة مدينة شيكاغو تشكل نقطة التمركز الكبرى ، وفي ولاية نيويورك تشكل مدينة نيويورك وضواحيها المركز الرئيسي ومدينة يفلو المركز الثانوي ، وفي ميشغن تشكل ديترويت وضواحيها المركز الرئيسي وفي اوهايو تشكل منطقة شمال شرق الولاية (كليفلاند وينغستاون) منطقة التمركز الرئيسي . واما في تكساس فمدينتا هيوستن ودالاس تشكلان المناطق الرئيسية للتجمع . وفي بورتوريكو مدينة سان هوان وفي ميرلاند مدينة بلتمور (القريبة من العاصمة واشنطن) . وفي بنسلفانيا ، فيلادلفيا ، وفي فلوريدا مدينتا جاكسنفيلد وميامي ، وفي ميسشوستس مدينة بوسطن، وفي فرجينيا مدينتا رتشموند نورفولك ، وفي واشنطن مدينة سياتل ، والخارطة المرفقة تبرز أماكن التمركز في الولايات المختلفة والنسب لكل ولاية وأسماء مدن التجمع الرئيسية

كما وان تدقيق جدول رقم (٣) عبر السنوات لكل ولاية يبرز الى حد بعيد استقرار نسبي لحجم الجالية في كل ولاية ، وقلة التغييرات الحادة في الكثافة السكانية لكل ولاية عبر السنين . بمعنى اخر ان الجالية لا تغير بشكل ملحوظ تمركزها من ولاية لأخرى عبر السنين ، أي انها لا تقوم بهجرة داخلية في الولايات المتحدة بشكل ملموس. فمثلا الهجرة الى كاليفورنيا تذبذبت صعودا وهبوطا بمعدل تأرجح بين ١٩٪ كحد أدنى الى ٢٣٪ كحد أعلى من مجموع الفلسطينيين العام في أميركا وبالنسبة لالينويز تأرجح بين ١٢٪ الى ١٦٪ ونيويورك تأرجح بين ١٢٪ الى ١٤٪ ، وميشغن تأرجح بين ٨٪ الى ١٢٪ وهلم جرا . ولا تبرز النسب لأية ولاية زيادة أو هبوط مضطرد لتعطي مؤشرات على ان ولايات محددة بدأت تفقد سكانها الفلسطينيين ، أو

ولايات أخرى بدأت تتزايد نسبة حجم الجالية الفلسطينية بها ، ولهذا بوسعنا استخلاص النتيجة بأن الفلسطينيين قليلوا الهجرة داخل أميركا من ولاية الى أخرى .

كيف نظم الفلسطينيون أنفسهم في الولايات المتحدة ؟

مرت عملية تنظيم الفلسطينيين لأنفسهم في أميركا بمرحلتين رئيسيتين ، وكانت حرب ١٩٦٧ هي الفاصل الكبير بين المرحلتين . ففي المرحلة الأولى (ما قبل حرب ١٩٦٧) تميز العمل المنظم بينهم بين تنظيم أهل مدينة ، بلدة أو قرية مثلا، (نادي رام الله) الى المساهمة بأشكال التنظيم القومية الواسعة (الاتحاد العربي الأميركي في الخمسينات ومنظمة الطلبة العرب) . وهذان الشكلان للعمل التنظيمي جاءا كانعكاس لانتعاش الحركة السياسية القومية بين أبناء الجالية العربية (من ضمنها الفلسطينية) وخاصة في صفوف الطلبة (بعث وناصريين) تلك الحركات القومية طرحت ومارست برامجها الجماهيرية كانعكاس لفكرها الداعي لطغيان القومية على حساب طمس الشخصية الفلسطينية المستقلة والتي كانت (وما تزال) مهددة بالذوبان والاندثار على أيدي البرنامج الصهيوني الامبريالي الرجعي العربي . فعلى أيدي هذه القوى القومية « والتي كانت لوحدها في الميدان الى نهاية الستينات » لم يكن بالامكان اطلاقا بناء المنظمات الفلسطينية الخاصة ، سواء القطاعية منها أو حتى النوادي الفلسطينية كقطاعات خاصة من الفلسطينيين . هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ونظرا لعدم وجود قوى سياسية فلسطينية،غير القوى القومية هذه،بين صفوف جاليتنا في الخمسينات وبداية الستينات، بسبب ضعفها في الوطن أصلا نظرا لسيطرة التيار القومي الناصري والبعثي على الشارع الفلسطيني ، ازاء مثل هذه الظروف لم يكن بامكان العناصر الفلسطينية التواقة للتنظيم الفلسطيني الخاص الا ان تنزع نحو اشكال من التنظيم هي على معرفة بها من خلال حياتها اليومية ، أي الأشكال العائلية اوالمدينيةللتنظيم . وهذا ما تعودت عليه في الوطن قبل هجرتها قبل ١٩٤٨ أصلا ،ولهذا شكل أبرز تنظيم من هذا النمط ،هو نادي رام الله، في بداية الخمسينات . ولقد لعب نادي رام الله عبر الاعوام دورا نشطا في بناء مشاريع حيوية لأهل مدينة رام الله مثل بناء مستشفى رام الله الاهلي في مرحلته الأولى وكذلك وسع في مرحلته الثانية . ويشكل هذا المستشفى الى الان أهم مؤسسة صحية في لواء رام الله . وكذلك في مشروع مبنى بلدية رام الله الجديد وكذلك المبنى الجديد لمدرسة خليل ابو ريا على طريق رام الله ــ بيتونيا ، وكذلك مكتبة رام الله العامة بالاضافة الى فتح مراكز لأهل رام الله في المدن الكبيرة في أميركا حيث تقام بها حفلات الافراح التي يحافظ من خلالها على العديد من تراث وعادات شعبنا الفلسطيني الغالية . وبذلك ساهمت هذه المؤسسة التي تأثرت بالرياح الوطنية في السبعينات وغيرت اسمها الى نادي رام الله/ فلسطين ، بدورها وعلى طريقتها الخاصة في خدمة جزء من ابناء شعب فلسطين في الوطن والمهجر ، وطور هذا النادي عمله مؤخرا ليشكل ناديين فرعيين داخله أحدهما للشباب والثاني للمرأة ، لاكتشافهم من خلال تجربتهم أهمية بناء هذين الناديين القطاعيين نظرا للاوضاع والهموم الخاصة لهذين القطاعين .

اذن أبان تلك الفترة الأولى تميز التنظيم الفلسطيني بكونه اما تنظيماً بلدياً او مدينياً (أهل بلد أو مدينة) او (تنظيماً قومياً عربياً.) وبين هذين الشكلين التنظيميين ضاع شكل التنظيم

الفلسطيني الوطني الخاص ، الذي هو أرقى من تنظيم جزء من ابناء فلسطين لأنهم من القرية الفلانية منها، وكذلك تعبيرا عن ضرورة حفظ الشخصية الفلسطينية المستقلة بدلا من تذويبها القومي دون ان يعني ذلك انفصالية فلسطينية مطلقة ، بل تنظيمات فلسطينية مستقلة تقيم أرقى العلاقات الاخوية مع المنظمات العربية الأخرى القطرية منها والقومية ، وبهذا يصبح البعد القومي للنضال الوطني أخذا مجراه الصحيح .

أما في المرحلة التي تلت حرب ١٩٦٧ ، فلقد تميزت هذه المرحلة بولادة قوى سياسية (انصار فصائل المقاومة) وبدأت هذه الفصائل تؤثر على طبيعة العمل الجماهيري بين صفوف الجالية ، كما أثرت وتؤثر فصائل المقاومة في الوطن بعد ١٩٦٧ على مجموع الشعب الفلسطيني وكيفية تنظيمه في الداخل وبلدان الشتات . ولذلك ، ومع ان أشكال التنظيم السابقة بقيت وزاد قسم منها (نادي أهل بيت حنينا ، نادي أهل الساحل .. الخ) أو زادت فروعها (حوالى عشرين فرعا لنادي رام الله) وبقيت المنظمات القومية (منظمة الطلبة العرب) وزاد قسم منها مثل نوادي الجالية العربية الاجتماعية في نيويورك وشيكاغو .. الخ، الا انه أيضا بدأ ببناء مؤسسات فلسطينية طابعها الرئيسي الى الان اما خيري (جمعية الأراضي المقدسة ، الصندوق العربي الفلسطيني ، الهلال الأحمر الفلسطيني ، جمعية النجدة الفلسطينية) أو أعلامي ثقافي (لجنة الاعلام الفلسطيني ، المشروع الاعلامي الفلسطيني ، لجنة فلسطين الديمقراطية . الخ) وما انبثق عن هذه المؤسسات من نشرات او جرائد فلسطينية منطقية أو لعموم أميركا ، اشهرها جريدة « الموت الفلسطيني » الصادرة من لوس انجلوس والتي توقفت عن الصدور منذ فترة .

ومع بلورة البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، برنامج العودة وتقرير المصير وبناء الدولة المستقلة ، وما واكبه من تطور لبرامج تنظيم عموم القطاعات للشعب الفلسطيني في اتحاداتها الخاصة وبناء الفروع لهذه الاتحادات في جميع اماكن تواجد الفلسطينيين ، بدأنا نتلمس تأثيرات هذه البرامج على طبيعة تشكيل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في الولايات المتحدة . اذ بدأ بالنضال من أجل تشكيل فروع للاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٧٤ . وتعثرت التجربة لأسباب عديدة ، الا ان الفكرة بقيت صحيحة ليعاد العمل على تطبيقها بعد ان خرج المؤتمر الثامن للاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيروت عام ١٩٧٨ بقرار بهذا الخصوص . كما وبدأ النضال لتشكيل فروع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيروت عام ١٩٧٨ بقرار بهذا الخصوص . كما وبدأ النضال لتشكيل فروع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية كذلك منذ ١٩٧٥ ، بتشكيل فرع في منطقة نيويورك/ونيوجرسي . وبهذا شكلت بداية ممارسة تطبيق برنامج تنظيم الفلسطينيين قطاعيا بدايات مرحلة جديدة مقبلون عليها تنتشر فيها فروع المنظمات الجماهيرية القطاعية بشكل واسع ، وتتحد جميعها وأنصار فصائل المقاومة وعموم المنظمات الفلسطينية الأخرى بمؤسسة فلسطينية واحدة « مثل الكونجرس الفلسطيني في أميركا » مشكلة جميعها جبهة وطنية محلية متحدة تكون ذراع منظمة التحرير الفلسطينية بين صفوف الفلسطينيين في أميركا .

كما ان النشاط الفلسطيني بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على بدايات التحول في الأشكال التنظيمية فقط ، وانما شهد بدايات نشاطات متغيرة نوعيا لدعم نضال الشعب الفلسطيني ،

وكان تغير الأشكال التنظيمية ليس الا تمشيا مع الحاجات المتزايدة والمتلائمة مع هذه النشاطات، وأمثلة مهمة عن هذه النشاطات هي :

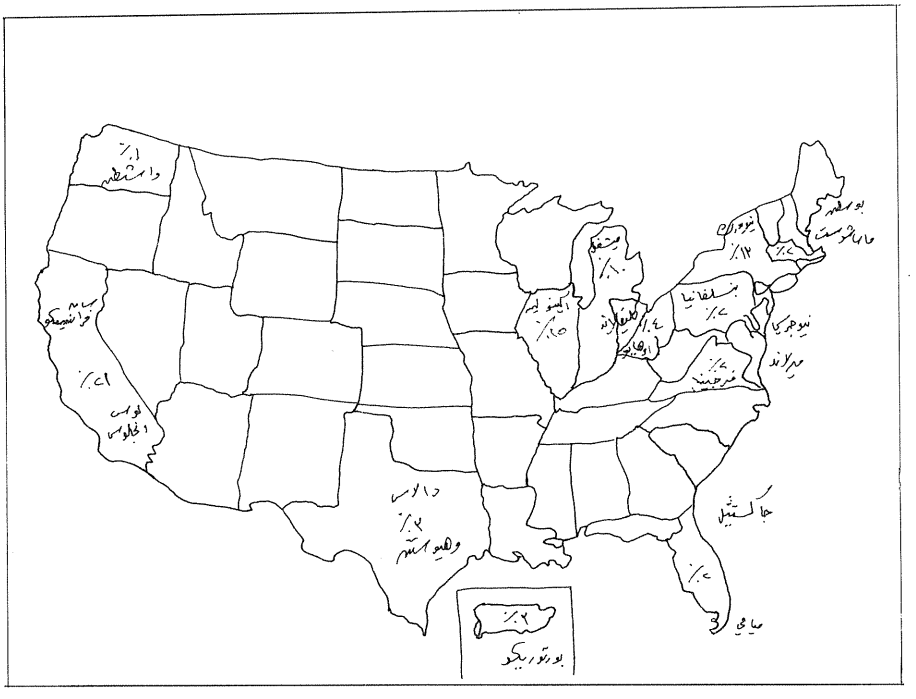

١) زيادة وتيرة الدعم المادي للمؤسسات الفلسطينية الانسانية والاجتماعية والخيرية في المناطق المحتلة ولبنان ـ أمثال الهلال الأحمر الفلسطيني في لبنان ـ وكذلك المستوصفات الصحية الفلسطينية الأخرى ، وجمعية انعاش الأسرة في البيرة ، وجمعية اسر الشهداء ، واللجان الاجتماعية الأخرى المتكفلة بعائلات الشهداء والمشوهين والمعتقلين ، وجامعة بيرزيت .. الخ . ولقد لعبت المؤسسات الخيرية الفلسطينية في أميركا الدور البارز في هذا المجال وخاصة جمعية الأراضي المقدسة .

٢) كثافة النشاط السياسي والاعلامي لصالح نضال الشعب الفلسطيني من خلال الاحتفالات العديدة بالمناسبات الوطنية والمظاهرات او المهرجانات والندوات وتوزيع المنشورات والجرائد والمجلات بانتظام على ابناء الجالية الفلسطينية والعربية .

٣) زيادة التأثير على الوسط الاميركي بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني ، وخاصة القوى التقدمية والليبرالية المتفتحة (كنائس) مما ساهم في توليد لجان تعمل لصالح دعم نضال الشعب الفلسطيني بصورة او اخرى .

ولقد شكلت مجموع النشاطات الوطنية بين صفوف الجالية ادوات فعالة في رفع درجة الوعي الوطني بين صفوف افراد الجالية ، هذا الوعي الذي اخذ بدوره يزيد من رفع وتيرة العمل الوطني بأشكاله المنظمة، وخاصة بعد حرب ١٩٧٣ الوطنية ، وتعاظم دور وسمعة منظمة التحرير الفلسطينية التي تلتف حولها الجالية الفلسطينية بشكل واسع وبحماس .

خلاصات وافاق العمل المستقبلي

اثبتت الدراسة ان الدوافع الرئيسية لهجرة الفلسطينيين لأميركا هي سياسية واقتصادية سببها وسارع من وتيرتها قيام دولة اسرائيل على أرض الفلسطينيين الوطنية وما سبب ذلك من تشرد ومآسي وظروف حياتية صعبة .

والجالية الفلسطينية بأغلبيتها في أميركا حديثة العهد نسبيا في مغتربها الجديد ، ولا يزيد عمرها أساسا عن الـ ٣٠ عاما (منذ عام ١٩٤٨) ، وكانت الحروب تدفع دائما الى تزايد عدد المهاجرين وخاصة عائلاتهم . ويبلغ عدد هذه الجالية حوالى ٥٥,٠٠٠ الف نسمة حسب ما اشارت اليه الجداول السابقة ، ويقدر عددها مع نهايات حزيران ١٩٧٩ بحوالى ١٧٠,٠٠٠ الف نسمة (حوالى ٢٪ من مجموع الفلسطينيين في العالم) . وتأتي غالبية المهاجرين (أكثر من ٨٥٪ من المجموع) من الفلسطينيين المقيمين في الأراضي الفلسطينية والأردن ، وهجرتهم في تزايد مضطرد ومعدلها في السبعينات يفوق الـ ٢٥٠٠ شخص سنويا ، وتزايدها الطبيعي يقارب الـ ٢٠٠٠ شخص سنويا مع نهاية السبعينات . ونسبة الذكور الى الاناث هي حوالى ٦٠٪ ذكور و٤٠٪ اناث، وهذه النسبة في تقارب مضطرد. وحوالى نصف عدد الجالية من ذوي الاعمار دون العشرين عاما ، ويشكل ذوو الاعمار ما بين ٢٠ ـ ٣٩ عاما حوالى ٣١٪ من المجموع العام ، وما فوق الأربعون عاما يشكلون ١٩٪ من المجموع العام ويشكل الشباب بمن فيهم الأطفال (أي فئة ما دون الثلاثين عاما) حوالى ثلثي مجموع الجالية الفلسطينية في أميركا .

وأما بالنسبة للخلفية الاجتماعية فهي خلفية كادحة تصل الى حدود ٩٠٪ من مجموع المهاجرين . وما عدا ذلك فلقد جاءوا من شرائح البرجوازية المتوسطة . أما الواقع الاجتماعي للجالية ، بعد استقرارها في الولايات المتحدة فلقد بقيت صبغته العامة كادحة ، حسب الواقع الأميركي بالطبع ، وزادت نسبة القوى غير المنتجة الى ٦٦٪ . الا ان حجم نسبة شرائح البرجوازية الصغيرة (حوالى ٦٠٪ من القوة العاملة) قد تضاعفت وكذلك العمال (٤٠٪ من مجموع القوة العاملة) . ويبرز بشكل واضح حجم الفئات الاجتماعية التالية ـ

١) ملاكو المحلات التجارية الصغيرة والمتوسطة (بقالات اساسا) وبعض المطاعم والبارات ومحطات البنزين .. الخ ، يبلغ حجمهم حوالى ٢٠٪ من مجموع القوة العاملة .

٢) حملة الشهادات المحترفون والتقنيون .. الخ (مهندسون ، اطباء، اساتذة جامعات ومدارس،محاسبون قانونيون .. الخ) ويبلغ حجم هذه الفئة حوالى ١٨٪ من مجموع القوة العاملة

٣) كما وتوجد فئات كادحة عديدة صغيرة كفئات مستقلة (أمثال الحرفيين والكتبة والبائعين ، والعمال بفئاتهم المختلفة) والذين يتحلون بالصفة الشبابية ، اي ان أعمار غالبيتهم تتراوح بين ١٨ ــ ٣٩ عاما . ويشكلون نسبة عالية حوالى ٤٠٪ من مجموع القوى العاملة .

وبالاضافة لهذه الفئات الثلاث ، تجدر الاشارة الى حجم نسبة المرأة الفلسطينية في الولايات المتحدة (٤٠٪ من المجموع العام) ، وكذلك حجم الطلبة الفلسطينيين الجامعيين الذين كان تعدادهم حوالى ١٠٠٠ طالب عام ١٩٧٦ (يحملون فيز طلبة او مهاجرين) حسب أرقام معهد التربية العالمي(٣٧) ويضاف الى هذا الرقم عدد اخر من الفلسطينيين (الطلبة) المتجنسين الذين لم يدخلوا في احصاءات معهد التربية لأنهم ليسوا اجانب . ولا يظن ان العدد يتعدى في أحسن الاحوال الـ ٢٠٠٠ طالب جامعي فلسطيني على أية حال ، اي حوالى ٤٪ من المجموع العام للفلسطينيين في أميركا .

ويتواجد الفلسطينيون في كاليفورنيا (سان فرانسيسكو ولوس انجلوس) بكثافة ٢١٪ من المجموع العام ، ومن ثم في الينويز (شيكاغو) حوالى ١٥٪ من المجموع، في نيويورك (نيويورك) حوالى ١٢٪ من المجموع العام ، وميشغن (ديترويت) حوالى ١٠٪ من المجموع ، في نيوجرسي (نيويورك) حوالى ٦٪ من المجموع ،في أوهايو (كليفلاند وينغستاون) ٤٪ من المجموع ، أي يتواجد في هذه الولايات الخمس ٣/٤ مجموع الفلسطينيين في أميركا ، ويتواجد سدس المجموع العام في سبع ولايات اضافية (بورتوريكو ، ميرلاند ، تكساس ، فلوريدا ، بنسلفانيا ، فرجينيا ، وميسشوست)، والسدس المتبقي مبعثر على العشرات من الولايات المتبقية . الفلسطينيون منظمون في نوادي البلدان والقرى (نادي رام الله بفروعه العديدة ونادي بيت حنينا ، ونادي الساحل .. الخ) وفي المؤسسات الخيرية والانسانية الفلسطينية (جمعية الأراضي المقدسة ، الهلال الأحمر الفلسطيني ، جمعية النجدة الفلسطينية ، والصندوق العربي الفلسطيني .. الخ) وبعض المنظمات الجماهيرية الناشئة كالاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، وكذلك هم منظمون في المنظمات القومية الجماهيرية (منظمة الطلبة العرب ، النوادي العربية الاجتماعية ، واتحادات البقالين العرب) ، وعلى المستوى السياسي فهناك أنصار فصائل المقاومة الفلسطينية ، كذلك أنصار الأحزاب القومية (بعث من خلال دعم جناحه الفلسطيني) .

هذه باختصار خلاصة واقع جاليتنا الفلسطينية حاليا ، ويحمل هذا الواقع في ثناياه مقومات نهوض نوعي جديد ، كما أبرزت تلك الحقائق العديدة بالارقام . فما هي آفاق تطور العمل بين صفوف هذه الجالية المتنامية كماً ونشاطاً ؟ .

ان الواقع يشير الى وجود عامل موضوعي مناسب ، وهو وجود حجوم عددية كبيرة لأبناء شعبنا من قطاعات خمسة في هذه المرحلة ولسنوات قادمة ، هذه القطاعات هي .

١) حجم كبير من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ ــ ٤٠ عاما (١/٢ السكان) وغالبيتهم من الشباب العامل في قطاعات مختلفة من وسائل الانتاج . ولكنهم لا يتواجدون بأحجام كبيرة في مهنة واحدة ، أو مصنع واحد أو مدينة واحدة للمهنة الواحدة ، ولذلك في هذه المرحلة يصعب (نتيجة قلة العدد في المهنة الواحدة في المدينة الواحدة) بناء منظمات خاصة للمهنة الواحدة ، ولذلك فان الشكل التنظيمي الممكن والمناسب هو بناء فروع لاتحاد الشباب الفلسطيني في المدن التي يتوفر فيها مئات من هؤلاء الشباب مثل نيويورك وديترويت وشيكاغو وسان فرانسيسكو .. حيث يتحد في هذه المؤسسة جميع الشباب الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل أهداف شعبهم الوطنية ، وابراز شخصيتهم الوطنية ، ودعم ممثلهم الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية ، ويطور هؤلاء الشباب تجربة جماعية مشتركة ضمن الاتحاد لحل ما يمكن حله من مشاكلهم الاجتماعية والحياتية بطريقة جماعية (كنقيض للحلول الفردية الحالية التي لا تسمح لهم بتحسين عموم وضع الشباب) نتيجة للقوة التي يمكن ان يخلقوها اذا ما اتحد مئاتهم في فروعهم المحلية ، ليتحد آلافهم في مؤتمرهم العام لجميع الفروع في الولايات المتحدة .

٢) حجم كبير من النساء (٤٠٪ من مجموع السكان) اللواتي يتواجدن بأحجام كبيرة في المدن الرئيسية كنيويورك وسان فرانسيسكو وديترويت وشيكاغو ، مما يسمح بتنظيم فروع عديدة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، حيث تتحد فيه جميع النساء الفلسطينيات المنخرطات في النضال من أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك المناضلات من أجل تحسين أوضاع المرأة الفلسطينية في أميركا من خلال تطوير الدورات التأهيلية لمحو الأمية باللغة الانجليزية وتعليم الطباعة العربية والانجليزية بهدف ايجاد وظائف ، وكذلك فتح مدارس تعليم اللغة العربية للاطفال الفلسطينيين ، وفتح المستوصفات في أماكن تجمع الجالية حيث يداوم هناك الأطباء الفلسطينيون والعرب ، وتحضر الأمهات أطفالهن للمعاينة .. الخ . أو أن تدير شؤون المستوصفات أخوات ممن يتقن اللغة الانجليزية والعربية حيث يترجمن للأطباء غير العرب (اذا تعذر توفير أطباء عرب) ما تقوله النساء اللواتي لا يتقن الانجليزية ، وما الى غيره من المهمات التي تفرضها حاجة النساء الفلسطينيات في المدن المختلفة ، بما فيها أخذ أوقات محددة على محطات الراديو والتلفزيون العربي ليبث فيها ركن للمرأة وركن للطفل .. الخ .

٣) الحجم الكبير من أصحاب البقالات الصغيرة والمتوسطة ويصل في مدن مثل سان فرانسيسكو ونيويورك الى عدة مئات ، وعشرات في شيكاغو وديترويت وكليفلاند، حيث بالامكان توحيد جميع أصحاب البقالات الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل حقوق شعبهم الوطنية .. وكذلك لتحسين أوضاعهم الاقتصادية من خلال الشراء الجماعي (تعاونية) المشترك ، وحتى امكانية تطوير شركات مساهمة متواضعة للبيع بالجملة لأصحاب البقالات وتوزع أرباحها للمساهمين المالكين من أصحاب البقالات نفسها ، وممن اراد ان يكون مالك أسهم من أبناء الجالية الاخرين .

٤) حجم كبير من الخريجين الفلسطينيين (١٢٪ من مجموع السكان) وليس سرا أن معظم أعضاء منظمة الخريجين العرب هم فلسطينيون . ولذلك بالامكان جدا تشكيل منظمة الخريجين الفلسطينيين ، التي يجب ان تبني أفضل العلاقات مع منظمة الخريجين العرب ، حيث يتوحد كذلك في صفوف هذه المنظمة جميع الفلسطينيين الخريجين المنخرطين في النضال من

أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك لتحسين أوضاع ظروف الخريجين الفلسطينيين الممثلة أساسا في تحويل المنظمة كأطار وسيط يجمع المعلومات عن الوظائف الشاغرة المئها بالخريجين الفلسطينيين . وتشكيل فروع لهذه المنظمة في ديترويت ونيويورك وسان فرانسيسكو وشيكاغو وواشنطن .. الخ .

٥) حجم ملائم من الطلبة الجامعيين الفلسطينيين لتشكيل العديد من الفروع في المدن التي يتواجد فيها على الأقل ١٥ طالباً جامعياً فلسطينياً لتتوحد جميع هذه الفروع من خلال المؤتمر العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة . ويتوحد داخل هذا الاتحاد جميع الطلبة الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك للتعامل الجماعي لحل مشاكل الطلبة أبان فترة الدراسة وقبل التخرج .

ان هناك امكانية واقعية لتشكيل العديد من الفروع لهذه المنظمات القطاعية الخمس ، وان تتوحد فروع كل قطاع من خلال مؤتمرات قطاعية في منظمة واحدة في جميع الولايات المتحدة . كما وان الأرضية متوفرة كذلك لتوحيد هذه المنظمات القطاعية الخمس وجميع منظمات أهالي المدن والقرى (رام الله ، ساحل .. الخ) والمؤسسات الخيرية الفلسطينية (هلال ونجدة .. الخ) وأنصار فصائل المقاومة في الكونغرس الفلسطيني الاميركي الموجود حاليا ، كجبهة وطنية متحدة لكل شيء منظم لأبناء الشعب الفلسطيني في أميركا ، على مستوى مركزي (عموم أميركا) وتبنى مجالس محلية في المدن الرئيسية لمندوبي جميع ما هو فلسطيني منظم في تلك المدن لتنظيم وتوجيه العمل الوطني والجماهيري الفلسطيني على مستوى المدن ايضا .

ان هذا البرنامج الجماهيري لتنظيم الجالية الفلسطينية ليس ممكنا بحكم توفر العامل الموضوعي فقط ، ولكنه أيضا ممكن جدا لتوفر العامل الذاتي كذلك (وجود طليعة ثورية منظمة للشعب الفلسطيني في الولايات المتحدة وهي انصار فصائل المقاومة) . وبهذا فان الجالية قد دخلت فعلا مرحلة النهوض المنظم الذي دخله الشعب الفلسطيني منذ سنوات في الأراضي المحتلة ولبنان ومناطق أخرى من بلدان الشتات .

وكما هو صحيح بأنه لا توجد حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، فانه صحيح تماما كذلك انه لا ثورة منظمة بدون حركة ثورية ، ولهذا فانه لم يكن بوسع الجالية الفلسطينية في الخمسينات ان تنظم نفسها بشكل خلاق جديد (ثورة) نظرا لانعدام وجود قوى ثورية بينها ، فان الصورة الان في الجزء الثاني من السبعينات تختلف تماما ، اذ انه توجد بين صفوفها طلائع ثورية مجربة انهت العقد الأول من عمرها الجديد ، وتدخل العقد الثاني من عمرها مدشنة مرحلة بناء المنظمات الجماهيرية القطاعية الواسعة ، ليصبح الشعب بعموم قطاعاته فعلا منظما ليؤثر ويتأثر بالحركة الوطنية الشاملة للشعب الفلسطيني جميعه في الداخل وبلدان الشتات .

واخيرا فان هذه الدراسة بحاجة الى تجديدها مرة كل ٥ سنوات نظرا لتدفق اعداد كبيرة جديدة من المهاجرين سنويا ، وكذلك نظرا للزيادة الطبيعية السنوية المتنامية ، مما يغير ليس فقط من العدد الاجمالي للجالية الفلسطينية وانما يغير ايضا تركيب وضعها الاجتماعي والديمغرافي ولربما أماكن تمركزها . كما وان هذه الدراسة يمكن ان تشكل نموذجا لدراسات حول الجالية العربية من الأقطار العربية الأخرى لبنان وسوريا والعراق واليمن

ومصر .. الخ ، للوصول الى صورة دقيقة عن واقع الجالية العربية ككل لمعرفة الخصائص المشتركة والفروقات كذلك ان وجدت ، لتسهيل عملية تطوير البرامج العملية سواء بين صفوف الجالية من القطر المعني او سواء لتحديد أشكال العمل المشترك بين الجاليات الأخرى من الأقطار المختلفة .

ومن المفيد ، ومن الممكن ايضا تشكيل فريق بحث ميداني لجمع ليس فقط أسماء وعناوين ابناء الجالية الفلسطينية من خلال منظمات المدن والقرى (رام الله ، بيت حنينا ، ساحل .. الخ) ولكن كذلك من خلال اجراء مقابلات مع المسنين والمسنات المهاجرين القدامى ، لجمع المعلومات عن أسباب ومشاكل الهجرة في مراحلها الأولى وعن كيفية التأقلم في أميركا ومشاكل العمل واللغة .. الخ ، للبدء في تدوين تاريخ جاليتنا المهاجرة من جميع جوانبه ، للتعلم منه من ناحية ولحفظه والاعتزاز به كتراث لجزء من شعبنا الفلسطيني يضاف لمجموع تراث الشعب الفلسطيني في الداخل وبلاد الشتات وينقل للأبناء عن الاباء دوما .

مكـرم يونـس

القيادة الميدانية الجديدة في الجيش الاسـرائيلي

جرت في الأسابيع الأخيرة ، عملية اعادة تنظيم الجيش الاسرائيلي.وقد سبقها ورافقها جدل واسع شارك فيه معظم القادة الحاليين والسابقين للجيش ، وتركز على اعادة العميد يسرائيل طال الى الجيش ، وتسليمه مهمة تشكيل القيادة الميدانية (قيادة القوات البرية) فيه .

وتنبغي الاشارة الى ان حساسية هذا الموضوع ، وخطورته بالنسبة للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، أدتا الى اخضاع ما ينشر عنه الى رقابة عسكرية مشددة ، حالت دون نشر تفاصيل مشروع طال لاعادة تنظيم الجيش بشكل عام ، وانشاء القيادة الميدانية بشكل خاص . غير ان الخلافات داخل المؤسسة العسكرية ، والجدل العنيف المسموع ، بين المؤيدين والمعارضين ، ادت الى تسريب معلومات وتفاصيل عن هذا المشروع ، تتيح تكوين فكرة عامة عما يجري من تطورات هامة في اخطر مؤسسات الكيان الصهيوني وأهمها .

ان صورة الجيش الاسرائيلي وحالته ، في اواخر سنة ١٩٧٩ ، هما اللتان حدتا بالمسؤولين عن جهاز الأمن ، اتخاذ بعض الخطوات لتنفيذ اجزاء من المشروع التنظيمي الذي كان العميد طال قد قدمه سنة ١٩٧٧ . فالأسباب الرئيسية لاعادة تنظيم الجيش من جديد ، وادخال تغييرات على الهيكلية العسكرية له ، مع بداية الثمانينات ، هي .

١ ـ « **حجم الجيش** . فبعد حرب يوم الغفران ١٩٧٣ . تضخم الجيش الاسرائيلي بشكل كبير ، بحيث اصبحت عملية ضبطه والسيطرة عليه ، خصوصا في الشؤون الادارية من اصعب المهمات ...

٢ ـ « **الميزانيات واحجامها الكبيرة :** مع تضخم الجيش ، تضخمت ميزانيته ايضا : الأمر الذي اثقل على الميزانية العامة للدولة ، وبالتالي ادى الى اقتطاع مبالغ ضخمة من الميزانيات التي يفترض ان تنفق على مجالات حيوية عدة . اضافة الى هذا [هنالك ضرورة] لضبط ميزانية الجيش وحمايتها من البعثرة والتبذير .

٣ ـ « **ضائقة القوى البشرية** : فالجيش ، في ظل التنظيم والتقسيم القديم ، استوعب طاقات بشرية وعددية هائلة . الا ان هذه الطاقات تهدر هدراً كبيراً في القيادات المزدوجة والتقسيمات والتداخلات ، بحيث تؤثر سلبا في قدرة الجيش كوحدة متكاملة ، وفي مستواه العملياتي .

٤ ـ **مشاريع التدريب والمناورات** : اضافة الى كل هذه الأسباب ، هناك سبب اخر ربما كان الأهم والأكثر الحاحا ، وهو مشاريع التدريب والمناورات ، التي اصبحت غير متجانسة تماما . ففي حالة الحرب اصبحت هذه التدريبات عقبة تحول دون أن ينفذ الجيش مهماته في الميدان بشكل كامل ، وذلك لعدم وجود الوحدة والتجانس في التدريب »[١] .

كل هذه البيانات والمعطيات ملزمة لكل من لا يريد الحفاظ على حالة الجمود في الجيش ، بالمبادرة لاعادة التنظيم العسكري من جديد . خاصة وان الحرب المستقبلية تتطلب مضاعفة وتدعيم القوات البرية ، من حيث الكم والكيف ، كما تحتم وجود تعاون مشترك بين كافة اسلحة وقطاعات الجيش المختلفة . وعلى الرغم من ان المعارضين لمشروع طال ، من القيادات العسكرية ، يقرون بضرورة التغيير واعادة تنظيم الجيش ، فانهم يزعمون ، ان بالامكان احداث هذا التغيير ، واعادة التنظيم ضمن الاطار الحالي ، دون حاجة الى انشاء قيادة ميدانية مشتركة للقوات البرية .

٥ ـ **فكرة القيادة الميدانية** : « طرحت فكرة انشاء قيادة خاصة للقوات البرية في الجيش الاسرائيلي ، لأول مرة عام ١٩٦٥ ، وبعد ذلك بحثت الفكرة ذاتها عام ١٩٦٩ ، في رئاسة الأركان العامة ، في فترة خدمة اللواء حاييم بار ـ ليف رئيسا للأركان . ثم اعيد بحث الفكرة ذاتها في فترةخدمة اللواء ديفيد اليعازر عام ١٩٧٢ . وقد رفضت الفكرة جملة وتفصيلا في كل مرة »[٢] .

ولكن على الرغم من هذا الرفض ، من قبل اعلى سلطة عسكرية ، وهي رئاسة الأركان العامة ، بقي الجيش بحاجة الى عملية اعادة التنظيم من جديد ، ثم طرحت هذه الحاجة نفسها بالحاح بعد حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، والنتائج التي ترتبت عليها ، بعد ان اتضح ، خلال الحرب ، انعدام وجود التنسيق والتعاون بين اسلحة الجيش الاسرائيلي . وخلال الحرب عمل كل سلاح وكأنه جيش خاص ، ومنفرد ، عن باقي الأسلحة الأخرى . وفي المحاولات القليلة التي كانت تستلزم التعاون والتنسيق بين الاسلحة لسد احتياجات المعركة ، كانت عملية التنسيق تأخذ وقتا طويلا ، انعكس سلبا على سير المعارك .

ونتيجة للدروس المستخلصة من الحرب ، تم « في عام ١٩٧٥ ، تكليف العميد شموئيل غونين باعداد مشروع اساسي ومفصل لقيادة القوات البرية . وبالفعل قام غونين باعداد مشروع مفصل ، قدمه لرئيس الأركان العامة اللواء مردخاي غور في العام ١٩٧٦ ، لكن المشروع جمد ، وكان على العميد يسرائيل طال اعادة دراسته من جديد للتعرف على انعكاساته وتاثيراته على مختلف قطاعات الجيش »[٣] .

مشروع القيادة الميدانية

على ضوء دراسته لمشروع العميد غونين لانشاء قيادة ميدانية للقوات البرية ، قام طال ، بتكليف من وزير الدفاع شمعون بيرس ، بوضع مشروع خاص باعادة تنظيم عمل وزارة الدفاع

ورئاسة الاركان العامة ، وكان من بين ما اقترحه طال انشاء القيادة الميدانية الخاصة بالقوات البرية . الا ان وزير الدفاع ، الذي كان قد عينه مستشارا له ، جمد المشروع ولم ينفذ من بنوده ومواده أي شيء . وهكذا حفظ مشروع طال في ملفات وزارة الدفاع ورئاسة الاركان العامة .

لكن المشروع عاد وخرج الى حيز التنفيذ بعد قرارين من وزير الدفاع عيزر وايزمن باعادة طال الى الخدمة النظامية في الجيش ، وباعادة فتح ملف قيادة القوات البرية . « ففي ١٩٧٩/١٢/١١ ، ، وبعد مناقشات دامت ثلاث ساعات ، اقرت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، التوصيات التي تقدم بها وزير الدفاع عيزر وايزمن ، وهي اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية في الجيش الاسرائيلي »(٤) .

وكما سبق وذكرنا ، فان تفاصيل المشروع لهذه القيادة لم تنشر بالترتيب وبالقدر الكافي لوضعها امام القارىء كاملة ، وذلك بدوافع السرية التي توليها السلطات العسكرية لمثل هذه المشاريع . ومن خلال الحوار والتعقيب على المشروع ، وعلى نقاط الخلاف حوله ، يمكن التعرف على بعض اجزاء منه ، ، ليس من كتابات ومقالات المعلقين العسكريين والصحفيين ، بل من ابرز القادة العسكريين الذين حاولوا ايضاح هذا المشروع بالقدر الذي يسمح لهم بعدم تجاوز قواعد السرية . ومن ابرز هؤلاء العميد اهرون ياريف .

يقول ياريف . « ستضم قيادة القوات الميدانية ، داخل اطارها ، ثلاث قيادات لضباط اسلحة رئيسيين ، اضافة الى قيادة القوات المدرعة ، التي تعتبر هي الأخرى قيادة ضابط مدرعات رئيسي . والقيادات الأربع هي . ضابط سلاح المشاة والمظلات الرئيسي ، ضابط المدرعات الرئيسي ، ضابط سلاح المدفعية الرئيسي ، ضابط سلاح الهندسة الرئيسي . ومن هذه القيادات التي يشغلها ضباط الاسلحة الرئسيين ستتشكل قيادة القوات الميدانية »(٥) .

وتنبغي الاشارة الى وجوب التمييز بين ماهية السلاح كسلاح ، وبين دور ضابط السلاح الرئيسي . وبدون هذا التمييز والتوضيح لا يمكن فهم هيكلية القوات البرية في الجيش الاسرائيلي ، وبالتالي لا يمكن فهم موضوع قيادة القوات الميدانية .

فالسلاح ، هو اطار مهني يضم كل من جرى اعداده لهذه المهنة ، التي يتولى مسؤوليتها السلاح المقصود . والسلاح ليس اطاراً عملياتيا ، لذا فان ضابط السلاح الرئيسي ، لا يحمل لقب قائد السلاح ، بل ضابط رئيسي للسلاح . والسلاح مؤلف من وحدات من انواع مختلفة ــ او بتعبير أدق ــ من ازدواجية في الوحدات المختلفة . ويمكن هنا ان نأخذ سلاح الاشارة كمثال . في السلاح هناك وحدات اشارة على مستوى الالوية ، واخرى على مستوى الفرق ، ثم وحدات اشارة على مستوى القيادات الخ . مثال اخر سلاح المدفعية . في هذا السلاح يمكن ان نجد كتيبة مدفعية ميدانية ، كتيبة مدفعية متوسطة ، كتيبة مدفعية ثقيلة ، وكتيبة مدفعية مضادة للطائرات .. الخ(٦) .

وتشكل كل هذه الوحدات من كافة الاسلحة ، بانضمامها معا ، تحت قيادة واحدة ــ سواء كان هذا بشكل دائم أم مؤقت ــ الاطار العملياتي ، اي القوة المقاتلة في ميدان المعركة البرية (الالوية والفرق) .

وتوجد هذه الوحدات في غالبيتها تحت امرة قادة قيادات المناطق والجبهات ، في فترات

السلم والحرب ، سواء كانت من الوحدات النظامية ، ام في قوات الاحتياط . وهذا يعني ان ضابط السلاح الرئيسي ، هو نوع من رئيس رابطة او نقابة مهنية ، مهمته الاساسية ، هي رعاية السلاح المسؤول عنه مهنيا . وهذه المهمة تبقى في اطار السياسة التي تحددها الفرع واقسام وشعب هيئة الاركان العامة ، عن طريق فرز القوى البشرية لهذا السلاح او ذاك ، واعداد هذه القوى وتقدمها ، وتطوير وسائل التخطيط في السلاح ، وبلورة نظريته القتالية ، وتشغيل وحداته ، ثم تحديد الأوامر والتوجيهات المهنية ـ وليس العملياتية ـ الناجمة عن ضروريات نظرية القتال ، وعن الخواص الفنية والتقنية للأجهزة والمعدات العسكرية[٧] .

وبلغة اخرى ، يشرف ضابط السلاح الرئيسي فقط على اعداد السلاح مهنيا ، اي التخصص في التدريب ، ويقوم باعداد القوى البشرية المفرزة الى سلاحه ، كما يشرف على اقتناء المعدات اللازمة وتدريب جنود السلاح عليها ، ويخطط لتطوير نظرية القتال . اما صلاحيات اصدار الأوامر العملياتية ، وقيادة هذا السلاح في ميدان المعركة ، او فرز وحدات منه للقيام بمهمات الامن الجاري واليومي ، او تحديد كميات الذخيرة لكل وحدة في مهمتها ، فتبقى في يد قادة المناطق .

« وعليه فان قيام قيادة القوات الميدانية ، لا يلغي قيادات ضباط السلاح الرئيسيين الاربعة [الذين ذكرناهم] بل سيبقون في قياداتهم ضمن اطار قيادة القوات الميدانية ، وما سيلغى هو وضعهم المستقل فقط . ووفقا لهذا تصبح جميع مهامهم ، وتقاريرهم ، وتوجيهاتهم ، من ضمن صلاحيات واختصاص القيادة الميدانية ، وليس من اختصاص رئاسة الاركان العامة »[٨] .

لذا ، يتلخص الفرق بين المشروع الذي قدمه العميد شموئيل غونين ، وبين مشروع طال ، بالتالي . في مشروع غونين ، تبقى قيادات ضباط السلاح الرئيسي تمارس عملها ومهامها محافظة على وضعها المستقل ، والى جانبها تقام قيادة للقوات البرية ، دون صلاحيات ملزمة لضباط السلاح الرئيسيين . اما طال فقد اخضع ضباط السلاح الرئيسيين للقيادة الميدانية ، والغى استقلاليتهم ، ليصبحوا من حيث السلم التنظيمي تابعين للقيادة الميدانية ، وليس لرئاسة الاركان العامة مباشرة . وهذا هو الفرق والتقاطع بين قيادة غونين وقيادة طال التي أقرت.

هيكلية جيش الدفاع الاسرائيلي الجديدة

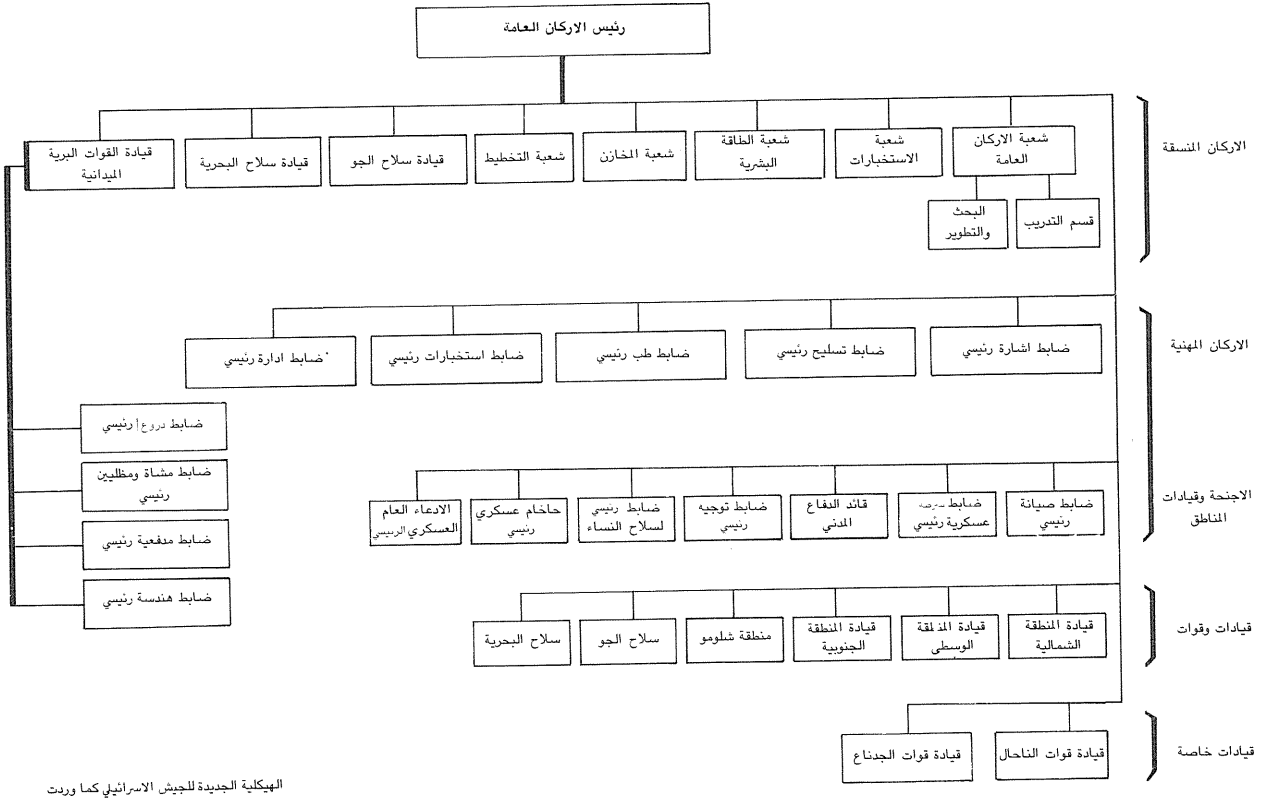

الهيكلية الجديدة للجيش الاسرائيلي كما وردت في مشروع العميد يسرائيل طال[٩] .

وهذا يعني أن اعباء كثيرة ستسقط عن كاهل رئاسة الأركان العامة ، التي ستتفرغ بدورها الى مهام اكبر وبجدية اكثر للجيش ، من حيث امكانيتها لرؤية الصورة الشاملة لكل القطاعات .

« ان قيادات ضباط الاسلحة الرئيسية ، التي سيصار الى دمجها في اطار قيادة القوات الميدانية ، هي التي ستشكل الجزء الرئيسي والأصيل من مركبات وعناصر القوة المقاتلة في ميدان المعركة البرية . واضافة الى ذلك ، هناك عنصران مهمان . سلاح الاستخبارات العسكرية ، وسلاح الاشارة. وقد تحاشى طال في مشروعه دمج قيادات هذه الاسلحة في القيادة الميدانية ، ذلك لأن هذه الأسلحة تقوم بمهمات حساسة ومهمة خارج اطار القوات المقاتلة »(١٠) .

ان تطوير ودمج عناصر ومركبات القوة المقاتلة (المشاة ، المدرعات ، المدفعية وسلاح الهندسة) في اطار قيادة واحدة ، تسيطر على معسكرات وبرامج التدريب لهذه الأسلحة ، «يساهم بشكل مباشر في تدعيم وتقوية هذه الأسلحة ، وبالتالي في تدعيم وتقوية الجيش . اضافة الى ان دمج هذه الأسلحة في اطار القيادة الميدانية ، يمكن ان يكون الضمانة للتوازن المعقول بينها ، ويمكن ان تكون بشكلها الجديد وبرامج تدريبها ، ملائمة تماما لظروف ميدان المعركة البرية المتوقعة في المستقبل »(١١) .

لذا ، فان هذه الأسلحة ، ونتيجة للتخصص المهني ، والدمج والتوازن فيما بينها ، ستكون هي المستفيدة الاولى من عملية التطوير للقوات البرية المقاتلة ، بكل عناصرها ومركباتها الرئيسية .

أما رئاسة الاركان العامة ، بحكم طبيعة عملها ، فتقوم بثلاث مهام رئيسية في الجيش ، وهي .

أ ــ وظيفة « العقل » ، كما اسماها المارشال شنوشنكوف ، من الجيش السوفياتي ، اي التفكير ، التخطيط ، التنظيم ، البناء ، الاعداد والتدريب ، وتشغيل « الاستراتيجية النشطة والتكتيك » في الجيش الاسرائيلي ، وذلك لقيامه بالمهام التي يكلف بها على الوجه الاكمل .

ب ــ مهمة القيادة العملياتية الرئيسية .

ج ــ مهمة قيادة القوات البرية في الجيش .

«وتشكل قيادتا سلاح الطيران وسلاح البحرية الجزء الأساسي من احتياجات رئاسة الأركان العامة ، بالنسبة للمهمتين ، الاولى والثانية (اي « عقل الجيش » ، والقيادة العملياتية الرئيسية) . وهاتان المهمتان هما الأصعب في فترات السلم ، وفترات الحرب . لذلك فان معالجة رئاسة الاركان العامة لهاتين المهمتين على الوجه الأكمل (خاصة بعد حرب يوم الغفران وازدياد حجم الجيش ، والتعقيدات الناجمة عن المشاكل الاستراتيجية ، التي اخذت تتحول الى مشاكل مركبة اكثر فاكثر ، وتزايد الاجهزة والشبكات المعقدة والمعدات الحديثة التي يستعملها ، او تلك التي ينوي استعمالها في المستقبل القريب) ستاتي بالضرورة

على حساب المهمة الثالثة لرئاسة الأركان ، اي مهمة قيادة ذراع القوات البرية . وهذا سيمس حتما بامور التخصص والدمج والتوازن في مركبات القوات المقاتلة »[١٢] .

حرب الجنرالات الجديدة

بعد ان اقرت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست التوصيات التي تقدم بها وزير الدفاع بشأن انشاء القيادة الميدانية ، وتولي العميد يسرائيل طال قيادتها ، برزت خلافات حادة وقاسية بين العديد من قادة وعمداء الجيش الاسرائيلي ، في الخدمة وخارجها ، وقد تعدت هذه الخلافات البحث الموضوعي في مشروع القيادة ، ووصلت الى ما يشبه عملية التجريح وتوجيه النقد بين المؤيدين والمعارضين للموضوع من جهة ، وبين طال صاحب المشروع ، والمعارضين له شخصيا من جهة أخرى . واصبح الجدل والاتهامات عبارة عن حرب جديدة بين الجنرالات ، تذكر بالمناقشات المريرة والحادة بين قادة البلماخ (سرايا الصاعقة) ، من جهة ، وبين الضباط المسرحين من الجيش البريطاني في العام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ من جهة اخرى . فمنذ ذلك النقاش حول اقامة جيش عبري ، قبيل ما سمي بحرب الاستقلال ، وخلالها ، تبلورت في الجيش الاسرائيلي مدرستان . مدرسة البلماخ والوحدة ١٠١ المكونة من المظليين والمشاة ، ومدرسة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، من اسلحة المدرعات واسلحة مهنية اخرى . وفي الواقع لم يكن هناك تمييز او فصل حاد وقاطع بين المدرستين ، وقد أخذ الكثير من الضباط من المدرستين (مثل العقيد اوري بن ــ اري ، الذي نشأ وبرز في البلماخ ، ثم اصبح بعد ذلك من ابرز قادة المدرعات في تاريخ الجيش الاسرائيلي) . ففي حرب العام ١٩٤٨ « سيطرت على الجيش مدرسة البلماخ ، وبعد انتهاء الحرب سلم بن ــ غوريون قيادة الجيش الى الضباط المسرحين من الجيش البريطاني . وقبيل العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦ ، وعندما كان موشي دايان رئيسا للأركان العامة توازنت القوى بين المدرستين . الا أن هذا التوازن لم يدم كثيراً . فبعد حرب ١٩٥٦ عادت مدرسة المدرعات لتحتل مكان الصدارة في الأركان العامة »[١٣] .

وكان من ابرز مؤسسي مدرسة المدرعات ، خلال حرب ١٩٤٨ ، الاب الروحي للبلماخ اسحاق سديه ، والقسم الأكبر من ضباطها كانوا من البلماخ ، ومن مجموعة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، امثال حايم لاسكوف ، ويسرائيل طال ، واوري بن ــ اري ، وديفيد اليعازر ، وحايم بار ــ ليف . بل انه « منذ تعيين اللواء اسحاق رابين رئيسا للأركان عام ١٩٦٤ ، وحتى الآن ، كان جميع رؤساء الأركان العامة من رجال البلماخ . وبعد حرب الايام الستة كان جميعهم من البلماخ ، الذين تحولوا الى المدرعات . وقد وصل الدمج الى ذروته بين المدرستين قبيل حرب يوم الغفران »[١٤] . وكان على رأس هرم الجيش ديفيد اليعازر من البلماخ الذي تحول الى رجل مدرعات ، اما نائبه فكان من ضباط الجيش البريطاني ورجل مدرعات ، كذلك كان قائد الجبهة الجنوبية من رجال المدرعات .

الا ان « الهزة الأرضية » في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، والنقد الشديد الذي وجه الى سيطرة سلاح المدرعات على الجيش « ادت الى حل الحلف التاريخي ، وعودة احد فروع البلماخ للسيطرة على الجيش ، وهو فرع المظليين [ممثلا في] اللواء مردخاي غور ، رئيس الاركان السابق ، ورفائيل ايتان رئيس الاركان الحالي »[١٥] . ولقد كان غور وايتان مجرد ضابطين

صغيرين في البلماخ ، ثم اصبحا ضابطين ميدانيين في اطار كتيبة المظلات ، التي نفذت معظم الغارات والعمليات الانتقامية ، خلال النصف الأول من الخمسينات بقيادة اريئيل شارون . وخلال خدمة هؤلاء ، وصل الى المراكز القيادية العديد من الضباط الذين ترعرعوا في الجيش ، في سلاح المظلات ، ومن أبرزهم العميد دان شمرون قائد المنطقة الجنوبية ، والعميد موشي ليفي قائد المنطقة الوسطى .

« ان عودة طال لقمة القيادة العاملة في الجيش ، واحتمالاته بان يصبح رئيسا لهيئة الأركان العامة ــ بعد انتهاء فترة خدمة رفائيل ايتان ــ احدثت هزة ارضية في اوساط الجيش ، لأن عودة طال تعني قطع خط البلماخ في القيادة العليا . كما انها تبعد احتمالات احتلال احد الضباط الذين ترعرعوا في الجيش الاسرائيلي ، من دون تبعية للبلماخ او لمجموعة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، لمنصب رئيس الاركان العامة »[١٦] .

فعودة طال الى الجيش لا تعني فقط قطع خط البلماخ في القيادة العليا ، بقدر ما تعني أيضا عدم ترك الهيمنة على الجيش في يد ضباط مدرسة أريئيل شارون .

المعارضه والتاييد لمشروع طال

بعد ان اقر مشروع اقامة القيادة الميدانية وتعيين العميد يسرائيل طال رئيسا لها ، تفجرت الخلافات ــ كما ذكرنا ــ بين قادة الجيش الاسرائيلي . وقد تركز الخلاف في البداية ، على شكل تساؤلات بالنسبة لمدى فاعلية هذه القيادة . واول هذه التساؤلات . « الا يمس موضوع اقامة قيادة للقوات الميدانية بوحدة المسؤولية في القيادة العليا ، خلال الحرب ؟ اليس هناك خطر من ان تلغي هذه القيادة الجديدة ، بعض الأسلحة وقيادات المناطق ؟ الا تبتلع هذه القيادة ، التي لا تملك اية صلاحيات عملياتية خلال الحرب ، موارد ومصادر ثمينة سواء بالقوى البشرية او الميزانية ؟ »[١٧] .

كما ان بين اعضاء رئاسة الأركان العامة ، ومن الخبراء العسكريين الذين خدموا في الجيش ، من يعارض « صورة الوضع » التي تلزم باحداث تغيير ، واقامة قيادة ميدانية . وهناك تساؤلات اخرى تركزت حول شخصية طال . وهذه التساؤلات تقول ان « طال هو الرجل الذي ادخل الى الجيش الاسرائيلي ، ذلك الفهم الذي تلخص بالتفوق التام للدبابة ، وبالتالي فقد ادى هذا الفهم الذي فشل تماما ، الى عزلة الدبابة في حرب يوم الغفران »[١٨] . اما المؤيدون لمشروع طال ، فيرون بان حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، اثبتت في التحليلات التي اعقبتها بان « المفاهيم الرئيسية للجيش كانت صحيحة ، ولها ما تستند عليه ، من حيث بناء القوات ونقاط التركيز التي نفذت في العديد من الأسلحة . فالعميد طال يسعى الى دمج مختلف العناصر في المعارك البرية ، لذا فانه سيقيم هذه القيادة وسيقودها لاثبات ذلك »[١٩] .

ويجد الرافضون في الدعوة الى الغاء شعبة التدريب ، كما جاء في مشروع القيادة الميدانية ، حجة اخرى لمعارضة المشروع ، فيتسائلون عمن يدرب التشكيلات المحاربة في الجيش ؟ هل عملية التدريب ستكون من صلاحيات هذه القيادة الميدانية ، التي ستسيطر بالضرورة على قيادات المناطق ؟ وماذا سيحدث بالنسبة للاسلحة الاخرى التي لن تشملها قيادة القوات البرية ؟ ويرد المؤيدون على هذه الحجج بالقول « ان التدريب سيكون تحت امرة واشراف القيادة الميدانية (المهنية) ، وهذا التدريب سيتم على ضوء برامج فعالة في الجيش ، وبالضبط

على غرار التدريبات في اطار التشكيل . وستكون هذه القيادة هي المسؤولة عن برامج التدريب والمناورات المشتركة بين مختلف الاسلحة ، كما يحدث في التدريبات والمناورات التي تنفذ حاليا في مركز التدريب الرئيسي في الجنوب ، حيث تتدرب هناك وحدات من سلاح المدرعات ، والمشاة ، والمدفعية ، والهندسة ... وهذا المركز يثبت ان بالامكان تنفيذ تدريبات مركزة ، لأربعة اسلحة برية تحت امرة قيادة واحدة »(٢٠) .

والحجة الاخرى للمعارضين هي « ان قيادة كهذه ستخلق بالضرورة منطقة عازلة بين الاسلحة البرية وبين رئيس الاركان . اضافة الى انها قد تخلق حالة من الاحتكاك بين قادة الاسلحة المختلفة ، وبين قيادات المناطق ، كذلك بين المجموعتين ورئيس الاركان العامة . وقد يتعارض هذا الامر ، ويعود باثر سلبي على العديد من المراتب العسكرية »(٢١) . وعلى هذه الحجة يرد المؤيدون للمشروع بقولهم أنه « لن تكون هناك منطقة عازلة ، ففي الماضي لم تشكل قيادة القوات المدرعة منطقة عازلة بين رئيس الاركان وبين الفرق المدرعة . اما بالنسبة للاحتكاكات ، فليس هناك خبراء عسكريون يسقطون هذا الاحتمال ، وهذه الحقيقة دفعت وزير الدفاع للقول . ستكون هناك امواج ، ومن لا يجيد السباحة سوف يغرق »(٢٢) .

من جملة هذه الحجج طرح المعارضون تساؤلات اخرى ، منها ماذا ستكون مهام هذه القيادة الجديدة اثناء الحرب ؟ وقد رد المؤيدون « بأن هذه القيادة سوف تدمج في جبهات القتال مع باقي قطاعات الجيش ، كما كان يحدث بالنسبة لقيادة قوات المدرعات »(٢٣) .

اراء القادة المؤيدين والمعارضين

حدد معظم قادة الجيش الاسرائيلي مواقفهم من مشروع طال وتعيينه على رأس القيادة الميدانية . ولم يكتف هؤلاء بطرح التساؤلات والحجج دون تحديد اسمائهم ومواقفهم من المشروع ومن شخصية طال . والسؤال المركزي هنا هو كيف وافق رئيس الاركان رفائيل ايتان على المشروع ، في الوقت الذي ظل يعارضه ، ويعارض تعيين طال الى ما قبل ٢٤ ساعة من صدور قرار الموافقة ؟ يقال ان موافقة ايتان على المشروع جاءت بعد محادثة هاتفية اجراها معه وزير الدفاع وايزمن ، الذي قال له . « لقد منحتك تفويضا منذ اليوم الاول الذي عينتك فيه رئيسا للاركان العامة ، ورغم انك مطالب بالاستقالة اكثر من اي رئيس اركان سابق ، فانني لا زلت اقف من ورائك وامنحك الدعم ، ويحق لي في هذه المرة ان تقدم انت الدعم لي »(٢٤) .

وليس هذا هو السبب الوحيد لموافقة رفائيل ايتان على مشروع طال ، بل ان بعض الخبراء في جهاز الامن يردون ذلك الى اسباب اخرى . « فعندما كان طال قائدا للقوات المدرعة ، ورفائيل ايتان قائدا للواء المظلات النظامي ، تعاون الاثنان في الغارة على قرية السموع عام ١٩٦٦ . وفي هذه الغارة تم لاول مرة دمج وحدات من المدرعات ووحدات من المظليين ، بشكل منظم ، وكانت الغارة صورة مصغرة لمعارك رفح عام ١٩٦٧ . فقد كان طال هو قائد المعركة كونه قائدا للفرقة المهاجمة ، وكان ايتان احد قادة الالوية الثلاث في الفرقة . ولقد احرز طال وايتان في هاتين المعركتين انتصارا كبيرا ، الامر الذي جعل ايتان مقتنعا بعملية دمج القوات البرية تحت قيادة واحدة »(٢٥) .

وقد يفسر هذا ، الى حد ما ، موافقة رفائيل ايتان قائد الاركان الحالي ، على مشروع طال لاقامة قيادة ميدانية للقوات البرية في الجيش ، اضافة الى هذا كان طال هو المسؤول الاول ،

من اوساط الجيش ، الذي رعى ايتان ودفعه الى منصب رئيس الاركان العامة . ففي مقابله صحفية قال ايتان عن المشروع . « لو اردت لما قبل المشروع . وليس في هذا المشروع اي مساس بمكانتي وصلاحياتي ، لقد عارضه الاخرون ، وليس انا . وكان بعض القادة قد اكتفوا بمعارضتهم خلال النقاش ، وبعضهم من فغر فاه اكثر مما ينبغي امام الصحافة . كذلك يقول بعض العمداء ان طال شخصية بارزة ولها قدرة على السيطرة ، وهو بالتالي سيقلص صلاحياتهم ، وهذا في رأيي كلام فارغ »(٢٦) .

وعن المشروع نفسه قال ايتان . « لقد تبنينا جزءا من مشروع طال ، ونحن الان نقوم بعمليات في القيادة والاركان لدراسة النتائج . واذا كلفنا المشروع اكثر من اللازم فاننا لن ننفذه . ان مشروع طال في الواقع ، ليس نظرية قتالية جديدة ، بل هو مجرد اطار قيادي وتنظيمي ، هدفه تقديم اجابات للمشاكل الحقيقية التي يعاني منها الجيش » .

واذا اعتبرنا رئيس الاركان الحالي ايتان من ابرز الموافقين على المشروع ــ وهو فعلا كذلك ــ فان اللواء مردخاى غور رئيس الاركان السابق يعتبر من ابرز المعارضين ، وهو لا يكتفي كما سبق وذكرنا ، بمناقشة المشروع بشكل موضوعي ، بل يرفضه جملة وتفصيلا ، ويركز في رفضه هذا ، على رفض طال كشخصية عسكرية ملائمة لقيادة القوات الميدانية ، وكرئيس مستقبلي للاركان العامة . ويقول غور . « لمعالجة كل موضوع يجب اولا تحديد الاولويات ، وساحددها بشكل واضح . ان اخطر ما في الامر هو تعيين العميد طال ، قائدا للقوات البرية ، مع احتمال تعيينه فيما بعد رئيسا للاركان . وارى ان احتمال تعيين طال رئيسا للاركان لايجوز ان يخرج الى حيز الوجود ... اما بالنسبة لما يتعلق بقيادة القوات البرية ، فهذا مجال مختلف كليا ، اذ لا يجوز البحث في اقامة قيادة قوات ميدانية على امتداد اكثر من سنتين ، ولا يجوز لاحد ابداء رأي مختلف في الموضوع . واعتقد انه من الافضل ان تخضع المواضيع المتعلقة بالاستراتيجية والبنية الاساسية للجيش ، لنقاش عام .... ويشاركني مطالبي ورأيي هذا ، عشرات القادة الذين لم يعلنوا اراءهم على الملأ ... لذا يجب بحث الكثير من الامور التي حصلت عشية حرب يوم الغفران ، ولم يجر بحثها »(٢٧) .

الا ان حملة غور ضد طال ومشروعه ، واحتمالات تعيينه ، لم تتوقف عند هذا الحد ، والامر الذي يفسر الخلاف بين مردخاى غور وطال ان الاثنين بقيا مخلصين لمفاهيمهما ، ومدرستيهما . وضمن هذه الحملة قال غور . « انني عارضت المشروع عندما كنت رئيسا للاركان العامة ، ولا زلت اعارضه ، وحسب رأيي فالعميد طال ليس ملائما ليحتل اكبر منصب في الجيش ، وخاصة بعد تصرفاته عشية حرب يوم الغفران وخلالها وبعدها »(٢٨) .

وربما تعود حملة غور على طال ، الى النقد الشديد الذي وجهه طال لغور حول تخطيط عملية الليطاني ، واحتلال الجنوب اللبناني ، والخسائر الكبيرة ، نسبيا ، التي مني بها الجيش الاسرائيلي خلال هذه العملية ، قبل سنتين . واذا كان طال محقا في نقده هذا ، فان الحساب لم ينته مع غور بعد ، خصوصا وان مؤيدي طال في مشروعه وتوليه قيادة القوات الميدانية ليسوا مقتصرين على مجموعة الضباط والقادة المسرحين من الجيش البريطاني ، ولا على الضباط التابعين لمدرسة المدرعات . فهناك مثلا العميد دان شمرون ، قائد المنطقة الجنوبية ، الذي يتمسك باراء « مبدئية » بالنسبة لكل ما يتعلق بالقيادة الميدانية وتعيين طال قائدا لها .

« فعندما كان شمرون ضابطا رئيسيا لسلاح المظلات والمشاة ، كان يؤيد اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية ، عندما قدم مشروع شموئيل غونين . وان قرار تعيين طال على رأس هذه القيادة هو مدعاة لتأييده اكثر »(٢٩) . وليس دان شمرون المؤيد الوحيد لمشروع طال ، ففي معسكر المؤيدين بعض ابرز قادة الاسلحة في الجيش الاسرائيلي ، مثل العميد موشي ناتيف ، والعميد امنون ريشف .

اما معسكر المعارضين فيضم ، رئيس شعبة العمليات الحالي العميد يانوش بن غال ، والعميد موشي ليفي ، ورئيس قسم التدريب في رئاسة الاركان العميد امير دروري . والغريب هو ان اعضاء معسكر المعارضة في قمة الهرم العسكري هم من انصار رفائيل ايتان الرئيس الحالي للاركان . وربما يدعم هذا، الرأي القائل ان موافقة ايتان ، كرئيس اركان ، على مشروع طال ، جاءت بطلب من وزير الدفاع عيزر وايزمن ، وليس نتيجة قناعة ذاتية .

كما ان التأييد الذي حاز عليه العميد طال من قادة الاسلحة في الجيش ، لم يكن هو التأييد الوحيد ، فهناك العديد من العمداء خارج الجيش ، الذين يمكن أعتبارهم من الخبراء العسكريين ايدوا طال ، فقد قال ، مثلا ، شموئيل غونين قائد الجبهة الجنوبية خلال حرب ١٩٧٣ . « ان انشاء قيادة ميدانية للاسلحة البرية هو هدف بحد ذاته ، وان انشاء هذه القيادة عبارة عن مشكلة تنظيمية فقط . والتنظيم وسيلة فقط لحل المشكلة ، والمشكلة موجودة في الجيش ، وهي انعدام التنسيق والدمج بين الاسلحة ... ان طاقم المعركة في الميدان ، يجب ان يكون متعدد الاسلحة ، فلم تعد هناك حرب تعتمد على حقول الالغام لعدم تقدم العدو ، والمدفعية بهدف تحييد ارض المعركة ، وسلاح المشاة بهدف تأمين خطوط ومحاور الهجوم ، وحتى الان لم تكن هناك قيادة للاسلحة البرية ، بعكس سلاح الطيران والبحرية ، لهذا السبب لم يكن هناك اب للاسلحة البرية ، وهذه الحقيقة مست بها من حيث الاولويات والميزانيات »(٣٠) .

لقد اصبح الجيش الاسرائيلي الان في وضع بدا اكثر وضوحا منه في الماضي ، وهو ان القوات البرية هي التي تشكل عنصر الحسم في ميدان المعركة . وهذه الخلاصة ، او الاستنتاج ، اصبح مؤكدا وقاطعا ، بعد ان تبين ان القوات البرية في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، لم تتلق سوى دعم قليل ومحدود من سلاح الطيران . لذا يقول غونين . « يجب ان تكون جميع القوات البرية تحت سقف واحد ، ويجب ان تكون لهذه القيادة صلاحيات « قيادية » ، وليس فقط صلاحيات التنسيق ... على ان تمثل القيادة الميدانية جميع القوات البرية ، امام رئاسة الاركان العامة في جميع المواضيع . وبهذا تتفرغ الاركان العامة ، لتكون اركان عامة لجميع قطاعات الجيش ، واليوم هي [ليست كذلك] »(٣١) .

اما اللواء ديفيد اليعازر ، الذي توفي بالسكتة القلبية ، والذي كان رئيسا للاركان العامة خلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، واقيل بعدها ، أثر تقديم لجنة اغرانات توصياتها ، فقد قال في حينه « بان استنتاجاته الرئيسية المتعلقة بالطريقة التي قاتل بها الجيش الاسرائيلي في حرب يوم الغفران هي . يجب زيادة التنسيق بين الاسلحة والادرع في الجيش ، وادخال تغييرات كبيرة على هيكلية الوحدة والاركان ، وفي اجهزة وشعبة التدريب . فلم يكن في هذه الحرب تنسيق كاف بين المدرعات والمشاة المحمولة ... وبين سلاح المشاة واسلحة الطيران والاسلحة البرية ... وان مشروع طال لاقامة قيادة ميدانية لجميع الاسلحة البرية ، الذي كان قد طرحه

قبل حرب يوم الغفران ، يهدف بالاساس لاصلاح هذه الاخطاء »(٣٢) .

ويؤيد افراد معسكر المعارضة لمشروع طال ، وعلى رأسهم رئيس الاركان السابق مردخاي غور ، ولفيف من العمداء الاخرين ، ضرورة زيادة التنسيق والدمج بين اذرع الجيش المختلفة . لكنهم يعتقدون ايضا ، انه يمكن عمل هذا في الاطار الحالي للجيش . وربما كان هؤلاء محقين من حيث المبدأ ، ولكن حتى حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، فشلت جميع المحاولات . ووفقا لكل التقديرات فان الوضع لم يتحسن حتى الان . ولقد اعطيت فرصة اربع سنوات لرئيس الاركان غور لاصلاح ما فسد في الجيش ، وحل جميع مشاكله ، ويبدو انه اخفق في ذلك ، والسبب يعود لكون هذه الوحدات تميل الى المحافظة على اطرها الحالية .

ويبدو ان وزير الدفاع وايزمان استند على وجهات نظر كبار القادة ورؤساء الاركان السابقين في الجيش الاسرائيلي ، قبل اتخاذ قراره باعادة طال للجيش ، والموافقة على بعض اجزاء من بنود مشروعه ، الذي تضمن اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية . ويثبت هذا القول ، رأي مهندس حرب ١٩٦٧ ، ورئيس اركانها اللواء اسحاق رابين ، الذي شغل منصب سفير اسرائيل في الولايات المتحدة ، ثم منصب وزير فرئيس للحكومة .

ويرى رابين ان اقامة قيادة للقوات الميدانية ليست فكرة جديدة . وان وزراء الدفاع ورؤساء الاركان السابقين سبق وبحثوا هذا الموضوع ، وتوصلوا الى استنتاجات ، كل واحد في حينه . لذا ليس هناك حاجة لمزيد من البحث والتمحيص . « والان حان وقت انشاء قيادة كهذه في الجيش ، واعتقد ان هذا عمل صحيح ... هذا تغيير تنظيمي نابع من الحجم الآخذ بالتزايد في قوة الجيش الاسرائيلي . وانني مع هذا التغيير ، خاصة على ضوء المشاكل المتوقعة للجيش وللاركان العامة في السنوات القادمة . فالسلام مع مصر يتطلب انسحابا الى الحدود الدولية في سيناء ، لذا سيخلق وضع جديد . سلام على الجبهة الجنوبية ، وتهديد وحرب على الجبهة الشرقية »(٣٣) .

ويضيف رابين ان القيادة الميدانية للاسلحة البرية تستطيع ان تعيد من جديد بلورة « نظرية الحرب » في الجيش . كما ان انشاء هذه القيادة سوف يمكن هذه القوات نفسها ، وكذلك المراتب اللوجستيكية ، من الحصول على عناية واهتمام اكبر مما كان في الماضي . وسيكون مسؤول واحد عن هذه الامور ، يستطيع ان يرى بشكل اشمل الصورة القتالية البرية التي يتوقعها الجيش . كذلك فان المعالجة والعناية والمتابعة من قبل هذه القيادة ، سوف يعفي رئاسة الاركان العامة للتفرغ لعمل اكثر جدية واكثر نفعا . اما القيادات التي سيتم الغاؤها ، مثل قيادة القوات المدرعة ، فستعود بشكل جديد .

ان الجيش بحاجة لمثل هذا التغيير ــ كما يقول رابين ــ كي لا يغرق في الرقابة والروتين ، مما سيخلق تحديات فكرية وتنظيمية فيه.و « بالنسبة للعميد طال ، فاعتقد انه الرجل الملائم جدا ، ليكون على رأس هذه القيادة . وان خبرته ومعرفته الواسعة ، تعطيانه الفرصة لانشاء وتشغيل القوات الجديدة ، واستثمار الافضل منها ... لقد عين طال قائدا لقيادة القوات المدرعة خلال فترة خدمتي كرئيس للاركان ، وخلال هذه الفترة احدث ثورة في مدفعية الدبابات . وقد اعطت هذه الثورة ثمارها الايجابية في معركة تحويل روافد نهر الاردن ، وحرب الايام الستة ،

وحرب الاستنزاف ، وفي حرب يوم الغفران . لقد اثبت طال انه رجل بناء للقوات ومحارب ، وقائد لفرقة المدرعات في حرب الايام الستة ... وليس بوسعي الا ان ابارك قيام القيادة الميدانية وتعيين طال على رأسها »(٣٤) .

اما العميد اهرون ياريف فقد ادلى ايضا بدلوه في هذا الشأن ، وقال . « المطلوب احداث تغييرات في قيادات الاسلحة الحالية ، واهم تغيير يمكن لنا ان نفعله هو اقامة قيادة القوات البرية . وهي تسهل على الاركان العامة في عدة مجالات ، منها مجال الاسلحة التي تشكل العنصر الرئيسي للقوات البرية المقاتلة ، خاصة وان التنسيق امر حيوي . لذا سيكون التسهيل في اعباء الاركان العامة اكثر ، ومعالجة قضايا التنسيق ستكون افضل ، لأن هذه المهام ستلقى على عاتق القيادة الجديدة ، التي لن يكون لها مهام اخرى » و«بالسبة لقيادات المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية ، فان القيادة الميدانية الجديدة لن تغير من صلاحيات هذه القيادات ... فمجال المسؤولية والسيطرة على القوات المعززة لقيادات المناطق ، في حالات الهدوء وحالات الحرب ، سيبقى ثابتا ، خاصة وان هذه القيادات ستبقى هي القيادات العملياتية الرئيسية ، والتي ستدير الاركان العامة بواسطتها العمليات البريـة في اي وقت »(٣٥) .

وعن هذه القيادة يضيف اهرون ياريف ، وكان سابقا رئيس الاستخبارات العسكرية ثم وزيـر اعلام ومستشار رئيس الحكومة لشؤون الارهاب . « ان اقامة هذه القيادة يعني بالدرجة الاولى ، مزيدا من التخصص المهني ، مزيدا من الدمج ومزيدا من التوازن ، بالنسبة للمركبات والعناصر الرئيسية للقوات المقاتلة في المعارك البرية ... اضافة الى هذا ، فان القيادة الجديدة تعني تخفيف الاعباء عن كاهل الاركان العامة ، وخاصة بالنسبة للمهام التي كانت مهملة حتى الان »(٣٦) .

اما القرار الذي يقضي بان يكون طال قائد هذه القيادة الميدانية ــ والكلام لا يزال لاهرون ياريف ــ فهذه الحقيقة هي الضمانة ، بان الهدف سيتحقق فعلا . وهنا لا يسعنا الا ان نبارك قيام هذه القيادة ،ويمكن ان نأسف فقط ، لأن هذا القرار لم يتخذ قبل عدة سنوات .

دوافع اقامه القيادة الميدانيه الجديدة

كان طال قد قدم مشروعه بشأن انشاء قيادة ميدانية بعد الانقلاب السياسي الذي وقع في ايار ١٩٧٧ وتسلم ليكود الحكم ، وتولي عيزر وايزمن وزارة الدفاع . وقدم طال مشروعه هذا الى الوزير بطلب منه . ولكن منذ ذلك الوقت ، حفظ المشروع ولم يخرج من الملفات الا في اواخر العام ١٩٧٩ .

ويبرر وايزمن هذا التأخير ، الذي دام قرابة سنة ونصف السنة ، بقوله انه كان من غير الممكن احداث تغييرات جوهرية في الجيش ، خاصة وان هناك رئيس اركان جديد . اضافة الى ان الدولة كلها تواجه مرحلة جديدة ، نجمت عن اتفاق السلام بين مصر واسرائيل ، الامر الذي يترتب عليه تنفيذ انسحابات عسكرية كبيرة ، ثم اعادة انتشار الجيش في مناطق ومواقع جديدة .

الا ان الاسباب الحقيقية لهذا التأخير هي غير تلك التي ذكرها وايزمن« لقد واجه عيزر وايزمن مشاكل عديدة ، منها كرامة وسمعة الجيش ووزارة الدفاع التي وصلت الحضيض ،

وتورط رئيس الاركان العامة في عملية اصدار العفو عن الضباط والجنود الذين ارتكبوا جرائم ... ضد المواطنين اللبنانيين ، اثناء معركة الليطاني ، ثم قضية ايلون موريه والبيان الشهير لوزير الدفاع . اضافة الى كل هذا ، تورط وايزمن نفسه في قضية طرد بسام الشكعة ثم التراجع عن قرار الطرد . وكل هذه الامور سلطت اضواء سلبية على وزارة الدفاع والجيش »(٣٧) .

بناء على كل ما سبق ، وجد وزير الدفاع نفسه في موقف حرج ، فانشغاله في عملية اتفاق السلام مع مصر ، حال دون ممارسته للمهام العسكرية ، وبالتالي لم يترك بصماته وطابعه على الجيش ، وهذا ما أراد وايزمن تحقيقه قبل ان ينهي فترة خدمته . اما الامر الذي بدا اكثر الحاحا ، فهو « خطر استقالة رئيس الاركان العامة لاسباب مختلفة ، دون ان يكون هناك مرشح جيد ، يرث الاركان العامة ، خاصة وان مردخاى غور ورفائيل ايتان لم يعدا المرشح الجيد لرئاسة الاركان العامة »(٣٨) .

كما أن عدم اعداد مرشح ملائم لهذا المنصب سوف ينعكس ، مستقبلا ، على الجيش ، وبالتالي على فترة خدمة عيزر وايزمن كوزير للدفاع ، وعلى الدولة في عهد حكومة ليكود . خاصة وان قادة المناطق يفتقرون الى التجربة الميدانية الفعلية في قيادة الفرق والتشكيلات . ونظرا لهذه الاسباب ، وبترشيح من نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري ، ومن مستشار الوزارة لشؤون الامن ، العميد ابرهام تمير ، اتخذ وايزمن قراره هذا بتنفيذ بعض بنود مشروع العميد يسرائيل طال . وبهذا القرار يكون وايزمن قد اوجد المرشح ، ذا الكفاءة العالية ، لرئاسة الاركان في حالة استقالة الرئيس الحالي ، وكذلك ضمن بصماته وطابعه على الجيش في المستقبل المنظور .

وعودة طال الى الزي العسكري لا تعني فقط اقامة قيادة للقوات الميدانية . فهو لا يعتبر مجرد عميد ، او رقم في خانة الارقام العادية ، انه شخصية هامة لا يمكن تجاهلها .

واذا ما قاد طال الجيش ، فانه سيبذل كل ما في وسعه لجعله قوة لا يستهان بها في المنطقة ، وربما تعني عودة طال اكثر من اي شيء اخر الجبهة الشمالية والشرقية ، اضافة الى جبهة المقاومة الفلسطينية ، التي لا يمكن تحديدها بحدود جغرافية . وكما جرت العادة ، فان طال بحاجة الى تجربة عملية لكل القوات التي سيشرف على اعدادها وتدريبها ، ضمن قيادة القوات البرية . وهذه القوات قد لا تجد مكانا لتنفيذ ما تعلمته على يد طال ، الا على الجبهتين السورية والفلسطينية ، في عمليات عسكرية محدودة او في حرب محدودة ــ لاختبار ما تم انجازه .

وفي ظل الظروف الراهنة ، وتورط حكومة ليكود الحالية في ازمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، هناك احتمال قيام حكومة اخرى من ليكود برئاسة عيزر وايزمن اذا لم يخسر ليكود الحكم تماما في الانتخابات العامة المقبلة . وبناء على ذلك ، قد يكون المرشح الاول لوزارة الدفاع ، كوزير مهني ومتخصص ، هو العميد يسرائيل طال ، خاصة ان حب طال للجيش يجعله منغمسا تماما في الامور العسكرية ، ويبقيه بعيدا عن السياسة . وهذه قد تكون افضل مواصفات يطلبها رئيس حكومة في وزير دفاعه . والوزير الحالي وايزمن يقيس التجربة على نفسه ، فهو وزير غير مريح بالنسبة لبيغن ، وأعتراضاته على السياسة الخارجية والداخلية ، وعلى تفاصيل مشروع السلام مع مصر ، وتهديداته بالاستقالة ، تجعله يشكل عنصر شغب على

الحكومة بشكل عام ، وعلى رئيس الحكومة بشكل خاص . وربما كان وايزمن قد استخلص التجربة من نفسه . لذا ــ وهذا تقدير حذر ــ فان طال هو المرشح الامثل لوزارة الدفاع في حكومة ليكود برئاسة عيزر وايزمن .

ويبدو ان وايزمن ، بموافقته على اقامة قيادة القوات البرية وتعيين طال قائدا لها ، قد اصاب عصفورين بحجر واحد .

نبذة عن حياة طال

ولد طال في مستوطنة اقامها والده ، وهي مستوطنة محانيم في الجليل . وعندما كان طفلا ابدى اهتماما شديدا بالامور الفنية . وعندما بلغ السادسة عشر من عمره ، بدأ يصنع اسلحة محلية . خلال شبابه كان رجل مواصلات في قوات الهاغاناه . في السابعة عشرة والنصف تطوع في الجيش البريطاني عام ١٩٤٢ . انضم الى اللواء اليهودي المقاتل ضمن الجيش البريطاني ، وحارب في ايطاليا ، حيث كان رامي رشاش متوسط تحت امرة اللواء حاييم لاسكوف . بعد الحرب انضم الى المجموعة الخاصة بعمليات الانتقام من النازيين . وعندما عاد الى فلسطين حاول الدخول في سلاح الطيران ، لكنه اعتبر الخبير الاول لاسلحة الاسناد ، واضطر للعمل في مجال التدريب . عندما بدأت حرب عام ١٩٤٨ ، تم ايفاده الى تشيكوسلوفاكيا لشراء اسلحة للجيش الاسرائيلي . خلال الحرب كان مدربا لاحد الالوية في البلماخ . قاد مجموعة الرشاشات في عملية الهجوم على اللطرون ، والقسطل ، ثم اصبح ضابط عمليات في اللواء السابع المدرع الذي احتل مدينة الناصرة والجليل الغربي . درس سنتين في الجامعة العبرية بالقدس بعد ان نال شهادة الثانوية العامة عام ١٩٥٣ . وفي العام ١٩٦١ نال جائزة امن الدولة ، عن عمله في تطوير الاسلحة ، وكان قد طور « بنجلور طربيد » هذا السلاح الذي شكل العنصر الرئيسي خلال الغارات الانتقامية ضد القرى العربية على كافة الجبهات . وقام بادخال تعديلات على مدفعية الدبابات لزيادة فاعلية نيرانها ومداها . اما اخر واكبر انتاجه فهي دبابة مركفاه التي خططها وصممها دون ان يدرس الهندسة بشكل رسمي ، ثم اشرف على تصنيعها . ويعتبر طال القائد الذي بنى سلاح المدرعات ، واوجد نظريته القتالية(٣٩) .

وتعيد عودة طال الى الخدمة النظامية في الجيش ، جيل الجنرالات الذين خرجوا من الجيش بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . هذا الجيل الذي مهر الجيش بخاتمه ، وترك بصماته بارزة عليه ، امثال . شارون ، وبارليف ، وديفيد اليعازر ، واسحاق رابين ، واخرين .

استقال العميد يسرائيل طال مرتين من الجيش ، لكنه بقي مرتبطا به ، لانه شعر انه لم يستنزف بعد ، وان باستطاعته تقديم اشياء كثيرة للجيش في ميادين القيادة والتنظيم وتطوير الاسلحة .

المرة الاولى التي استقال فيها طال من الجيش ، كانت في اذار ١٩٦٩ ، عندما كانت حرب الاستنزاف المصرية في ذروتها ، وكان في ذلك الوقت قد امضى اربع سنوات ونصف سنة قائدا لقوات المدرعات ، وكان المرشح الاول لرئاسة الاركان العامة بعد انتهاء خدمة رئيس الاركان في حينه ، حايم بارليف . « ولم يستطع طال التسليم بتصور رئيس الاركان ، بالنسبة لشكل وطريقة الدفاع عن خط قناة السويس ، وادارة الجيش ، فوجه انتقادات شديدة ضد خط

بارليف ، وقد شاركه في الرأي العميد اريئيل شارون . ثم قرر طال استخلاص النتائج والعبر ، وقدم استقالته »[٤٠] .

في ٢٨ اذار عام ١٩٧١ ، عاد الى الجيش ليتفرغ لصناعة دبابة اسرائيلية ، وذلك في عهد وزير الدفاع موشي دايان . بعد حوالى سنة عين رئيسا لشعبة العمليات ، ونائبا لرئيس الاركان العامة ، بعد تسلم ديفيد اليعازر رئاسة الاركان .

الاستقالة الثانية ، حدثت في اذار ١٩٧٤ ، بعد ان اعفي العميد غونين من منصبه كقائد للجبهة الجنوبية ، وجاء طال بدلا منه . وخلال حرب الاستنزاف في الثغرة الاسرائيلية غرب قناة السويس ، رفض طال امر وزير الدفاع موشي دايان بزيادة القصف والنيران ضد المصريين ردا على اية عملية . « وقد قال طال في حينه ، ان هذه الاوامر تعني اشعال نار الحرب من جديد ، وهذا امر يجب على الحكومة ان تتخذه وليس وزير الدفاع ، ورفض تنفيذ الامر . وعندما عاد الى مبنى الاركان العامة وجد ان صلاحياته قد نزعت منه كنائب لرئيس الاركان ، حيث عين العميد يتسحاق حوفي في هذا المنصب ، كذلك اقيل من شعبة العمليات . بعد ذلك طلب من موشي دايان ان يخبره ، اذا ما كان قد ادرج اسمه في قائمة المرشحين لرئاسة الاركان ، ولكن الاخير رفض ، فاستقال طال للمرة الثانية من الجيش»[٤١]، الى ان عاد اليه مؤخرا كقائد للقوات الميدانية .

---

(١) « **معارف** » ، ١٩٧٩/١٢/٣ .

(٢) من مقال لايلي تابور ، « **هاعولام هازيه** » ، العدد ٢٢٠٥ ، ١٩٧٩/١٢/٥

(٣) **المصدر نفسه .**

(٤) من مقال لايتان هابر ، « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .

(٥) من مقال لاهرون ياريف ، « **معاريف** » ، ١٩٨٠/١/١٨ .

(٦) **المصدر نفسه .**

(٧) **المصدر نفسه .**

(٨) **المصدر نفسه .**

(٩) من مقال ليهشواع بتسور ، « **معاريف** » ، ١٩٧٩/١٢/١٢ .

(١٠) اهرون ياريف ، **مصدر سبق ذكره .**

(١١) **المصدر نفسه .**

(١٢) **المصدر نفسه .**

(١٣) من مقال لأوري ميلشطاين ، « **دافار** » ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .

(١٤) **المصدر نفسه .**

(١٥) **المصدر نفسه .**

(١٦) **المصدر نفسه .**

(١٧) من مقال مردخاى غور ، « **يديعوت احرونوت** » ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .

(١٨) « **معاريف** » ، ١٩٧٩/١٢/٣ .

(١٩) **المصدر نفسه .**

(٢٠) **المصدر نفسه .**

(٢١) انظر ايلي تابور ، **مصدر سبق ذكره .**

(٢٢) انظر **المصدرين رقم ١ و١٨ .**

(٢٣) **المصدر نفسه .**

(٢٤) انظر **المصدر رقم ٢ .**

(٢٥) انظر **المصدر رقم ١٣ .**

(٢٦) من مقال عدنان بار ، « **معاريف** » ، ١٩٧٩/١٢/٢٨ .

(٢٧) ر . ا . ا . العدد ١٩٧٢ ، ٢٧ — ١٩٨٠/١/٢٨ .

(٢٨) انظر **المصدر رقم ٦ .**

(٢٩) **المصدر نفسه .**

(٣٠) من مقال لشموئيل غونين ، « يديعوت احرونوت » ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .
(٣١) المصدر نفسه .
(٣٢) انظر المصدر رقم ١٣ .
(٣٣) من مقال ليتسحاق رابين ، « يديعوت احرونوت» ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .
(٣٤) المصدر نفسه .
(٣٥) انظر المصدر رقم ٥ .
(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) انظر المصدر رقم ٢ .
(٣٨) المصدر نفسه ٢٩ .
(٣٩) المصدر نفسه .
(٤٠) المصدر نفسه .
(٤١) « عل همشمار » ، ١٩٧٩/١٢/٢ .

العقيد الركن
حسن أبو لبده

الدفاع الجوي والطيران الاسرائيلي

من خلال الاساطير وشطحات الخيال الانساني أولا ، وبعد مغامرات التجريب للرواد الذين حاولوا تقليد الطير ، مثل العربي عباس بن فرناس، ثم التجارب العلمية الرائدة في البحث عن الطائرة ، كوسيلة تطير بالانسان ويتحكم فيها ، كالامريكيين (الاخوة رايت) ثانيا، دخلت الطائرة معترك الحياة عام ١٩٠٣ ، لتبشر بوسيلة جديدة للنقل عبر البعد الجوي الثالث . لم يمهل الانسان الطائرة طويلا ، حتى ادخلها معترك القتال فخاضت الحرب العالمية الأولى لتعرض قدرات متواضعة ، ولتضيف فنا جديدا من فنون القتال في الجو[١] .

وعملا بالمبدأ القائل بأن لكل سلاح سلاحا مضادا ، فقد جاءت الاسلحة المضادة للطائرات لتقابل هذا التهديد الجديد . وبدأ سباق لا هوادة فيه بين تطوير أسلحة التهديد الجوي الجديدة وبين الاسلحة المضادة لها .

سارت عجلة التطوير بخطى واسعة وسريعة ، في كلا مجالي وسيلة التهديد الطائرة وما تحمله وسلاح الدفاع الجوي المضاد لها . وجاءت الحروب المختلفة ، لتضع ناتج هذا التطوير في كل مرة محل التجربة العملية ، ولتخرج بدروس مستفادة ، لتجري مزيدا من التطوير والتعديلات المناسبة على الوسيلتين معا ، واستخدامها في التطبيق العملي مرة اخرى .

وتبرز أهمية الطيران ، في قدرته على زيادة قوة الصدمة . بل أن الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، في تحقيق صدمة تامة وحاسمة بتدميره للطيران المصري على الأرض . ويبدو أن القول الشائع ، بان اسرائيل جيش يملك دولة ، قد تطور ليصبح سلاح طيران يملك دولة[٢] .

وفي حرب تشرين (أكتوبر) ١٩٧٣ ــ وللمرة الأولى في التاريخ العسكري الحديث ــ لعب الدفاع الجوي دورا هجوميا ، على كلا جبهتي القتال المصرية والسورية ، بالاضافة لدوره الدفاعي التقليدي ، محدثا خسائر جسيمة في الطيران الاسرائيلي . ففي الحرب ، كان الفوز دائما من نصيب الوسيلة القادرة على الرد على مميزات الوسيلة الاخرى واستغلال عيوبها .

تطور وسيلة التهديد الجوي

استخدم الانسان البالونات في أول عهده بالطيران ، كوسيلة أخف من الهواء تمكن من الارتفاع والتحليق في الجو . ولما لم يتمكن من الاستفادة منها في الأعمال الحربية ، لبطئها

وصعوبة التحكم في مسارها ، طورها الى المناطيد التي استطاع ان يتحكم في مسارها ويزيد من سرعتها .وأثناء الحرب العالمية الأولى ، استخدمت المناطيد في الغارات الجوية . ففي ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ ، بدأت الغارات الجوية الالمانية على بريطانيا بواسطة مناطيد (زبلين) الشهيرة . ولم تحقق غير القليل من الخسائر البشرية والمادية ، ولكنها احدثت اضطرابا معنويا لدى السكان واثرت على سير الانتاج(٣) .

ونتيجة لتعرض المناطيد للاصابة بعد تنظيم الدفاع الجوي بالمدافع المضادة للطائرات تحولت الى الغارات الليلية وزادت من ارتفاعها . وطورت قيادة الدفاع الجوي البريطانية شبكة دفاعها الجوي ، فادخلت الأنوار الكاشفة واستخدمت المدفع الفرنسي عيار ٧٥ ملم بعد أن عدلته كمدفع مضاد للطائرات . ولما زاد عدد المناطيد المسقطة ، اضطرت القيادة الألمانية الى ايقاف غارات المناطيد ، ولجأت الى استخدام قانفات القنابل في غاراتها الجوية على لندن ، بعد أن أصبحت أقدر على القيام بهذه المهمة . وعرضت الطائرة ــ خلال الحرب العالمية الأولى ــ قدرات متواضعة في كلا مجالي القتال والاستطلاع . وبعد الحرب بدأ التطور يدخل عليها ، فزاد من سرعتها الأمامية ضمن ما زاد من قدراتها الأخرى ، وارتفع بفاعلية ما تحمله من تسليح متطور ، وزاد ايضا من حجم وفاعلية وسائل المساعدات (من كشف وتوجيه واتصال ، الخ) التي تخدم الطائرة .

وفي الحرب العالمية الثانية ، حققت شبكة الدفاع الجوي البريطانية ، انتصارها الشهير على سلاح الجو الالماني (اللوفتواف) ، محدثة خسائر فادحة في طائراته وخاصة طياريه . وعلى الأثر طور الالمان واستخدموا الصواريخ أرض ــ أرض بعيدة المدى ، واطلقوا على الجيل الأول (ف ١) وعلى الجيل الثاني (ف ٢) ، حتى لا يعرضوا طياريهم للخطر .
وفي العام ١٩٤٤ وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حقق الألمان وثبة نوعية في الطائرات الحربية ، عندما اخترعوا الطائرات النفاثة المقاتلة من طرازي مسرشميت ١٦٣ ومسرشميت ٢٦٢(٤) .

وبعد انتهاءالحرب العالمية الثانية ، بدأت مختلف الدول الصناعية الكبرى في انتاج وتطوير الطائرات المقاتلة النفاثة ايضا . ولم تمض خمس سنوات على انهاء الحرب ، حتى كانت معظم اسلحة الطيران في الدول الكبرى ، مستبدلة طائراتها المروحية القديمة ، بطائرات نفاثة حديثة .

استمر تطور قدرات الطائرة النفاثة وخاصة بعد الحرب الكورية ، من حيث زيادة سرعتها وارتفاع سقف عملياتها بما يفوق المدى الفعال لاقوى المدافع الثقيلة المضادة للطائرات ، مما ادى الى تطور سريع للصواريخ الموجهة ارض ــ جو ، كحل مناسب لمواجهة الارتفاع الكبير والسرعة العالية للطائرات التي اصبحت تحسب بالماخ (سرعة الصوت) .

ونتيجة نسبة الاصابة العالية التي حققتها الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، على الطائرات المغيرة ، تم تطوير الصواريخ البالستيكية والصواريخ الجوالة بمختلف انواعها وادخلت في الاستخدام العملي كاسلحة للهجوم الجوي ، بالاضافة الى الصواريخ الموجهة جو ــ ارض بعيدة المدى ، التي تطلق من قانفة تحلق بعيدا عن المدى المؤثر لشبكة الدفاع الجوي المعادية(٥) .

وعلى اثر التطور الهائل لاجهزة الكشف الراداري بعيد المدى ، والتي تستطيع التقاط الاهداف الطائرة من مسافات بعيدة ، بدأت الطائرات المغيرة ، مستفيدة من التطور التكنولوجي في تصميمها ، والمساعدات الملاحية الحديثة المتوفرة لها ، في استخدام تكتيكات الطيران على ارتفاع منخفض جدا قد يصل الى ارتفاع ٣٠ مترا عن الارض ، حتى تتمكن من

استخدام التضاريس الطبوغرافية للارض ، في الاختفاء من الكشف الراداري ، والوصول الى الهدف ومفاجأته ، قبل ان يتهيأ الدفاع الجوي لصدها وتدميرها . ويرى خبراء الدفاع الجوي بان استخدام تكتيكات الطيران على ارتفاع منخفض سوف يستمر ما دامت تحقق العديد من المزايا(٦) .

تطور وسائل الدفاع الجوي

استخدمت الاطراف المتحاربة الطائرة في الاعمال القتالية في الحرب العالمية الاولى . وبالرغم من تأثيرها المادي المحدود الا ان تأثيرها المعنوي كان كبيرا وكان لا بد من مواجهتها بسلاح مضاد اخذ يتطور في قدراته الدفاعية ليواكب التطور في وسيلة التهديد الطائرة .

ونتيجة وقوع الجزيرة البريطانية فريسة للتهديد الجوي الالماني خلال الحربين العالميتين أقام البريطانيون دعائم للدفاع الجوي على اسس ثابتة وتشمل : انذارا مبكرا ؛ سلاحا مناسبا مضادا للطائرات ؛ وسائل ادارة ناجحة ونظام اتصال فعال تترابط عناصرها لتكمل بعضها بعضا . وكان تطوير اي عنصر منها دافعا الى ضرورة ادخال التطوير المناسب على سائر العناصر(٧) .

وفي الحرب العالمية الاولى ، كانت وسائل الانذار الخاصة باكتشاف اقتراب القاذفات ضعيفة ومتخلفة للغاية ، اعتمدت على المراقبة والتنصت ، والتبليغ الهاتفي لمراكز المدفعية المضادة .

وكانت وسيلة التصدي للطائرات المغيرة ، عبارة عن المدافع المضادة والرشاشات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة والتي يتراوح مداها بين مئات الامتار وثلاثة الاف متر . كما استخدمت الطائرات المقاتلة في التصدي للقاذفات المعادية المغيرة .

كان التصدي للقاذفات المغيرة على الهدف يتم بواسطة المدافع المضادة لتدميرها او ابعادها ، وخارج الهدف يتم مطاردتها بالطائرات المقاتلة . وعندما انتقل الالمان للغارات الليلية ادخلت قيادة الدفاع الجوي الانوار الكاشفة لانارة الهدف الجوي(٨) .

وفيما بين الحربين العالميتين ، تم تطوير جهاز الرادار الذي نجح العالم البريطاني روبرت واطسون وات في تصميمه حتى بلغ مداه ٧٥ ميلا في العام ١٩٣٦ ، واصبح في الامكان ، عن طريق العين السحرية التي يزود بها ، تحديد اتجاه الطائرات المقتربة وارتفاعها التقريبي . وفي العام ١٩٣٥ كان العلماء البريطانيون قد توصلوا الى صنع جهاز عرف باسم بيب شلويك يرسل معلومات تبلغ اليا عن موقع الطائرة الصديقة الى محطة الرقابة الارضية وبها يمكن تمييزها عن الطائرات المعادية . كما اخترعوا جهازا لاسلكيا ذا ذبذبة عالية للغاية كان يوفر اتصالا صوتيا واضحا بين الطيار ومحطات المراقبة الارضية ، وبذلك توفرت للدفاع الجوي وسيلة يمكن بواسطتها التمييز بين الطائرات المعادية والصديقة ، ووسيلة للسيطرة على الطائرات الصديقة وتوجيهها نحو الطائرات المعادية(٩) .

شهدت الاسلحة الارضية المضادة للطائرات تطورا تقنيا كبيرا خلال الثلاثينات ، بعد ان ساد الاعتقاد عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، بان السلاح المضاد للطائرات هو الطائرة المقاتلة فقط . فبالنسبة للرشاشات الثقيلة ، ادخلت انواع متعددة واعيرة مختلفة من هذه الاسلحة ، وتم اعتماد طرازات متعددة السبطانات من اجل غزارة النيران . وطورت المدافع الالية الخفيفة لتكون واحدة من اكثر الوسائل المضادة للطائرات فاعلية ، لما تتمتع به من غزارة

النيران وقوتها ، وكان اهمها المدفع الالماني ذو الاربع سبطانات فلاك ٣٨٠/٢٠ ملم ، والذي ركب على ناقلة مدرعة نصف مجنزرة ليكون مدفعا مضادا للطائرات ، ذاتي الحركة . واهم مدفع ظهر من هذه الفئة المدفع السويدي بوفورز عيار ٤٠ ملم . وطورت المدافع الثقيلة التي خصصت للتعامل مع القاذفات الثقيلة والمتوسطة المحلقة على ارتفاعات شاهقة. وكانت غالبية هذه المدافع مجهزة باجهزة رؤية وكشف ليلية ، ورادارات بدائية في بعض الاحيان يمكنها التصدي للطائرات المغيرة ليلا وفي الاحوال الجوية السيئة . وكان اهم ما ظهر من هذه الفئة المدفع الالماني فلاك ـ ٣٦/٤١ عيار ٨٨ ملم والذي وصل مداه الفعال الى ٣٨ الف قدم(١٠) .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، استمرت بريطانيا في تحسين وتطوير شبكة دفاعها الجوي بتزويدها بمزيد من المقاتلات الاحدث طرازا (سبتفاير) ، ورفع كفاءة وسائل الاتصال الارضية ـ الجوية ، وتطوير اجهزة الرادار ، فظهرت رادارات تكتيكية ورادارات ادارة نيران اكثر تطورا .

وكان ابرز تطور راداري في العام ١٩٤٠ بل في الحرب كلها حين توصل العلماء البريطانيون الى اختراع جهاز الماغيترون وكان صغير الحجم، يرسل موجات دقيقة يمكن التقاطها على هوائي صغير. وبذا امكن تجهيز المقاتلات الليلية برادار صغير كان يستطيع تحديد موقع القاذفات المعادية على مسافة عدة اميال . وباطلاع العلماء الاميركيون على هذا الجهاز امكنهم اختراع رادار تكتيكي عرف برقم ٨٥٤ وبرقم ٣ موديل ٥ الذي جمع بين عمليتي الانذار المبكر وادارة النيران ، مع جعل المدافع متصلة به بصورة الية ، وبذلك تتجه بدقة نحو الهدف اليا(١١) .

شهد الدفاع الجوي ـ في نهاية الحرب العالمية الثانية ـ بداية تطور جديد ومثير عندما اخترع الالمان الطائرات المقاتلة . واثبتت خبرة الحرب العالمية الثانية ، ان الطائرات المقاتلة هي اكثر اسلحة الدفاع الجوي فاعلية ، وان الاسلحة الارضية المضادة للطائرات تاتي في المرتبة الثانية .

بالرغم من التحسينات العديدة التي ادخلت على الرشاشات الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ، كالزيادة الكبيرة في السرعة الابتدائية لخروج المقذوف من السبطان ، والزيادة العالية في المدى ومعدل النيران وادخال الطابات الرادارية ، واستخدام اجهزة الرادار والاجهزة الحاسبة الالكترونية ، لزيادة الدقة والكفاءة ، الا انها لم تتمكن من التغلب على القيود التي تلازمها ، مثل المدى النسبي وسرعة الدانة التي تتناقص بعد اطلاقها ، وعدم امكان تصحيح مسار القذيفة بعد اطلاقها من المدفع . وللتغلب على هذه القيود ، كان من الضروري ادخال الصواريخ الموجهة سطح ـ جو .

اعتبرت الصواريخ الموجهة ارض ـ جو ، السلاح المناسب من اسلحة الدفاع الجوي الارضية ، لمواجهة الارتفاع الكبير والسرعة العالية للطائرات فضلا عن ضمان نسبة عالية من الاصابة .

لعل من اهم العراقيل التي تصادف انظمة الصواريخ ارض ـ جو بوجه عام ، ضعف قدرتها على السير عبر الاراضي الوعرة . وكان الهدف هو العثور على عربة ذات قدرة عالية على السير عبر مختلف انواع الاراضي ، ومن ثم تم الحصول على نظام للصواريخ المضادة للطائرات المحملة على المجنزرات . واثبت هذا النظام امكان الاعتماد عليه تماما في اداء ما يناط به من مهام الدفاع الجوي تحت مختلف الظروف(١٢) .

اصبحت سرعة انتقال وسيلة التهديد الجوي ، التي تقاس بالماخ (سرعة الصوت) وتكاد تلامس السطح البري او البحري في طيرانها ، تؤثر بالطبع على مدى التبكير بالانذار ، لتنشيط وسائل الدفاع . ويرتبط هذا الاثر بنظام ادارة الدفاع والمتابعة الدقيقة والمستورة لوسيلة التهديد في تحركها المتزايد السرعة والاتصال الذي يربط بين عناصر الدفاع وأسلحته . ولا شك في ان استخدام الطائرات النفاثة والصواريخ بعيدة المدى والقذائف بدون طيار ، كاسلحة تهديد جوي ، ادى الى اختزال الوقت اللازم لتوصل العبوة المدمرة عبر المسافات الكبيرة . وبالتالي اختزال الوقت اللازم لتلقي الانذار عند الهجوم والتصدي له . وتطلب ذلك تطوير نظام صاروخي مضاد للطائرات ، مستقل ذاتيا ، سريع الحركة ، بحيث يمكن كشف الهدف المغير وتتبعه وقصفه في نطاق مركبه واحدة(١٣) .

وفي حرب فيتنام ، ونتيجة التفوق الجوي الامريكي الساحق ، ركزت القيادة الفيتنامية بشدة على تكثيف وسائل الدفاع الجوي الارضية ، وابتكار اساليب وتكتيكات مناسبة لمواجهة التفوق الجوي الامريكي.وتمكن رجال الصواريخ الفيتناميون في العالم ١٩٧٢ من اسقاط ١٥ طائرة من طراز ب ــ ٥٢ ، وهي قاذفة ثقيلة مجهزة بوسائل الكترونية متطورة للغاية . كما اثبتت الطائرات المعترضة ميغ ٢١ فعاليتها ضد طائرات الفانتوم الامريكية .

ولعل التحدي الحقيقي الذي واجه انظمة الدفاع الجوي ، هو الهجوم الجوي على ارتفاع منخفض جدا . فنجاح الضربة الجوية الاسرائيلية الخاطفة التي تمت ضد اسلحة الجو العربية الجاثمة على الارض صباح ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ادى الى الشك في امكانية التصدي لهذا النوع من الطيران . وهنا عمدت الدول الصناعية الكبرى الى تطوير اجهزة الرادار القادرة على اكتشاف الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة جدا ، وتطوير طائرات الانذار المبكر القادرة على اكتشاف هذه الاهداف دون التعرض لمشكلات الثنيات والعوائق الارضية ، التي تعيق الرادارات الارضية من اكتشافها . وبدأت هذه الدول عملية تطوير سريع للاسلحة الارضية القادرة على التعامل بفاعلية مع هذا النوع من الهجوم الجوي . والجدير بالذكر ان الصواريخ الفردية المضادة للطائرات ، والمدافع الخفيفة سريعة الرمي والتي يتم توجيهها بواسطة الرادار ، هي الا قدر على التعامل الفعال ضد الاهداف الجوية المهاجمة على ارتفاعات منخفضة جدا(١٤) .

الدفاع الجوي الحديث

ما زالت الاوساط العسكرية في العالم ، تذكر حادثة الطائرة الكوبية التي اخترقت المجال الجوي فوق ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الامريكية ، في اوائل السبعينات ، واستمرت في اختراقها الى ان وصلت الى مسافة ٢٥ ميلا من مدينة نيواورليانز ،دون ان تكتشفها وسائل الدفاع الاميركية . ثم الحادث الذي وقع في ١٩ اذار (مارس) ١٩٧٨ عندما اصدرت القيادة الجوية الاميركية بيانا جاء فيه ، ان طائرتين عسكريتين سوفياتيتين من طراز تو ــ ١٦ اخترقتا المجال الجوي في الاسكا حتى مسافة ١٥٠ ميلا(١٥) .

دلت هذه الحوادث على مدى ما تعانيه انظمة الدفاع الجوي حتى الحديثة منها ، من مشاكل في اكتشاف الاهداف الجوية التي تخترق المجال الجوي للدول والانذار المبكر عنها في الوقت المناسب .
وتنشأ الثغرة التى تشكل المتاعب لنظام الانذار المبكر عن الاهداف الجوية من احد عاملين .

١ــ اقتراب الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة جدا للحصول على المفاجأة .
٢ ــ ظهور الصواريخ المدارية في اواخر الستينات ، ومدى امكان اختراقها للمجال الجوي

للدولة المعادية على ارتفاع منخفض في مدار حول الارض، جعل فترة الانذار عن اقترابها قصيرة للغاية .

ويهدف الدفاع الجوي الى منع او التصدي لاي هجوم او اختراق جوي معادي ، تقوم به الطائرات او الصواريخ الاستراتيجية ، للحيلولة أو للتخفيف من النتائج المحتملة لهذا العمل الجوي .

ويقسم الدفاع الجوي الى
- دفاع جوي عن الدولة او الاقليم .
- دفاع جوي عن القوات المقاتلة ، وهو جزء من الدفاع الجوي عن الدولة .

الدفاع الجوي عن الدولة

يضم هذا الدفاع اربعة فروع مختلفة ومتكاملة .

١ ـ الطائرات المقاتلة المعترضة .

٢ ـ الاسلحة الارضية المضادة للطائرات (الرشاشات والمدفعية المضادة للطائرات ، والصواريخ الموجهة ارض ـ جو الثابتة والمتحركة) .

٣ ـ اجهزة ووسائل الكشف والانذار المبكر والمتابعة والتمييز .

٤ ـ نظام ادارة النيران الارضية ، وتوجيه القتال الجوي ، والتنسيق بين وسائط الدفاع .

يضاف اليه في الدول الكبرى ، نظام ضد الصواريخ الباليستيكية ، مع ما يتضمن من صواريخ مضادة للصواريخ واجهزة كشف وانذار لها(١٦) .

ادى استخدام القاذفات النفاثة الضخمة والصواريخ العابرة والطائرات الموجهة الكترونيا عبر المسافات الكبيرة ، الى اختزال الوقت اللازم لتوصيل القوة التدميرية الى اهداف الخصم ، وبالتالي اختزال الوقت اللازم لتلقية الانذار عن الهجوم.وتختلف الآراء حول الاسلحة المضادة التي تستخدم ، فالبعض يفضل غمر منطقة الهدف بوابل من القذائف المتوسطة العيار البسيطة التصميم بادوات الكترونية بسيطة . ويحبذ البعض الاخر ، الاعتماد على عدة الكترونية ممتازة قادرة على تحديد مكان الهدف بالضبط ، واستخدام اسلحة ذات عيار كبير تستطيع تدمير الهدف بقذيفة او اثنتين. والجدير بالذكر ، ان مركبة مدرعة مضادة للطائرات تلبي جميع هذه الاحتياجات بالمدافع فقط ، تكون اقرب الى بارجة منها الى دبابة ، ولا بد ان يكون ثمنها خياليا(١٧) .

وللمعادلة بين مختلف الاحتياجات والامكانيات ، فان الاسلحة المضادة للطائرات التي يجري انتاجها واستخدامها اليوم ، تقع بين هذين النقيضين . فبدلا من استخدام نظام مثالي من المدفعية المضادة للطائرات ، يجري استخدام نظم مدفعية اقل دقة تساندها نظم صاروخية ارض ـ جو ، ثابتة ومتحركة للعمل فيما وراء مرمى المدافع ، لسد الثغرات ، وتعميق الدفاع الجوي ، وتوفير التكامل والحماية المتبادلة لاسلحته . وتقوم المقاتلات المعترضة بالعمل خارج مدى الاسلحة الارضية المضادة للطائرات وبالتنسيق معها . ورغم التطور التقني والتكتيكي الذي لحق الاسلحة ارض ـ جو وسطح ـ جو ، بقيت الطائرات المقاتلة المعترضة هي اكثر اسلحة الدفاع الجوي فاعلية .

وفي حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ، شكلت الطائرات المقاتلة المعترضة ميج ٢١ بعد رفع مستوى قدراتها ، وشبكة الصواريخ المصرية والسورية والمحمية بمختلف انواع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات ــ بعد استكمال بنائها ــ غطاء فعالا فوق جبهتي قناة السويس والجولان ، امتد حتى كامل العمق التكتيكي الاسرائيلي .

والجدير بالذكر ، انه مهما توافرت وسائل الدفاع الجوي ، فانها لا تستطيع صد الضربة الجوية بنجاح كامل . ولا يوجد من الناحية العملية شبكة دفاع جوي بمنأى عن الاختراق . وبات من المحتم وجود القوة ــ لدى الدولة التي تعرضت للهجوم الجوي ــ القادرة ليس فقط على امتصاص الضربة الاولى ، التي تستهدف شل القدرة الدفاعية وامكانات الرد المضاد ، ولكن القيام بالضربة الثانية المضادة لتدمير الخصم ايضا . ومن هنا بات مهما واساسيا ، وجود قوة فاعلة للردع ، للرد على الضربة الاولى بالكم والكيف الذي يحقق ردع الخصم ، مع اتخاذ كافة الاجراءات التي تحقق عدم قابلية هذه القوات للتدمير في الضربة الاولى . ومبدأ الردع في حد ذاته يمكن ان يمارس التأثير المعنوي على الخصم ، اي التأثير السيكولوجي على ارادته ، بهدف اقناعه بان الحرب تنطوي على كارثة محققة لا يمكن تجنبها(١٨) .

الطيران الاسرائيلي: نشأته وتطوره

تأسس الفرع الجوي لمنظمة الهاغاناه في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، بقيادة اهرون ريمز ، الضابط السابق في الجيش البريطاني . وتألف هذا الفرع من ١١ طائرة مروحية من عدة انواع .

وعندما انسحبت بريطانيا من فلسطين ، في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، سيطر الاسرائيليون على ١٢ قاعدة جوية بريطانية وثلاث مطارات مدنية . وقامت المؤسسات اليهودية، وخصوصا في الولايات المتحدة، بتمويل صفقات من الطائرات حصلت بموجبها اسرائيل على اعداد كبيرة من طائرات ستيفـاي وموسكيتـوز، وطائرات نقل سي ــ ٤٦ ، وقاذفات قنابل ب ــ ١٧ التي اشتركت في الاغارة على القاهرة ودمشق في حرب ١٩٤٨ . كذلك تم الحصول على مقاتلات ميزرشميث الالمانية الصنع ، من تشيكوسلوفاكيا(١٩) .

وفي العام ١٩٥٣ ، بدأ الاسرائيليون تسلم طائراتهم المقاتلة النفاثة من نوع ميتيور الانجليزية الصنع. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ ،تسلموا ١٥ طائرة اورغان ،كدفعة اولى، الى ان وصل عدد طائرات هذا النوع حوالي ٧٥ طائرة . وفي العام ١٩٥٦ تم تسليمهم ١٢ طائرة ميستير ٤ المتطورة، فرنسية الصنع .

وفي عشية حرب ١٩٥٦ ، كان سلاح الجو الاسرائيلي يتألف من ١٦ طائرة ميستير ٤ ، ٢٢ اورغان ، ١٥ ميتيور ، ٢٩ موستانغ ، ١٦ موسكيتوز ، ١٧ هارفارد ، ١٦ طائرة نقل سي ــ ٤٧ ، ٣ طائرا ت نقل نورداطلس ، ٢ قاذفة قنابل ب ــ ١٧ ، علاوة على عدد من الحوامات وطائرات النقل الخفيفة(٢٠) .

وبعد الحرب ، استمرت اسرائيل في تعزيز سلاحها الجوي بالطائرات الفرنسية التي كانت مواصفاتها تتوافق مع سياستها الجوية الهادفة الى الحصول على طائرات متعددة المهام .

وفي العام ١٩٥٩ ، بدأ سلاح الجو الاسرائيلي في تسلم الطائرة النفاثة الاسرع من الصوت سوبر مستير ب ــ ٢ ، وهي طائرة مقاتلة متعددة المهام . وفي العام ١٩٦٣ بدأوا في

تسلم الطائرات المقاتلة الفرنسية الصنع ميراج ــ ٣ ذات السرعة الاكثر من ضعف سرعة الصوت .

كانت القوة الضاربة لسلاح الجو الاسرائيلي ، عشية حرب حزيران (يونيو) كما يلي ٩٠ ــ ٩٥ طائرة ميراج ــ ٢٤,٣ طائرة سوبر ميستير ، ٢٨ طائرة ميسيتر ــ ٤ ، ٣٠ ــ ٤٩ طائرة ميتيور ، ٤٠ ــ طائرة اورغان ، ٦٠ طائرة تدريب فوغا ماجستير معدة للدعم الارضي ، بالاضافة الى عدد من الحوامات وطائرات النقل الخفيفة الاخرى(٢١) .

نتيجة العدوان الاسرائيلي التوسعي على اراضي ثلاث دول عربية (مصر وسوريا والاردن) في العام ١٩٦٧ ، وايقاف فرنسا تزويد اسرائيل بالسلاح ، اصبحت الولايات المتحدة الاميركية ممول اسرائيل الرئيسي بالسلاح .

بدأت اسرائيل في العام ١٩٦٨ ، تسلم طائرات السكاينوك التي سبق ان طلبتها من الولايات المتحدة العام ١٩٦٦ . وتعتبر هذه الطائرة من افضل القاذفات الخفيفة في العالم الغربي . كما بدأت اسرائيل في تسلم طائرات الفانتوم الاميركية اواخر العام ١٩٦٩ ، وهي من افضل المقاتلات القاذفة في العالم .

كان سلاح الطيران الاسرائيلي عشية حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ يشمل الاعداد الاتية من الطائرات تقريبا ١٢٢ مقاتلة فانتوم ف ــ ٤ أي ، ٢٠٠ قاذفة سكايهوك١ ــ ٦٠,٤ مقاتلة ميراج ــ ٣سي ج،٣٠ مقاتلة ميستير ــ ١٢,٤سوبر ميستير، ٩٠طائرة فوغا ماجستير للتدريب والدعم الارضي ، ٦ فانتوم للاستطلاع ، ١٠ سكايهوك للتدريب والقصف ، ٣٤ طائرة نقل نوردا طلس ، ١٢ طائرة ستراتوكروز للنقل والتشويش الالكتروني وتزويد الطائرات المقاتلة بالوقود في الجو ، ٨ س ــ ٤٧ للنقل ، ٧طائرات هيركيوليس للنقل واطلاق الطائرات الموجهة (دون طيار) ، ٣٠ حوامة اغوستابيل ب ــ ٢٠٥ ، ٢٤ حوامة سي هــ ٥٣ ، ١٣ حوامة سوبر فريلون ، وعدد من طائرات النقل والحوامات الخفيفة الاخرى(٢٢) .

والجدير بالذكر ، ان الاسرائيليين استفادوا من التجربة الاميركية في حرب فيتنام حول النقل السريع بالحوامات للقوات الخاصة ، الى ارض المعركة ، او الى اماكن خلف خطوط العدو . كما استخدموا الحوامات ، بعد ان جهزوها بالصواريخ المضادة للدبابات ، في التصدي للدبابات العربية .

ودعما لاستراتيجيتها الهجومية ، التي تعتمد على سياسة الذراع الطويلة ، تستمر اسرائيل في تطوير وتحديث سلاحها الجوي ، وقد حصلت في بداية العام ١٩٧٧ على المقاتلة المتفوقة « ف ــ ١٥ » (النسر) ، التي تعتبر من اقوى المقاتلات في العالم .

استراتيجية الاستخدام والمهام

ارتبط تطور سلاح الطيران الاسرائيلي وتطور تكتيكاته واساليب استخدامه،بأفكار شخصيات القادة الذين توالوا على قيادته. فبعد الجنرال آهرون ريمز ، الضابط السابق في القوات الجوية الملكيه البريطانية ، والذي قاد السلاح في حرب ١٩٤٨ ، استلم الجنرال شلومو شاير ، القائد السابق للبحرية الاسرائيلية ، السلاح في العام ١٩٥٠ . وخلفه في العام ١٩٥١ ، الجنرال حاييم لا سكوف ، الاخصائي بالمدرعات . وكان من النتائج

الحتمية لتعيين اشخاص كهؤلاء لا يستجيب تكوينهم لمتطلبات المنصب الذي يشغلونه ، تطور السلاح خلال الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ على الارض اكثر من تطوره في الجو . فانشئت القواعد الجوية ، وانشئت وحسنت مهابط جديدة ومساكن للفنيين والطيارين . وتم تزويد الطيارين بعدد كبير من المدارس الفنية والمهنية ومراكز التدريب ، وطبق الانضباط الصارم(٢٣) .

وفي العام ١٩٥٣ تسلم الجنرال دان طولوفسكي ، الطيار القديم في القوات الجوية الملكية البريطانية ، قيادة السلاح . وقلب مذهب هذا القائد ، جميع المفاهيم السائدة والمتعلقة بالاستراتيجية والتكتيك الجويين ، فعمل على تزويد سلاح الجو بطائرات مقاتلة حديثة ، لانه لا يمكن خوض حرب بدون اسراب المطاردات لحماية اسرائيل من وصول الطيران العربي اليها ، واسراب القاذفات المقاتلة لنقل الحرب الى خارج حدودها . كما اصر على توفير السرعة والفاعلية للسلاح ، حتى يتلاءم مع الوضع الاستراتيجي الصعب لاسرائيل المحاطة باعدائها العرب . فركز على التدريب الراقي للطيارين والفنيين ، وعلى توفير التجانس والحداثة للطائرات وجعل للسلاح الجوي الافضلية المطلقة في مجال التطوير على باقي اسلحة الجيش الاسرائيلي(٢٤) .

بعد طولوكوفسكي ، تسلم الجنرال عيزر وايزمن ــ عام ١٩٥٨ ــ قيادة سلاح الجو الاسرائيلي . وكان وايزمن كسلفه ، مقتنعا بان السيطرة الجوية لا تتحقق الا بطيران سريع وفعال ومتجانس النوعية . وكان يؤمن بان مهمة السلاح الجوي الاساسية ، تقوم على ابادة القوى الجوية المعادية . وعندما تتحقق هذه المهمة وتصبح سماء اسرائيل امنع من ان تنتهك ، يستطيع الطيران الانصراف الى مهمته التالية التي تقوم على تقديم الدعم والعون للقوات الارضية . وقد عمل وايزمن على ان يكون سلاح الجو فعلا ، الاداة الرئيسية في استراتيجية نقل المعركة لارض الخصم .

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٦٦ ، خلف وايزمن ، الجنرال مردخاي هود . وتميزت فترة قيادته قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بالانهماك الكامل في التدريب العملي الشاق للطيارين والفنيين ومختلف الاخصائيين في السلاح(٢٥) . وقاد هود، السلاح الجوي الاسرائيلي في الضربة الصاعقة للطيران العربي على الارض ، في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والتي كانت العامل الرئيسي في كسب الحرب . ويقول الون « املت الظروف الجيو ــ ستراتيجية والسياسية على اسرائيل خطة دفاعية لا تعترف بمفهوم التقهقر والانسحاب ، وتهدف الى نقل الحرب الى ارض العدو ، وتسعى الى تحطيم اكبر قدر ممكن من حشوده العسكرية في اقصر وقت . ويحقق الطيران القوي والفعال ، السرعة وكثافة النيران ، وقوة الصدمة المطلوبة بشكل اساسي ، لتنفيذ استراتيجية الحرب الخاطفة ، التي تعتمدها اسرائيل في نقل المعركة سريعا الى ارض الخصم .

ورغم ان المسرح الرئيسي للحرب المتوقعة كان على الاراضي ، فانه لم يكن من الممكن التفكير في نصر عسكري سريع ، بدون تفوق جوي . وعلى ذلك فقد تم توسيع القوة الجوية . لقد تطورت الى قوة متعددة الاغراض قادرة على الاشتباك في قتال جوي والهجوم على البر والبحر ، وتقديم معاونة للقوات البرية السريعة التقدم . كما اصبح لها القدرة على القيام بمهام اضافية عديدة مثل الاستطلاع والنقل وانزال القوات والمواصلات ، واعمال الاسعاف والانقـــاذ »(٢٦) .

ولتعزيز قوتها الجوية ، ركزت اسرائيل على تحقيق العوامل الفاعلة في الحصول على التفوق الجوي ، من مخابرات متفوقة ، وتخطيط مدروس ، وكفاءة الادارة والسيطرة

العالية ، والاستفادة من الطاقة الكاملة للطائرة والفني والطيار عن طريق دقة الاستخدام، المبني على التدريب الراقي والروح المعنوية العالية . وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع الاستراتيجية العسكرية الهجومية لاسرائيل ، اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، أذ أن جميع الطائرات الاميركية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم وان كانت تستعمل لجميع الاغراض ، الا انه بسبب حمولتها الكبيرة من المواد الحربية ، والتي تصل الى اكثر من سبعة اطنان ومداها الواسع (١٦٠٠ كم) هي قاذفة اكثر منها مطاردة معترضة . وكذلك السكاي هوك القاذفة الهجومية الخفيفة والتي تستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية(٢٧) . وذلك بالاضافة الى ما لدى سلاح الجو الاسرائيلي من أدوات الكترونية حديثة ، غاية في التطور والتعقيد ، من وسائل كشف واستطلاع وتشويش وحرب الكترونية وصواريخ موجهة ، جو – جو وجو – ارض .

والجدير بالذكر ، ان الطيران مهما كانت فاعليته وتفوقه ، لا يمكنه حسم المعركة ، عدا معارك الصحارى المكشوفة ، والذي كان للتفوق الجوي دور حاسم فيها . والامثلة على ذلك واضحة ، ابتداء من الجزائر ، ومرورا بكوريا وفيتنام كنموذج للحرب بمختلف اشكالها ، والتي لم تتمكن القوة الجوية الهائلة ، والتفوق الجوي المطلق من قهر الارادة الصلبة للشعوب الثائرة وطليعتها المقاتلة .

الثورة الفلسطينية والتفوق الجوي الاسرائيلي .

نتيجة التطور السريع والهائل لوسائل وطرق الهجوم الجوي ، من طائرات اسرع من الصوت وصواريخ باليستيكية عابرة للقارات ، وصواريخ جوالة وطائرات موجهة (بدون طيار) ، علاوة على الوسائل الكونية ، التي تنطلق باسلحة الدمار من الفضاء الخارجي ، تعقدت مشكلة الدفاع الجوي . فوسائل الهجوم الطائرة ، وخصوصا الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ، وبسرعة عالية جدا ، قادرة على الوصول الى اهدافها ومفاجآتها وضربها . وبالتالي لا يمكن للدفاع الجوي من تحقيق اغراضه الا بالاتي .

١ – منع الضربة الجوية من الوصول الى اهدافها بتدميرها والقضاء عليها .

٢ – في حالة وصول الضربة الجوية الى اهدافها ، العمل على تخفيف اثارها ، حتى لا تكون مجدية ، ولا تحقق اغراضها .

٣ – آستخدام الردع الاستراتيجي ، ضد من يحاول القيام بالهجمات الجوية(٢٨) .

ويتطلب ذلك مستوى فنيا وتقنيا متطورا جدا ، وامكانيات باهظة التكاليف ، لا تتيسر الا للدول الصناعية الكبرى .

وفي ظروف حرب العصابات ، لا يتيسر للقائمين بها ، الاسلحة والوسائل الفنية القادرة على الانذار وحماية منطقة نشاطها . فكل ما يمكن توفيره ، في هذا المجال هو المدافع الخفيفة ، والرشاشات الثقيلة ، واحيانا الصواريخ الفردية المضادة للطائرات والتي تعتمد في أستعدادها على وسائل انذار بدائية لا تتعدى في الغالب العين والاذن .

ولما كانت المقاومة الفلسطينية هي حرب عصابات في الاساس ، تسيطر على ارض عمل لها ، وتجابه عدوا لديه امكانيات جوية كبيرة ، بات من الضروري حل مشكلة الدفاع الجوي عن قواعد ومناطق الثورة . ويجب ان لا يغرب عن البال ، ان الامكانيات والوسائل المتيسرة في هذا المجال ، لا يمكنها بحال تدمير الاهداف الجوية المهاجمة ، ومنعها من

الوصول الى اهدافها، وكل ما يمكن عمله ، هو تلافي ضربات العدو الجوية ، وجعلها ضربات تطيش في الهواء ، وتقليل الاثار الناتجة عنها ، في حالة تمكنها من الوصول الى الاهداف الحية ، وتدمير بعضها . وبناء على ظروف الثورة ، يمكن ان يبني الدفاع الجوي على الاسس الاتية .

١ ــ وضع نقط انذار ، مدربة على مراقبة وتمييز الطائرات ، ولديها احدث وسائل المراقبة والاتصال السريع ، على طرق اقتراب طيران العدو .

٢ ــ الاستفادة من وسائل الانذار الصديقة ــ كلما امكن ــ في التبليغ عن اقتراب طيران العدو .

٣ ــ وضع الاسلحة المضادة للطائرات ، من مدافع خفيفة ، ورشاشات ثقيلة ، وصواريخ فردية ان وجدت ، في مواقع مختلطة ودائرية ، حول الاهداف الحيوية ، والتجمعات السكانية .

٤ ــ اختيار العديد من المواقع الهيكلية والتبادلية ، لكل موقع دفاع جوي ونقطة انذار ، يتم الانتقال اليها على فترات زمنية قصيرة دوريا ، بحيث يتعذر على العدو الجوي مفاجأة الموقع وضربه ، بل قد يكون هو ضحية المفاجأة .

٥ ــ يكون لقواعد المقاتلين ومناطق التجمع والتدريب ومخازن الاحتياجات الحيوية اماكن تبادلية ، ينتقل اليها الافراد والمعدات والاحتياجات الاخرى ، بصفة دورية ، فالتواجد في مكان واحد ولفترة طويلة ، يسهل على العدو الجوي تحديد الهدف بدقة ومفاجأته. والجدير بالذكر ان هناك ميلا غريزيا لدى الافراد للاستمرار في المكان الذي اعتادوه . فبمرور الزمن ينمو رباط من الالفة بين الفرد والمكان حيث يكون الفرد قد وفر في مكانه بعض وسائل الراحة ، وربما بعض العلاقات مع المواطنين ، وهنا يكمن الخطر . فعلى القادة والكوادر توعية عناصرهم على اهمية الانتقال المستمر حفاظا على حياتهم وامنهم .

٦ ــ الاهتمام بالاخفاء والتمويه ، وسرية التنقل ، وتطهير المحيط من العملاء .

٧ ــ اما الموضوع الاكثر اهمية والحاحا فهو الحفر وبناء الملاجيء . فالقول الشائع « احفر او تموت » ، له ما يبرره ، فكثيرا ما انقذت الملاجيء ، وحتى الحفر البسيطة ، العديد من الارواح . وهناك العديد من القصص الحية ، لمقاتلين انقذتهم حفرة ، او خندق محفور في الارض ، من اطنان المتفجرات التي انهالت عليهم بلا هوادة .

٨ ــ انتشار المقاتلين بعيدا عن قواعدهم ، فهو ، بعد الحفر ، احدى الوسائل السلبية الهامة في الدفاع الجوي . ومن المهم التنبيه الى ان هذه الطريقة ، اذا لم تنفذ بشكل منظم مسبقا ، الى اماكن مدروسة ومختارة جيدا ، يمكن منها قيام المقاتلين بنفس واجباتهم ، تكون بعثرة للقوى ، وتؤدي الى نتائج سلبية ، وخصوصا عند قيام العدو بهجوم ارضي ، مستغلا ضرباته الجوية . ولهذا كان لا بد من التحذير ، من الانتشار العشوائي للمقاتلين، الذي قد يحميهم من الهجوم الجوي ، ولكنه يعرض اهدافهم الى أشد الاخطار .

٩ ــ ازالة اثار الضربات الجوية ، وسرعة الاخلاء للاصابات ، واطفاء الحرائق ورفع الانقاض وتطهير الطرق من اثار الانفجارات .

وبعد، فاسرائيل التي جعلت من التفوق الجوي، اساسا لاستراتيجيتها في نقل المعركة بسرعة الى الارض العربية المحيطة بها، استوحت من نظام القواعد الجوية البريطانية، ثم

الأميركية ، أن الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين ، بقوة بشرية ضئيلة نسبيا ، وبالتالي بخسائر ضئيلة للغاية في العمليات العسكرية . فالمدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه يثبت يد اسرائيل الطويلة ، وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، بكل ما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، والاقتصاد العربي[٢٩] . وبالتالي يمكن التأثير على الثورة الفلسطينية وجعل قاعدة انطلاقها ، الى الأراضي المحتلة ، ليست مهددة من العدو فحسب ، ولكنها مغلقة بفعل الصديق ايضا ، بدعوى اتقاء الانتقام الاسرائيلي . ومن نافلة القول ، تأكيد عبث محاولة الثورة الفلسطينية منازلة العدو في مجال تفوقه الجوي . صحيح ان لكل فعل عملا مضادا قادرا على الوقوف مواجهة واجهاض اثاره ، ولكن ليس بالضرورة ان يكون الوجه الاخر له .

والمطلوب اذن هو اتباع اسلوب مصارع الثيران ، في مواجهة الثور الهائج الذي يفوقه قوة بما لا يقاس ، فعلينا ان نطيش ضربات العدو ، ونستنزف قواه قطرة قطرة . نلتحم به ، ثم نجهز عليه في النهاية .

ولا تزال قصة انتصار الثورة الفيتنامية ، ملحمة بطولة ، ماثلة في الاذهان ، حيث لم تستطع مئات الالاف من اطنان المتفجرات ، التي القتها الاف الطائرات الاميركية ، كسر ارادة شعب صمم على الانتصار . ومهما كانت امكانيات العدو الاسرائيلي ، وتفوق قوته الجوية ، فان انتصار الثورة بامتدادها العربي الهائل ، وبمساندة قوى الاحرار في العالم ، ليس فقط في حدود الممكن ، ولكنها حتمية تاريخية .

---

(١) اللواء الطيار الركن علي لبيب ، « التطور الكبير في وسائل التهديد الجوي ووسائل الدفاع » ، **الدفاع العربي** ، العدد العاشر ، تموز (يوليو) ١٩٧٨ ، ص ١٨ .

(٢) هشام عبد الله ، « سلاح الطيران الاسرائيلي » ، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ ، ص ٩٣ .

(٣) الدفاع الجوي ،**الموسوعة العسكرية**، الجزء الثاني ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ ، ص ٣٨٠

(٤) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨٧ .

(٥) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨٩ .

(٦) اللواء خضر الدفراوي ، « الثغرة في انظمة الدفاع الجوي » ، **الدفاع العربي** ، العدد التاسع ، حزيران (يونيو) ، ص ٤٦ .

(٧) لبيب ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٨ .

(٨) الدفاع الجوي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٨١ .

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨٣ .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨٥ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ٣٨٦ .

(١٢) ستيفان جايزنهاينر ، « نظام الدبابة المضادة للطائرات » ، **الدفاع العربي** ، العدد العاشر ، تموز (يوليو) ص ٢٦ .

(١٣) **المصدر نفسه** ، ص ٢٧ .

(١٤) الدفاع الجوي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٨٨

(١٥) الدفراوي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤٢ .

(١٦) الدفاع الجوي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٣٧٩ .

(١٧) ستيفان جايزنهاير **مصدر سبق ذكره** ص ٢٨ .

(١٨) اللواء خضر الدفراوي ، « النظام الفقير والنظام الغني في مواجهة اخطر وسائل الهجوم الكوني » **الدفاع العربي** ، العدد الثاني عشر ، ايلول ، (سبتمبر) ١٩٧٨ ، ص . ٥ .

(١٩) رياض الاشقر ، « **سلاح الجو الاسرائيلي** » ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

(٢٠) **المصدر نفسه** ، ص ١٧

(٢١) **المصدر نفسه** ، ص٢١ .

(٢٢) **المصدر نفسه** ، ص ٢٩ .

(٢٣) هيثم الكيلاني ، **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، بيروت ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٩ ، ص ٦٥١ .

(٢٤) **المصدر نفسه** ، ص ٦٥٣ .

(٢٥) **المصدر نفسه** ، ص ٦٥٨ .

(٢٦) ايغال الون ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** (ترجمة عثمان سعيد) بيروت ، دار العودة ، تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧١ ، ص ١٧٢ .

(٢٧) عبد الله ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨٣ .

(٢٨) اللواء خضر الدفراوي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٧ .

(٢٩) عبد الله ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٧٩ .

د. محمد عبد الرؤوف سليم

الحيازة الفردية في الزراعة اليهودية في فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل

لعل المزارع الجماعية والتعاونية في المستوطنات اليهودية ، قد غطيت جيدا في الدراسات العربية المعاصرة . لكن هذه الدراسات لم تعط ، بعد ، الحيازات الفردية للاراضي اليهودية في فلسطين الاهتمام الكافي ، ربما لأن الطابع البارز في الزارعة اليهودية بفلسطين كان الطابع الجماعي والطابع التعاوني.

وكان أغلب الملكيات اليهودية الخاصة من الأرض ينتمي للملكيات الصغيرة في حين ينتمي بعض هذه الملكيات الى فئة الملكيات المتوسطة . ذلك ان الملاك الكبار انعدم وجودهم بصفة عملية بين اليهود في فلسطين نتيجة للظروف التي عاشها المستوطنون في مرحلة بناء الوطن القومي اليهودي ، فندر أن نجد منهم من يمتلك مزرعة مساحتها الف دونم ، كما ان البعض القليل منهم كان يمتلك بضع مئات من الدونمات ، اي ان « النمط العربي » في ملكيات الأرض انعدم بين المستوطنين اليهود . على ان ما تجدر الاشارة اليه هو ان تصنيف الملكيات اليهودية الخاصة الى ملكيات كبيرة ومتوسطة وصغيرة اذا طبق على اليهود ، فان الأمر يستلزم تعديلا جوهريا حتى يتناسب مع الحقائق المتعارف على وجودها في المجتمع الزراعي في فلسطين . فيجب ان توضع في الحسبان استثناءات خاصة بالنسبة الى وسائل الري التي طبقت في الاراضي اليهودية ، فضلا عن السمات التي انفردت بها المستوطنات اليهودية من حيث نوعيات المحاصيل والالات الزراعية المستخدمة والطرق المتبعة في الزراعة اليهودية ، قبل النظر في تحديد فئات الملكية اليهودية ، نظرا لأن هذا التحديد يجب ان يتم باسلوب مختلف الى حد ما عندما نضع في الاعتبار المجتمع الزراعي في فلسطين ، ككل ، بما في ذلك نظام الملكية في القرى العربية . ويقودنا هذا الاسلوب الى القول بأن من يمتلك من العرب قطعة ارض تمتد على مساحة خمسمائة دونم يعتبر مالكا متوسطا ، بينما من يمتلك نفس المساحة من اليهود يوضع في عداد فئة كبار الملاك . ومع ندرة كبار الملاك من اليهود ، فان من امتلك منهم خمسين دونما وضع في عداد الملاك المتوسطين . والحق ان الباحث يجد ان من المألوف في القرية اليهودية ، وبشكل خاص بعد التقدم في بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ان الملكيات كانت صغيرة ذات مساحات مختلفة .

وتبعا لاحصاء الزراعة اليهودية الذي جرى عام ١٩٢٧ كانت هناك ٢٨٦ ملكية فردية ، اي مزارع فوق ارض يمتلكها الفلاحون اليهود انفسهم تقع في مساحة تتراوح بين مائتين وثلاثمائة دونم لكل منهم ، وقد وصل اجمالي مساحة تلك الملكيات في نفس العام الى ٧١,٨٥٩ دونما . وفي مقابل ذلك ، بين الاحصاء وجود ٢٤٤ ملكية على مساحة ثلاثمائة دونم ، بحيث يصل اجمالي مساحتها الى ١٤٥,٠٠٣ دونما . ويمكن تفسير هذه الارقام بالنظر الى توسع الوكالة اليهودية في مجال التوطين الزراعي ، ذلك التوسع الذي شكل نقطة التحول في مجال بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكان الميل السائد من جانب ذوي السلطة في الوكالة يتجه الى تقليص مساحة الملكية الزراعية الفردية بانتظام وباستمرار داخل المستوطنات اليهودية التي تأسست حتى عام ١٩٢٧ (١) .

وبناء على ذلك ، وتبعا لاحصاء عام ١٩٢٧ المشار اليه يكون عدد الملكيات الفردية اليهودية في مستوى مائتي دونم فاكثر ، قد نما الى ٤٣٤ مزرعة ، وقد قدرأن المزرعة تضم كلا من الارض التي ملكها المستوطن والارض التي استأجرها .

على انه يمكن التمييز بين فترتين متمايزتين في مرحلة البناء اليهودي الاستيطاني في فلسطين . تبدأ الاولى مع بداية عملية التوطين حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى ، او بين عامي ١٨٨٠,١٩٢٠ ، حيث امتلك المستوطنون ملكيات متوسطة . فكان كل منهم يمتلك عدة مئات من الدونمات . اما الفترة التالية ، فتبدأ عام ١٩٢١ وتمتد حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين حيث بدأت الوكالة اليهودية تنشيط عمليات التوطين الزراعي ، على نطاق واسع ، وكان طابع الملكية الصغيرة هو السائد . لقد كانت ملكية المستوطن تنكمش مساحتها بصفة مستمرة ، حتى برزت فئة جديدة من المستوطنين كانت ملكية كل منهم تكون جزءا فقط من الملكية في الفترة الاولى .

لقد تعلم قدامى المستوطنين دروسهم في الزراعة من جيرانهم من سكان البلاد الاصليين من خلال ملاحظة ماذا يفعلون ثم التقليد ، فصار عملهم نسخا مما كان يجري في الملكيات الكبيرة في القرى العربية ، كما اسس اليهود مزارعهم على مساحات كبيرة ، متأثرين بالتأكيد بالاحوال والظروف السائدة في بلادهم الأصل، حيث كان من المعتاد وجود ملكيات زارعية كبيرة .

والحق ان احدى الملامح التي تميزت بها المستوطنات اليهودية في السنوات الاربعين الاولى من البناء التوطيني اليهودي في فلسطين تمثلت في وجود الملكيات الكبيرة (من ٢٥٠ دونم الى ٣٠٠ دونم) . ففي المستعمرات التي اسسها روتشيلد في اليهودية والسامرة والجليل كانت الملكيات تمتد في الاغلب على مساحات كبيرة . على ان الذين استوطنوا تلك المستعمرات قاوموا كثيرا من العقبات كما حدث في ريشون لوزيون ونس زيونا وبتاح تكفا والخضيرة (٢) .

ويلاحظ وجود ملامح القرية العربية في المستعمرات اليهودية الاقدم ، مثل بعثرة الملكية في داخل نطاق القرية ، فلم تكن ممتلكات المستوطن مركزة في قطعة واحدة وانما كانت موزعة في انحاء المستعمرة، حيث قسمت المستعمرة الى مناطق مختلفة تبلغ عشر مناطق او اثنتي عشرة منطقة . وكان زمام مستعمرة ميلاهيميا(٣٣) — على سبيل المثال — يشغل

مساحة ثمانية الاف دونم ، مقسمة الى اربعة عشر حوضا زراعيا ، وكان كل مستوطن يمتلك جزءا في كل منها ، مما بعثر ممتلكاته في اربعة عشر منطقة . ولم تكن التجزئه في الملكية الفردية اليهودية سائدة على اي حال في كل المستوطنات (٤) .على ان هناك عديدا من الوقائع تدل على ان بعض المستوطنين كانوا يهجرون مزارعهم بحثا عن حياة افضل في المدن وهربا من خشونة العيش في الريف حيث الحياة الزراعية التي لم يألفها اليهودي المهاجر في بلده الاصل ، حتى ان المحاولات الاولى لانشاء مستعمرة روش بناه عام ١٨٧٨ على اطراف وادي الحولة قد انتهت بالفشل حيث هجرت القرية بعد مدة وجيزة من الزمن بسبب نقص رؤوس الاموال وقلة الخبرة الزراعية ، ولم تبعث فيها الحياة من جديد الا بعد وصول الموجة الاولى من الهجرة اليهودية بعد ذلك بنحو اربع سنوات (٥) .

وكانت الملكية الفردية اليهودية تعتمد ايضا على نوع المحصول ، حيث التبعيّة ونوعية التربة المتباينة الخصوبة في فلسطين . وكان معيار انماط المستوطنات اليهودية خلال فترة التوطين الاولى يميل نحو مزارع الحبوب . فحتى يتمكن المزارع من توفير ما يلزمه من الحبوب ، كان عليه ان يحوز ارضا اوسع . والحق ان اغلب المستوطنات الزراعية التي اعتمدت على زراعة الحبوب ، تميزت بأتساع المساحة . وقد استمرت هذه السمة في تلك المزارع التي حافظت لدرجة كبيرة على نمطها العام . حقيقة ان المستوطنات التي ادخلت زراعة الكروم واللوز استمرت مساحة الملكية فيها على حالها ، غير انه حدث تغير ملحوظ مع ادخال زراعة البرتقال ، ثم الحمضيات الاخرى . ذلك ان زراعة البرتقال تطلبت استثمار رأس مال كبير ، بذل في استخدام وسائل الري الحديثة وغرس الأشجار ، وتغطية النفقات الكبيرة للزراعة مدة طويلة حتى تنضج الثمار ، الا ان تلك الثمار كانت تقدم عائدا كبيرا حيث كان الانتاج حكرا على مجموعة من المستثمرين . وقد بيع معظمه بأثمان عالية في اسواق اوروبا . ثم انتشرت هذه المزارع خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، حيث احتلت زراعة البرتقال مكانا وسطا في الزراعة في فلسطين بشكل عام (٦) .

لقد بدأت المستوطنات اليهودية بداية طيبة ، وكان اجمالي مساحة الاراضي المزروعة بأشجار البرتقال لا يزيد عن تسعة وعشرين الف دونم منها عشرة آلاف دونم يزرعها اليهود . وقد اتسعت هذه المساحة من وقت لآخر ، وبصفة خاصة منذ عام ١٩٢٦ حيث زرعت مساحات كبيرة بأشجار الحمضيات . ثم ارتفع اجمالي مساحة مزارع الحمضيات الى ثلاثمائة الف دونم في عام ١٩٣٩ ، بينما امتلك اليهود نصف تلك المزارع تقريبا . ثم فقدت مزارع البرتقال مكانتها بعد ذلك ، اذ توقف تصدير الحمضيات الى البلاد الاوربية مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، مما سبب ازمة حادة في صناعة الحمضيات ، فهجرت حدائق البرتقال بسبب الحاجة الى المحافظة عليها ، ثم خرب بعضها ، واقتلعت الاشجار في البعض الاخر . وتقلصت بذلك جملة مساحة الارض المزروعة بأشجار البرتقال الى ربع مليون دونم في عام ١٩٤٠ ، امتلك اليهود منها مائة وعشرين الف دونم .

وكانت مساحة مزرعة الحمضيات اقل عادة من مساحة مزرعة الحبوب ، حيث تراوح معدل مساحة مزرعة الحمضيات بين عشرين وخمسين دونم .والحقيقة انه وجدت مزارع

حمضيات بلغت مساحة الواحدة منها مائة دونم غير ان عددها كان صغيرا ، وعلى ذلك وقعت مزارع الحمضيات في عداد الملكيات الصغيرة التي مثلت انتقالا الى نظام للري المتطور . (٧)

ويسجل مصدر رسمي للوكالة اليهودية ان الانتاج الزراعي كان مشجعا في اواسط الثلاثينات من هذا القرن ، حيث نال المستوطنون عائدا ماليا معقولا . وقد اقترن ذلك التشجيع بنتائج جيدة في زراعة الحمضيات ومزارع الاشجار المثمرة خاصة في المزارع المروية ، مع الارتفاع في السوق الخارجية ، مما زاد من الاتجاه نحو اقامة مستوطنات على مساحات صغيرة .(٨) وقد حقق انتاج الحمضيات اعلى اسعار في موسم ١٩٣٧/١٩٣٨ ، حيث كان نصيب اليهود من ذلك الانتاج يعادل ستين في المائة من مجمل الانتاج في فلسطين(٩) :

وقد امد المزارع اليهودي السوق الداخلية بمنتجات زراعية بلغت قيمتها ٤٢٤,٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٣٥ مقابل ٣١٢,٠٠٠ جنيه في العام السابق . (١٠) كما بلغ اجمالي ثمن الانتاج الزراعي اليهودي خمسة ملايين جنيه فلسطيني عام ١٩٣٤/١٩٣٥ (١١) ، بينما كان المصدر من الحمضيات ١١,٤٩٤,٠٠٠ صندوق في الموسم الزراعي ١٩٣٦/١٩٣٧ مقابل ١٠,٧٩٥,٠٠٠ صندوق في الموسم السابق عليه حيث بلغت قيمة المصدر منها ٣,٩٠٨,٠٠٠ جنيه فلسطيني . (١٢)

ويشير جرانوت الى ان تطوير وسائل الري ، وترقية وسائل استخدام التربة ادى الى جني عائد مالي كبير عوض المساحة الصغيرة من الارض المنزرعة ، حتى اصبح طابع الملكيات الصغيرة سائدا منذ ان اصبح المستوطن اليهودي على خبرة في زراعة الارض المروية . وقد قلت مساحة الملكيات اليهودية من الارض في الفترة ما بين الحربين العالميتين بشكل ملحوظ .

واصبح الري ممكنا مع اكتشاف مصادر جديدة للمياه في اجزاء عديدة من فلسطين كانت تعتبر ارضا جرداء أو يعز وصول المياه اليها ، واتسع بالتالي نطاق الزراعة المختلطة ، ومن هنا توفرت فرص تقليص حجم الملكيات في المزارع المختلطة . وكان ذلك شيئا ضروريا طالما انه لم يكن من حق المستوطن استعمال كل المياه التي توفرت له ، وانه كان عليه ان يزرع ارضه بنجاح . وقد ثبتت الملكيات في خطط التوطين اليهودي في الفترة الاخيرة من الانتداب البريطاني على فلسطين في نطاق جزء فقط من مساحتها السابقة ، بل ان حجم الملكيات قل في المستوطنات القائمة عن طريق اضافة مستوطنين جدد اليها . ومن هنا وجدت اراضي غير مشغولة بالاستيطان امكن انشاء مزارع جديدة عليها وبذلك امكن انشاء مستوطنات جديدة . وكان هناك العديد من المستوطنات التي انكمشت فيها مساحة الملكية لدرجة ان الارض التي تركت غير مشغولة ، امكن اقامة مستوطنات كاملة فوقها . ومع التوسع في المزارع المختلطة كان هناك ميل مؤكد لتقليص مساحة الملكية من مائة دونم الى ستين دونم ، او من ستين دونم الى اربعين دونم او من خمسين دونم الى خمسة وعشرين دونم ، او اقل بحسب خصوبة التربة وكمية المياه المتوفرة للري .

ومثالنا على ذلك مستوطنة كفارها سيديم التي تأسست عام ١٩٢٤ . لقد ثبتت الملكية الزراعية في بادىء الامر فكانت في حدود مائة وخمسين دونما ، ثم انكمشت الى مائة دونم بعد اثنتي عشرة سنة من انشائها . وكانت تعلة الوكالة اليهودية الى ذلك تكمن في ان توفير مياه الري

مكنت من زراعة الارض بشكل يستغل التربة على نطاق واسع ، وان المستوطنين الذين كانوا وقت وصولهم الى المستوطنة في دور التدريب على الزراعة قد اصبحوا ذوي خبرة . كل هذه العوامل دفعت الوكالة اليهودية الى توفير ٤,٣٠٠ دونمات او ما يقرب من ثلث المساحة التي شغلتها المستوطنة في بادىء الامر (١٣,٠٠٠ دونم) بهدف توطين مهاجرين جدد(١٣) .

ومع انشاء المستوطنات في الجليل في عامى ١٩٢٢ ــ ١٩٢٣ ، كان حجم الملكية الزراعية في هذه المنطقة قد ثبت في حدود ثلاثة وعشرين وخمسة وعشرين دونما ، منها سبعة عشر او ثمانية عشر دونما ارضا مروية . وكان الغرض يكمن في انشاء مزارع مختلطة تشمل مزارع الحمضيات وغيرها من اشجار الفواكه والعلف والخضر . كذلك كانت اغلب المستوطنات التي انشئت في السهل الساحلي تعتمد على مزارع الحمضيات . وكانت الملكية الزراعية في تلك المنطقة تتشابه بصفة عامة في الحجم مع الملكية الزراعية في الجليل ، بل ان الملكية تقلصت مساحتها في الجليل في عدد من المستوطنات . وعلى سبيل المثال ، خصص لكل مستوطن خمسة عشر دونما كان نصفها مزروعا بالحمضيات ، بينما خصص الباقي لزراعة العلف والخضر .

والى جانب المزرعة المشتركة التي اتسمت بها الزراعة اليهودية بشكل عام ، برزت المزارع وحيدة المحصول مثل مزارع الخضر ومزارع تربية الدواجن سواء تلك التي تنتج اللحم او البيض،وبساتين الزهور. وقد تركزت المزارع وحيدة المحصول في المستوطنات المتاخمة للمدن حيث اقتربت من السوق الاستهلاكية. فتكررت تلك الظاهرة في سهل شارون وحول تل ابيب مثل مزرعة كفارازار ، (١٤) التي انتجت الخضر كمحصول رئيسي ، ومزرعة راموت هاشافيم ، (١٥)التي انتجت الخضر ووجدت بها محطات تربية الدواجن . وقد تحددت الملكية في المستوطنات ذات الطابع نفسه بما يتراوح بين اربعة وخمسة دونمات ، بينما اتسعت مساحة الملكية لتنبسط على تسعة او عشرة دونمات اذا تواجدت حدائق صغيرة لزراعة البرتقال ، حيث سميت تلك المزارع بالمزارع الاضافية التي كانت صغيرة لا تحقق الاكتفاء الذاتي لمالكيها . ولم يعد مالكو هذه المزارع زراعا ، طالما انهم كانوا يحققون الجزء الاكبر من نفقات معيشتهم عن طريق مصادر اخرى للرزق ، حيث كانت مزارعهم تقوم بدور اضافي فقط في هذا المجال . وقد تكرر هذا النمط من المزارع كظاهرة في الزراعة اليهودية ، مرتبطة بعملية التوسع الاستيطاني في المستوطنات الكبيرة وبصفة خاصة ، تلك المستوطنات التي مثلت مراكز كبرى لتوطين الالاف من العمال اليهود ، فكانت بمثابة هامش اضافي يعين العمال وكاستمرار اقتصادي . ذلك ان العمال الذين عملوا في المدن ، وجدوا بهذه الطريقة امتدادا ريفيا للمناطق الحضرية التي تحقق فيها مجال عملهم الاساسي . غير ان الواضح ، ان المزرعة الاضافية كانت أشبه بمزرعة مختلطة في صورة مصغرة ، كانت الملكية فيها على نطاق ضيق طالما كان حجم المزرعة الاضافية لا يتعدى ــ في معظم الاحوال ــ دونمين ، بل ان الحجم هبط في بعض الاحيان الى دونم واحد فقط .

وتبعا للاحصاء الزراعي اليهودي الذي اجري في موسم ١٩٤١/١٩٤٢ ، كان عدد المزارع الاضافية ٤,٦٦٩ مزرعة . وكان حجم الملكية في ٣,٤٥٤ مزرعة منها (اربعة وسبعون في المائة من العدد الاجمالي) يتراوح بين دونم ودونمين فقط ، بينما كان حجم الملكية في ٧٢٣ مزرعة منها (١٥,٥ في المائة من العدد الاجمالي) يتراوح بين دونمين وخمسة دونمات ، في حين

ارتفع حجم الملكية الى خمسة دونمات في ٤٩٢ مزرعة .

ويستنبط من نفس الاحصاء توزيع مهني لملاك المزارع الاضافية (١٦) يوضح ان اغلبهم كانوا يعملون في المدن في مجالات الصناعة والحرف اليدوية والبناء والاشغال العامة والنقل والمواصلات والخدمات والمهن الحرة (١٧)

وقد حقق هذا التوزيع الاستيطاني تنسيقا فريدا في نوعية الدخل والانتاج في المستوطنات التي اسستها الوكالة اليهودية والكيرين هايسود حسب متطلبات الاستهلاك المحلي تشهد عليه الارقام التالية وتوضح دخل مستوطنات الكيرين هايسود في عام ١٩٣٦ (١٨)

الانتاج	قمح	خضروات	حمضيات وفواكه أخرى	عنب	موز	البان	بيض
حجمه	طن	طن	طن	طن	طن	لتر	بالواحدة
	٧,٠٠	٥,٠٠٠	٢,٠٠٠	١,٤٥٠	٤٨٠	١٦,٣٢٨,٠٠	١٩,٧٥٧,٠٠
نسبته المئوية لجمل الانتاج اليهودي	٦٤,٣	٤٣,٢	٧٥	٦٥,٢	٥٢,١	٤٨,٩	٥٠

ولم يكن انتاج مستوطنات الوكالة اليهودية منفصلا عن الانتاج الزراعي في فلسطين ككل ، وانما كان معدله يتبع خطا يسير في اطار التكامل الانتاجي الزراعي في فلسطين بما في ذلك الانتاج الزراعي العربي واليهودي الذي تحدده ارقام الاحصائية التالية بالطن المتري (١٩) .

المحصول	١٩٢٩	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
قمح	٨٧,٨٧٣	٨٧,٣٣٩	٧٩,٥٠	٥١,٠٧٣	٤٤,٤٤٧
شعير	٤٦,٢٤٠	٦٠,٠٧١	٤١,٢٠٠	٢٤,٣٠٠	٣٣,٩٢٦
عدس	٣,٨٤٠	٣,,٨٠٠	٣,٧٥٨	١,٦٠٦	١,٥٤٧
	٣,٩٧٧	٣,٣٨٤	٣,٦٧٠	ـ,٧٦٨	٠,٦٥٥
حمص	١,١٨١	١,٢٨٨	١,٠٦٤	١,٤١١	٣,٣٧٣
ذرة	٣١,٤٣٩	٣٧,٠٥٨	١٦,٥٦٢	١٥,٤٥٢	٨,٨٦٠
سمسم	٤,١٦٩	٢,٣٦٥	٢,٠٢٤	ـ,٤٤٩	ـ,٢١٤
زيتون	١٠,٥٠٠	٢,٩٩٣	٣,٩٠٦	٦,٥٥٩	٣,٥٩٩
بطيخ	١٦,٢٩٨	١٤,٨٤٠	٢٢,٠٥٩	٣٢,١٢٥	٢٠,٤٣٤
عنب	٥,٣٤٥	٥,٩٣٦	٨,٢٩٥	٢١,٦٥٣	١٢,١٤٨
طباق	١,١٩٤	ـ,٩٥٣	ـ,٥٠٤	ـ,٥٧١	ـ,٤٠٢
خضروات	١٥,٩٦٣	١٢,٨٦٥	١٥,٠٦٨	٢٤,٣٧١	٢١,٣٠٥

ويمكن التمييز بين ستة فئات من الملكية تبعا لطابع المزارع في المستوطنات اليهودية ، ووفقا لمساحة الارض اللازمة لكل مزرعة .

١ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين مائتين ــ وثلاثمائة دونم في المستوطنات القديمة التي كانت تزرع الحبوب .

٢ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين مائة ومائة وخمسة وعشرين دونما في المزارع المختلطة .

٣ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين اربعين ــ وستين دونما في المناطق التي تقع في نطاق التلال والآكام .

٤ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين عشرة ــ وخمسة وعشرين دونما في المزارع المختلطة بالاراضي المروية .

٥ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين خمسة ــ وعشرة دونمات في المزارع الصغيرة .

٦ ــ دونم واحد وخمسة دونمات في المزارع الاضافية[٢٠] .

وقد بلغ عدد المستوطنات اليهوديةالتي انشأتها الوكالة اليهودية والكيرين هايسود حتى عام ١٩٣٦ ، ثمانية وثمانين مستوطنة استوعبت اربعة وعشرين الف واربعمائة مستوطن بلغ اجمالي مساحتها مائتين وتسعة وستين دونماءزرع منها ١٢,١٠٠ دونم حمضيات وتسعة الاف دونم محاصيل متنوعة اخرى ، و ١٤,٢٠٠ دونم محاصيل مروية ، ١٧٧,٢٠٠ دونم محاصيل غير مروية ، كما وجدت في تلك المستوطنات ثمانية الاف وخمسمائة رأس من الابقار الحلوبة[٢١] .

ثم حدثت توسعات في تطوير نظم الري ، فزادت مساحة الاراضي المروية اليهودية من خمسة وعشرين الف دونم في الموسم الزراعي ١٩٣٦/١٩٣٧ الى مائة وستة الاف دونم في عام ١٩٤٥ . وقد نجم عن ذلك توسع في انشاء المستوطنات الزراعية ، فأنشئت في سنوات الحرب العالمية الثانية اثنتين وخمسين مستوطنة ، ثم تبع ذلك ارتفاع في معدل الانتاج الزراعي مع التوسيع في تطبيق نظام المزارع المختلطة بنسبة ثلاثة وسبعين في المائة مقابل عشرين في المائة في المزارع العربية[٢٢] .

وقد اورد جرانوت احصائية[٢٣] عن التوزيع الاقليمي للحيازات اليهودية في اراضي الضفة الغربية ووادي عكا والجليل ووادي الاردن ، واحصائية اخرى[٢٤] توضح ارقامها حجم الحيازات في المزارع الفردية اليهودية ، يستخلص منها النتائج الحسابية التالية .

المساحة	احصاء ١٩٢٧	احصاء ٤١ ــ ١٩٤٢
اقل من ١٠ دونم	٪١٩,٦	٪١٥,٤
من ١٠ الى ٥٠ دونم	٪٢٥,٢	٪٦٠,٨
من ٥٠ الى ١٥٠ دونم	٪٣٢,١	٪١٥,٩
من ١٥٠ دونم فأكثر	٪٢٣,١	٪٧,٩

ومع الهبوط النسبي في عدد الحيازات الاقل من عشرة دونمات ، ارتفع عدد الحيازات المتوسطة التي تتراوح مساحتها بين عشرة دونمات وخمسين دونما بما يربو على الضعف ، بينما

هبط عدد الحيازات التي تتراوح مساحتها بين خمسين دونما ومائة وخمسين دونما الى النصف تقريبا ، مع هبوط عدد الحيازات الكبيرة الى الثلث .

وبالمقارنة بين ارقام الاحصائيتين سالفتي الذكر نجد ان اجمالي عدد المزارع الخاصة تزايد كثيرا (من ٣,١٢٩ مزرعة الى ٨,٧٩٣ بنسبة تصل الى ٢٨١ في المائة). اما بالنسبة لمختلف أنواع المزارع ، فان الملاحظة الاولى تتمثل في عدم تحقيق اي تزايد في عدد المزارع الصغيرة التي لا تزيد عن خمسة دونمات فيما عدا المزارع الاضافية الخاصة بالعمال في المستعمرات الاقدم التي تنفرد بنوع خاص بها . كذلك هبط عدد المزارع التي تقل مساحتها عن دونمين ، فانحدرت نسبتها الى ربع حجمها السابق . اما الحيازات التي تتراوح بين دونمين وخمسة دونمات فقد بقيت على حالها ، بينما هبطت نسبتها الى اربعين في المائة مما كانت عليه عام ١٩٢٧ . وكان هناك تناقص مشبوه في عدد الحيازات الكبيرة التي تزيد مساحتها عن مائتي دونم ، فهبط العدد من ٥٣٠ حيازة الى ٤٣٤ بنسبة ثمانية عشر في المائة . وتسجل الارقام صعودا طفيفا من مائة الى مائة وخمسين دونما بين الفئات التي تتراوح الحيازة فيها بين خمسين ومائة دونم ، وفي نفس الوقت يتضاعف عدد المزارع المتوسطة المساحة (من ٢٥ الى ٥٠ دونم) الى اربعة اضعاف ، غير ان نسبة الزيادة كانت اقل (من ١٢ الى ١٨,٨ في المائة) . اما الزيادة البارزة بشكل اكبر فتلاحظ في الحيازات التي تتراوح بين عشرة وخمسة وعشرين دونما . فبدلا من ٤١٤ مزرعة كانت موجودة في عام ١٩٢٧ ، اصبحت هناك ٣,٦٩٢ مزرعة في عام ١٩٤١/١٩٤٢ ، اي ان عدد تلك المزارع زاد الى تسعة اضعاف .

ويتضح من التحليل الرقمي لكل من الاحصائيتين المشار اليهما انفا ان السمة الغالبة لنمو قاعدة التوطين الزراعي اليهودي كانت بارزة بوضوح . ذلك ان تغيرات جوهرية حدثت في الفترة بين اجراء الاحصائين . فقد وضع المستوطنون في الفترة التالية للحرب العالمية الاولى نصب اعينهم تطبيق مبدأ العمل الذاتي ، بمعنى ان يتولى المزارع واسرته امور الزراعة دون الاستعانة بعامل اجير ، مع تحديد حجم الزيادة حتى لا تتطلب عملا يزيد على طاقته .

كذلك تبرز الارقام هبوط عدد الملكيات الكبيرة وتزايد عدد الملكيات الصغيرة ، كما كان نفس المبدأ مطبقا في القرى الجماعية ،حيث تقلصت مساحة الوحدة الخاصة بكل اسرة .

ويمكن الاستدلال على التحديد المستمر في حجم الحيازات من مقارنة الارقام في مختلف الفترات . ففي عام ١٩٠٠ كان هناك ٧٢٠ مزرعة يهودية متوسطة مساحة الحيازة فيها ١٤٨ دونما ، بينما كان عدد المزارع عام ١٩٢٧ ، ٤,١٠٠ مزرعة متوسط مساحة الحيازة فيها ٧٨ دونما ، بما يكشف هبوطا في المساحة الى النصف تقريبا (٤٧ في المائة) . وفي عام ١٩٤١/١٩٤٢ كانت هناك ١٨,٠٠٠ مزرعة (منها ملكيات خاصة الى ١٣,٥٠٠ و ٥,٠٠٠ وحدة تمثل قرى جماعية) وكانت المساحة المستزرعة في الحيازة تساوي ستة وثلاثين دونما بما يظهر هبوطا جديدا يصل الى اربعة عشر في المائة وفي نهاية عام ١٩٤٤ ، قدر عدد المزارع بما يصل الى عشرين الف مزرعة (منها ١٤,٠٠٠ ملكيات خاصة بما في ذلك ٥,٠٠٠ مزرعة اضافية) ، وستة الاف وحدة زراعية في القرى الجماعية . وتبعا لتقدير اجري في عام ١٩٤٧ وصل عدد

المزارع الى اثنتين وعشرين الف مزرعة .

وكانت الحيازات في المستوطنات اليهودية تجمع في عدد الزمامات المختلفة المساحة منها ما هو قريب من مركز المستوطنة المتمثل في ابنيتها . وبهذا الاعتبار ــ هناك فئتان من المستوطنات يمكن التمييز بينهما ، تضم الاولى المستوطنات التي تأسست في الفترة المبكرة للنشاط الاستيطاني اليهودي ، وكانت تتميز بالمساحة الواسعة بمثل ما هو الحال في الحيازات بينما نجد ان عدد الزمامات التي تضم الحيازات كان كبيرا ايضا ، كما كان بعدها عن مركز القرية يصل الى ثلاثة كيلو مترات وربما اربعة او اكثر بمثل ما كان الحال في القرى العربية . وتضم الفئة الثانية تلك المستوطنات التي تكونت ابان التوسع في النشاط الاستيطاني الصهيوني حيث ظهرت التجزئة في اغلب الاحوال في المزارع الخاصة فقط . ذلك ان التجزئة كانت تشكل مشكلة عملية في القرى الجماعية فاختفت مظاهرها .

على ان احصاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ تضمن ــ لاول مرة ــ بيانات عن تجزئة الحيازة ودرجة بعثرة زماماتها ، غير ان الاحصاء لا يميز بين فترتي النشاط الاستيطاني اليهودي . ومن بين ٨,٧٩٣ مزرعة خاصة تناولها الاحصاء ، نجد ان ٢,١٣٧ مزرعة فقط (او ما يعادل ٣و٢٤ في المائة) ، فيها عدد القطع التي تكون الحيازة الواحدة يزيد على ثلاثة ، و ٢,٨٣٠ (او ما يعادل ٣٢,٢ بالمائة) تتكون فيها الحيازة من قطعة واحدة فقط من الارض ، و٢,٢٢٥ مزرعة (او ما يعادل ٢٥,٣ في المائة) تتكون فيها الحيازة من قطعتين من الارض ، وفي ١,٦٠١ مزرعة (او ما يعادل ١٨,٢ في المائة) كانت الحيازة فيها تتكون من ثلاث قطع(٢٥) .

وهكذا احدث انتقال الاراضي العربية لليهود تغيرا اساسيا في شخصية الملكية وطابعها . ذلك ان القطع الكبيرة والمتوسطة من الارض اختفت وحلت محلها في اغلب الاحوال ملكيات صغيرة مما ادى الى تغيير هام في المجال الاقتصادي اليهودي تمثل في زيادة الانتاج من خلال استزراع متطور ومركز للتربية، مع زيادة ملحوظة في عدد المزارعين ، وعدد السكان بصفة عامة .(٢٦) .

وتقارن الاحصائية التالية بين قيمة الانتاج الزراعي اليهودي والعربي بالنسبة لمختلف المحاصيل في عام ١٩٤٧ مع ملاحظة التفاوت الكبير بين مساحة الاراضي التي يزرعها العرب وتلك التي يزرعها اليهود (٢٧) .

المحصول	الانتاج اليهودي بالجنيه الفلسطيني	الانتاج العربي بالجنيه الفلسطيني	الجملة
الحبوب	٤٩٧,٠٤٨	٤,٤٠٣,٤٠٩	٤,٩٠٠,٤٥٧
الخضروات	١,٧٤٥,٨٧٠	٥,١١٣,٥٥٣	٤,٨٥٩,٤٢٣
العلف	٩٥١,١٧٨	١٥٦,٨٤٨	١,١٠٨,٠٢٥
الفواكه ما عدا الحمضيات	١,٣٧٩,٦٢٠	٣,١٣٩,٣٧٤	٤,٥١٨,٩٩٤

المحصول	الانتاج اليهودي بالجنيه الفلسطيني	الانتاج العربي بالجنيه الفلسطيني	الجملة
الزيتون	٥٢,٢٣٥	٣,٢٢٠,٣٢٠	٣,٢٧٢,٥٥٥
البطيخ	٨٣,٩٧٥	٩٦٩,٦٣٠	١,٠٥٣,٦٠٥
الاجمالي	٤,٧١٠,٩٢٦	١٧,١٠٣,١٣٣	٢١,٨١٤,٠٥٩

وقد انتهزت الوكالة اليهودية فرصة قيام الحرب العالمية الثانية ، فقدمت جزءا كبيرا من الانتاج الزراعي اليهودي لتموين الجيوش البريطانية التي وجدت في المنطقة ، وفي نفس الوقت نشطت في بناء المستوطنات الزراعية ، فأنشأت اربعين مستوطنة خلال الحرب، كما استثمرت مليونين من الجنيهات الفلسطينية في توسيع رقعة التوطين الزراعي . ونظرا لتجنيد عدد كبير من يهود فلسطين للمجهود الحربي البريطاني ، عملت اجهزة الوكالة الى تجنيد تلاميذ المدارس في العمل الزراعي في ايام العطلات المدرسية التي امتدت لهذا الغرض تعويضا عن النقص في اليد العاملة اليهودية ، كما قدمت حكومة الانتداب قرضا لتنمية الزراعة اليهودية قدره ثمانمائة الف جنيه فلسطيني . وقد زاد الانتاج الزراعي اليهودي خلال سنوات الحرب بنسبة سبعين في المائة ، واتسعت مساحة الارض الزراعية اليهودية مائتين واربعين الف دونم .

وقد زودت المستوطنات الزراعية اليهودية الجيوش البريطانية بكميات من اللبن الطازج والفاكهة والخضار بلغت قيمتها النقدية عدة الاف من الجنيهات الفلسطينية(٢٨)

---

(١) Granott, A.; *The Land system in Palestine, History and structure,* Eyre and Spottiswoode, London, 1952. pp. 257-258.

(٢) *Ibid,,* pp. 250-251.

(٣) تأسست عام ١٩٠٢ ، ثم تغير اسمها الى ميناهيما بعد عشرين سنة من تأسيسها .

(٤) Granott, *op. cit.,* p. 260.

(٥) محمد محمود الصياد (دكتور) جغرافية التوطين اليهودي في فلسطين . مقال نشر في **مجلة معهد البحوث والدراسات العربية .**

(٦) Granatt, *op. cit,* p. 261

(٧) *The Jewish Agency for Palestine;* Establishment in Palestine of the jewish National Home: Memorandum of the Development of the Jewish National Home 1932, submitted by the Jewish Agency for Palestine to the Secretary General of the League of Nations for the Information of the Permenent Mandates Commission, June, 1933. p. 9.

(٨) *Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine;* Reports of the Exectives of the Zionist Organization and the Jewish Agency for palestine submitted to the XIX Zionist Congress, 1935. p. 351.

(٩) *Zionist Organization,* Reports to the XXI Zionist Congress, 1939. pp. 366-369.

1934. By Mr. M.T. Dave, O.B.F.L.S., Director of Agriculture and forests, Jerusalem P. 10.

(٢٠) Granott; *op. cit.*, p. 264.

(١٢) Jewish Agency; *op. cit*, p. 15.

(٢٢) *Zionist Organization;* Reprots to the XII Zionist Congress 1946. p. 219.

(٢٣) رقم ٢٩ ص ٢٦٩ .

(٢٤) رقم ٣٠ ص ٢٧٠ .

(٢٥) Granott; *op. cit*, pp. 267-274.

(٢٦) The United Nations Special Committee On palestine, *Report to the General Assembly*, October, 1945. Official Records of the Third Session, 1947-1948. Supplement N.11. p. 22.

(٢٧) Granott; *op. cit.*, p. 91.

(٢٨) *Zionist Organization;* Reports to the XXII Zionist Congress. p. 111.

(١٠) *The Jewish Chronicle*, 7-6-1935. p. 26.

(١١) *The Jewish Chronicle:* 20-5-1936. p. 20.

(١٢) Jewish Agency; *op. cit.*, p. 11.

(١٣) Granott; *op. cit.*, pp. 261-262.

(١٤) تأسست عام ١٩٣٢ .

(١٥) تأسست عام ١٩٣٠ .

(١٦) Granott; *op. cit*, pp. 262-263.

(١٧) كان عدد الملاك تبعاً لاحصاء ١٩٤١/ ١٩٤٢ = ٦,٢٣٩ مالكاً منهم ٢,٠٨٦ أو ٣٣٪ يعملون في الزراعة ، ١,٢٨١ في الصناعة والحرف اليدوية ، ١,١٧٢ في البناء والأشغال العامة والنقل والمواصلات بينما كان الباقي وعددهم ١,٧٩٨ يعملون في مكاتب الخدمات والمهن الحرة والمهن الدينية والتجارية وغيرها . انظر Granott; *op. ci.t*, p. 349.

(١٨) Jewish Agency; *op. cit.*, p. 15.

(١٩) C.O. 733-290 (3IT). Annual Report of the Agriculture and forest for the year ending in March 31,

شهادات

روايات شهود عيان
عن اقتحام بنت جبيل في آذار ١٩٧٨

قبل ان ينتصف ليل ١٣ ــ ١٤ آذار سمعت صوت مدفعية بعيد فأحسست بالخوف لأول مرة في حياتي فقد توقعت ان شيئا سيحدث ، سمعت ضربة ثانية فقلت للصبي الذي كان يزورنا ويسهر مع ابني انزل الى الملجأ ، ولم اجرؤ على أمر ابني بذلك ، وقد بحلق في مؤنبا ومستهجنا خوفي ، ولم أبال بما بدر من ابني من تأنيب بل رحت الملم بعض الفراش وبعض الحاجيات وانقلها الى الملجأ ، فتحت الشباك لانادي اولادي في الغرفة الخارجية واشير لهم بالنزول الى الملجأ ، فانفتحت الابواب والشبابيك جميعها مرة واحدة بتأثير انفجار صاروخ رمته طائرة وقد وقع قريبا منا.. اسرعنا الى الملجأ وكذلك ركض عندنا جيراننا القريبون منا . وقد أمطرت السماء قذائف .

بقي القصف شديدا ومركزا منذ الثانية عشرة حتى الثامنة صباحا .. كان القصف مختلفا بين قازانات طيران ، وقذائف مدفعية،ورصاص قناص جلس على تلة في « مارون الراس » القرية الواقعة على جبل يعلو « بنت جبيل » والتي كانت وقعت في ايدي الاعداء أول مرة تم استعدناها ثم عادوا فأخذوها ...

في الساعة الثامنة ــ حين هدأ القصف ــ أعددنا طعام الافطار لجميع الذين في الملجأ ، كنا حوالي مئة شخص .. كنت قد انزلت بابور الكاز للملجأ وابريق الشاي وجرة ماء والخبز المرقوق واللبنة ، فصنعنا الشاي واكلنا جميعا .

فكرت قليلا فلمست ان دخول الاعداء لبلدتنا اصبح امرا مفروغا منه ، فقد كان الدفاع ضعيفا بالنسبة لقوة المهاجمين .. مدفعية القوات المشتركة التي كانت تقاوم حتى الساعة الواحدة ظهرا على طريق الدورة من جهة يارون لم **تكن كافية لترد قوة العدو المتفوقة وطيرانه ، وبدا ان معظم المقاتلين قد انسحبوا،ربما ضمن خطة عسكرية مرسومة .**

أشرت الى اولادي وضيوفهم المسلحين جميعا ان ينهضوا ويخرجوا من البلدة كي لا يقعوا فريسة في ايدي الاعداء،فسمعوا ما اشرت به عليهم وتقبلوه وحملوا سلاحهم وغادروا الى الجبال الوعرة وكانوا عشرة . بعد مغادرة الشباب للبلد وبعد ان سمعت القصف الشديد يتوالى اثر خروجهم ، احسست بالجزع وفقدت شيئا من اعصابي ، ووجدت نفسي اركض وراءهم لكي اطمئن عليهم ، وبينما انا كذلك وقعت امامي قذيفتا صاروخ فخفت ورجعت الى مقري ، خصوصا اني تركت ابنتي في الملجأ ... بقيت في ملجأ البيت حتى الواحدة .. في تلك الساعة ازداد القصف وعنف مما سبب الخوف الشديد بل الرعب لابنتي الصبية ، امسكتها بيدها انذاك وهربت قاصدة طريق

الوعر الى بلدة عيناتا ، تركت الابواب جميعها مفتوحة وبعض ضيوفي في الملجأ وبدا لي حين خرجت من مخبـئي ان اهل البلد قد خرجوا تحت جنح الظلام .

سكان المدينة الذين يبلغ عددهم نحو أربعين الفا كانوا قد أخلوا المدينة تقريبا ، ولم يبق منهم الا ثلاثة آلاف أو أقل خرج معظمهم تلك الليلة ، ولم يبق حين دخول الأعداء الا سبعمئة وخمسين شخصا .

بينما انا وابنتي نسير في الوعر ، راحوا يلاحقوننا برصاص الخمس مئة ولم يتركونا وشأننا . رأينا بيتا على أطراف بلدة « عيناتا » مهجورا ففتحنا بابه عنوة ، ودخلنا البيت الفارغ من كل شيء الا من نملية في المطبخ . أشرت على البنت ان تدخل تحت المجلى وقلبت النملية ارضا وازحناها حذاءنا بقرب المجلى .. بقينا هناك من الواحدة والنصف حتى الخامسة مساء . تركت البيت الموحش هناك وصعدت الى داخل بلدة « عيناتا » فلم اجد هناك الا رجلا ضريرا مع زوجته العاجزة.. طلبت منهما ان يقبلاني مع ابنتي ضيفتان تلك الليلة فرحبا بي.. في الساعة السابعة وصلت الدبابات الاسرائيلية وكانوا فقط يضربون بالرشاشات ، نمنا ليلة شبه هادئة .. في الصباح قمت استطلع الاخبار واكشف الطريق لكي اذهب الى قرية « كونين » ، فقد كنت ما زلت قلقة على أولادي الذين اشتركوا في المعارك التي دارت بيننا وبين الكتائبيين في مواقع مارون الراس ، ولهذا السبب خفت على ابنتي الصبية وفضلت الهرب بها لأن للكتائبيين علينا ثار .. كان بنيتي الاتجاه الى بيروت ، وبينما ابحث عن اولادي في « عيناتا » وجدت فراشا متروكا وصحونا لم يكتمل طعام من كان يأكلها وكلبا لا ينبح ، وسلاحا متروكا بالأرض وثيابا ملقاة هنا وهناك .. حين لم أجد في البلدة انسانا غادرت الى « كونين » ، في الطريق وجدت نفسي وجها لوجه مع دبابتين اسرائيليتين ، خاطبوني قبل أن أخاطبهم وكان التعب والقلق قد أخذا مني مأخذا ، قلت لهم بغيظ:ماذا تريدون منا .. ما نحن الا نساء تائهات .. فأشاروا لي بأن أمضي في سبيلي فتابعت السير ولكي لا نلتقي مع العدو سرنا في طريق الوعر .. وصلنا « كونين » مع دخول الدبابات الاسرائيلية وقصف الطيران .. هناك شاهدت جثث قتلى ملقاة على الطرقات ، دخلت البيوت المفتوحة عند أناس لا أعرفهم .. بقينا هناك أربعة أيام والمرأة التي رأيتها ملقاة في الشارع عند وصولي بقيت أربعة أيام ، اذ شاهدتها في اليوم الرابع تنهشها الكلاب ، لقد كان منظرا مقززا للغاية .. في ذلك اليوم جاء الاعداء ولموا القتلى بحرامات ووضعوهم في شاحنة وقد ساعدهم في ذلك من بقي من أهل البلد ، حفروا حفرة ودفنوهم .. بعد يومين جاء كتائبيون ينهبون ويسلبون ، وقد اخذوا من صدر ابنتي قلادة ذهبية ، ولما قلت للشاب اني اعرفك يا هذا وقد استدان ذووك من محلنا ولنا معهم مئات الليرات .. رد القلادة .. غادرت « كونين » الى « برعشيت » هناك سجلت اسمي لمغادرة البلد .. وفي البازورية نصحني اسرائيلي بأن علي الرجوع لأن الفدائيين ربما يقتلونني فقلت له كما انك لم تقتلني كذلك فالفدائي انسان ولن يقتل امرأة ضعيفة .

وصلنا بيروت بعد خمسة عشر يوما من مغادرة البلد فوجدنا ان اسمنا قد ادرج في لائحة الأموات .. وهنا وجدت اولادي وبحثنا عن بيت بلا عفش وها نحن فيما نحن فيه من تعاسة ..

ع بيضون . ٢٥ سنة

لم يكن الليل قد انتصف، وكنت ما زلت ساهرة في الطية بينما اختي بجانبي تغط في نوم عميق.. ابي وامي واخي الصغير كانوا في الطابق السفلي .. كان الطقس في اليومين السابقين شديد البرودة .. لا بل ان الزوبعة الرعدية والامطار والغيوم التي عمت البلاد يومي ١٢ ــ ١٣ هي التي اخرت عملية الاقتحام .. وقد كان كل الناس ينتظرون تطورات عسكرية بعد التهديد الاسرائيلي الواضح على اثر عملية « دلال المغربي » المشهورة .. كان كل الناس متوجسين خيفة .. وكنت شاردة في بحر من الأفكار حين ارتجت الاجواء وانقطعت الكهرباء وراحت الانفجارات تتوالى قريبة وبعيدة ، تغطت سماء المدينة بسحابة من الطيران فأمطرت السماء قذائف ، أحسست بخوف شديد وعلمت ان الساعة قد اقتربت ، فرحت اوقظ اختي التي راحت بدورها ترفض ان تستيقظ ، فلم تكن تريد ان تقطع نومها ، ولكني لم اتركها ترتاح بل واظبت على اقلاقها بشدة افرك أنفها وأشدها بأذنها، اصفق على وجهها لكي تسرع بالنزول عند والدي لنرى ماذا عسانا نفعل .. وخرجت امي تنادينا بشدة فهبطنا الدرج بسرعة بينما اختي تلقي بكل ثقلها علي .

اكملنا الليل في الزاوية الداخلية للطابق السفلي .. كانت الشبابيك والابواب تتحرك بين أن وان اذ كان

القصف شديدا ، وبقينا نتضرع الى الله ان ينهي ذلك القصف ، وبقينا لا نعرف طعما للنوم .. وقبل انبلاج الفجر اتفقنا ان ننزل عند جيراننا بيت « علي السعيد » ، معتقدين ان بيتهم المبنى على الطريقة القديمة سيكون أكثر أمنا .. فركضنا اليهم على بعد امتتار فرأينا الأنوار الحمراء والصفراء ، أنوار القنابل المضيئة والخطاط تتحرك بسرعة هنا وهناك .. فتح جيراننا قبل ان نقرع الباب ، فقد أحسوا بجلبتنا ، وقد كان الكثيرون يسرعون مارين من هناك نحو « البابور » ... وجدنا جيراننا بنفس الحالة من الذعر والقلق ، لا بل رأينا ما اضحكنا ، لقد ادخلت ابنتهم نفسها تحت كومة من اللحف ، ولم يبد منها شيء الا أسفل وجهها .. جلسنا قريبا منها بجانب كومة اللحف .. في الساعة السابعة وقع صاروخ قريب جدا من البيت ، بعد دقائق طارت واجهة البيت بشكل عجيب فلم يتناثر منها شيء سوى بعض الغبار .. فهمنا آنذاك ان القذائف التي يصلنا صوتها لا تضر ، اما القذائف المضرة فهي التي تصل قبل صوتها .

بعد ان طارت واجهة البيت أصبح كل شيء يدور في الخارج باد لاعيننا ، وقد خطر لوالدي ان يتبع اناسا رأهم يتجهون نحو الطاحونة . فلم يشاورنا، حتى لم يلتفت وراءه،وضحكت هنا علياء قائلة . «لقد نسينا والدي » . بقينا مع اهل البيت حتى الظهيرة .. ظل هنالك رد على القصف حتى الظهيرة ، وراح يتلاشى كما يتلاشى ضوء شمعة وصلت الى نهايتها .. اما القصف فقد ظل وبقينا على حالنا من الخوف .. عندما يتكلم الانسان عن تلك اللحظات لا يستطيع ان يعبر عن كل ما يحسن من رعب مقرون بالانتظار ومشاعر اخرى تقبض النفس بقسوتها كأنما تقبض بيد حديدية . بعد الظهر فكرت باللحاق بوالدي ببعض الطعام .. لففت له عروسا من البيض المسلوق الذي اعدته صاحبة البيت للغداء تلك النهار ورحت اركض نحو الطاحونة باقصى جهدي وانا اتعثر بخطاي ، لقد خاطرت بحياتي من اجل والدي (وعادت الى الضحك) مع انه فر دون ان يعيرنا التفاتا .. بدقائق كان الموت جاثما على الطريق في كل خطوة ، وصلت الى البابور .. هنالك رأيت عيون الجميع محملقة ومنتظرة .. كانوا حوالي أربعمئة .. أطمأنيت على والدي واعطيته العروس وعدت بالسرعة التي جئت بها لكي لا تظن والدتي انني مت .. في تمام الساعة الخامسة سمعنا هدير الدبابات .. الدبابات دخلت من جميع المحاور مرة واحدة .. وراح المسلحون المقتحمون يرشون الرصاص يمينا وشمالا.. وقد سمعت ان الفدائيين الذين بقوا حتى النهاية.. الذين ضربوا مثالا في الوطنية والفداء لاقوا حتفهم جميعا في « تلة مسعود، أو شلعبون» فقد ركز الاعداء نار مدافعهم وصواريخهم على تلك التلة فمات كل من بقي فيها ، رافق هؤلاء من شباب البلد في الشهادة حسان شرارة الذي بعثه والده الى باريس فعاد دون علم والده والتحق بالمقاتلين واستشهد .. قاسم ومحمد بزي وفؤاد دباجة .. ويقال ان حسان وزميل له لم يمت بنار الصواريخ بل وجد مذبوحا مما يدل على انه لاقى الاعداء وجها لوجه .

وفؤاد دباجة .. ويقال ان حسان وزميل له لم* يمت بنار الصواريخ بل وجد مذبوحا مما يدل على أنه لاقى الأعداء وجها لوجه .

ولنعد الى الطاحونة .. فما أن أحس المجتمعون بأقتراب الدبابات حتى خرجوا ، واتجه واحد منهم بولده الرضيع وسلمه الى الضابط في الدبابة الأولى وهو يقول له أن أرواحنا بين أيديكم .. وسأله الضابط عما اذا كان يوجد « مخربون » عندهم فأجابه الرجل ان لا مخربين عندنا وجلنا من النساء والأولاد والشيوخ .

تابعت الدبابات طريقها الى الداخل بينما جعل الخوف بعض النسوة يهتفن . أهلا بجيش الدفاع الاسرائيلي ، على أمل ألا يعتدي عليهن المهاجمون .

في صباح اليوم التالي سمع الاهلون الاعداء يهتفون بمكبر الصوت ان أذهبوا جميعكم الى البركة .. هنالك فقدت شقيقتي التي ما زال لها رغبة بالنوم ، فقدت توازنها واغمي عليها .. وأسعفها الناس الموجودون وسقوها الماء .. بقي الاهلون حول البركة الكبيرة يومين متتالين في قرص البرد وحر الشمس، بعد ذلك فتح لهم الاعداء الحوانيت والبيوت المقفلة المداخل وامروهم بعدم مغادرتها الا ساعة في النهار لواحد من كل عائلة لاحضار الطعام .. وظلوا على تلك الحال سبعة ايام بعدها عاد كل الى بيته .

نبيهة شامي (١٧ سنة)

انا واحدة من عائلة كبيرة فقدت والديها منذ سنين ، فاشتغلت بجد بالدخان وتربية الدواجن ،ولم يكن لعائلتنا

---

* هكذا في الاصل

أي ارتباط بالمدينة.. وقد صمم افراد العائلة على الموت بالبيت على الخروج منه، بالرغم من ان البيت ليس به ملجأ ولا يعلوه طابق ثان يرد عنه بعض الضغط .. فتجمعوا في احدى زوايا البيت ولم نغادر بيتنا ابدا ، متكلين على الله .. وكانت لحظات قاسية ثقيلة مرت علينا ليلة ١٣ ــ ١٤ آذار .. وقد صمدنا ، فقد ظل القصف شديدا ومركزا منذ حوالى الثانية عشرة ليلا حتى الثامنة صباحا ، بعد الثامنة صار يخف آنا ويشتد آنا حتى دخول الجيش الاسرائيلي عصرا .

لقد رأيت مسلحين من مقاتلينا يمرون من جانب بيتنا قبل الظهر كانوا ينزلون من تلة مسعود ، وكان معهم خريطة ، وقيل انهم وصلوا الى التلة قبل يوم واحد ، فبدا لي أنهم لا يعرفون الطريق ، وقد سألتهم بلهفة عن الاخبار وتابعوا طريقهم .

في الليلة التالية للاقتحام نمنا بشبه هدوء معوضين ما فاتنا من النوم ، ولكنا كنا خائفين مما يتبع الاقتحام من عدم استقرار ومن مشاكل ..

في الساعة الثامنة من يوم ١٥ سمعنا الاعداء يذيعون بمكبر الصوت « على الجميع الاتجاه نحو البركة » . خرجنا ولم نقبل ببساطة التجمع حول البركة لأن مكانها منزو، فان شاؤوا قتلنا لم يحس بنا أحد، وطلبنا منهم الذهاب الى الساحة التي توصل المدينة بكل مكان من القرى المحيطة .. فرفضوا .. واضطررنا للذهاب الى «البركة» وكان الطقس باردا،فعانينا برودة الطقس وحرارة الشمس ، بينما نجلس على التراب والحجارة المحيطة بالبركة .. كنا حوالى سبعمئة .. هنالك جاء عسكريون اسرائيليون وجاء واحد من جماعة سعد حداد اسمه فارس الشدياق الذي يؤنب الاهالي على حمايتهم للفدائيين ، فرد عليه شاب من عائلة البزي (احمد البزي) وكان محمد فرج يترجم بالانكليزية ، وقال الشدياق انهم طردوا المقاتلين من مناطقهم فلم يبق للمقاتلين أي مكان عدا الجنوب .. وقال لهم انه ليس باستطاعتنا نحن العزل ان نقاوم احدا ، والدليل اننا لا نستطيع المقاومة الان .

وفي اليوم التالي سمحوا للاهالي (واحد من كل عائلة) بالذهاب الى بيوتهم لاحضار الطعام مدة ساعة فقط، وبعد ان احتج بعضهم لسبب بعد البيت عن البركة سمحوا لهم بالذهاب لمدة ساعتين .. وفتح الاعداء للاهالي البيوت والدكاكين المقفلة المحيطة وأمروهم بالبقاء فيها حيث بقوا سبعة ايام ، كان الاعداء خلالها يفتشون البيوت بحثا عن الفدائيين وعن السلاح .. بعد ذلك سمحوا لكل واحد بالذهاب الى بيته .

وتحدثت الانسة نبيهة عن مشكلة واجهوها بعد ذلك ، فهم يذهبون الى حقول الدخان ما بين الثالثة والرابعة صباحا وهم يجرون عربة صغيرة بدولاب واحد يحتاجونها .. وقد صارت مشكلتهم تتكرر يوميا كلما مروا بالحرس فانه أحيانا يمنعهم من المرور ، وأحيانا يتظاهر بانه لم يعرفهم ويتهمهم ويفتشهم أحيانا اخرى .

أبراهيم سعد (أبو نعمة) ، ٨٠ سنة

كاد الليل ينتصف وانا لم انم بعد ، فقد كنت قلقا ، وكان سبب قلقي انني سمعت اصوات قذائف على «مارون الراس»، القرية التي تعلو بلدنا «بنت جبيل»، وتكشف كل زاوية فيها، والتي تمركز فيها المقاتلون بعد أن استعادوها من الكتائب .. كنت اترقب حدوث اي شيء .. ولم أفاجأ حين سمعت أصوات انفجارات قريبة وبعيدة قوية وضعيفة تسبب الطرش .. فأقترحت على زوجتي ان نذهب الى « الطاحونة » التي بنيت على الطريقة القديمة (عقد حجر) وقد علاها بناء يخفف من وقع القذائف .. مررنا بجارنا « جواد ابو عليوه » واقترحنا عليه ان يرافقنا للطاحونة فقال لنا . « الرب موجود فوق بيتي وفوق الطاحونة » فأقتنعت زوجتي برأيه وبلفت الى بيته الصغير ، فتبعتها .. جلست واياها تحت « تتخيته » الغرفة وكانت قد حملت معها لحافا خفيفا ففرددته على رجلينا وجلسنا والقذائف والانفجارات يتوالى ضجيجها بشكل عنيف ، فقد توقف شتاء الماء ليأتي شتاء القذائف ، وكنا في حال من الخوف الشديد .. في موعد صلاة الصبح رأيت صديقي ومضيفي « جواد » يفتح الباب ليخرج لقضاء حاجته، فلم يكن في بيته الصغير حمام داخلي، فنصحته بعدم الخروج وقضاء حاجته في اي وعاء من التنك فلم يتعظ .. خرج وعاد وتوضأ ووقف يصلي في منتصف الغرفة ، ونحن ما نزال على الدرج تحت التتخيتة . وبينما هو يصلي اذا بقطعة من السقف تنزل عليه فيقع على الارض، وتبادلت وزوجتي السؤال.« هل اصابك شيء » فقالت زوجتي رجلي أصيبت » ولما كانت كل الانوار قد انقطعت مع بداية القصف لم اتمكن من رؤية رجليها فمددت

يدي اتحسس مكان الجرح فوقع اصبعي في شق عريض ، واحسست بالدم الساخن ينزل منها ، ضمدته بمنديلها وطمأنتني عن سلامة العظم . واهتمت بان تكلم الأخ « جواد » لتعرف ما اذا كان ما زال حيا ، نادته ثلاث مرات فرد قائلا . يا أبي.. يا أمي.. يا يدي.. لم تكن عندي الشجاعة الكافية للنهوض من مكاني فقد توقعت ان تنزل قذيفة أخرى علينا ولكن بعد قليل وقد حلفتني بأحيائي وأمواتي ان اذهب الى « الطاحونة .. واخبر من اجده من عائلة « جواد ابو عليوه » بالخبر . خرجت ، ولكثرة ما سمعت من الانفجارات لا أسمع شيئا ابدا ، وحين وصلت الطاحونة وفتحت الباب صاحت النساء مولولات ، وكأن الغبار الذي غطى رأسي وثيابي قد اوحى للجميع بأن حادثا سيئا وقع ، أو انهن كن يؤنبني على خروجي في تلك الساعة الخطيرة ، أخبرتهم بان السقف قد وقع على « جواد » ، فجرت كنته وابنته لاسعافه وجريت معهن ، حين وصلنا هناك ثانية سألنا . « هل دخل الكتائبيون البلد » .. وراحت النسوة يرفعن الانقاض واصطحبت زوجتي وعدت الى الطاحونة .

صباح يوم ١٥ اذار دعانا للذهاب الى البركة وقد مشيت مع من مشى بادىء الامر ، ولكني وجدت ان الناس على خطأ في قبولهم الذهاب الى البركة قلت . لابما يجمعوننا لذبحنا دفعة واحدة ، فأشرت لزوجتي التي كانت تؤلمها رجلها ان ندخل قبو احد البيوت فدخلنا ، ولذنا هناك في زاوية منتظرين ما سيحدث .. قضينا في زاوية القبو بقية النهار وطول الليل ، لا أنيس ولا جليس لم نسمع حتى ولا صوت قط أو كلب .. كنا بلا طعام وبلا شراب ، في صباح اليوم الثاني سمعنا يهوديا عراقيا عرفناه فيما بعد ينادي بمكبر الصوت بينما يدور شوارع البلد في سيارة عسكرية . « فدائي سلم سلاحك » عليك الله وأمان الله » . لقد كانوا خائفين من وجود فدائيين مختبئين بكثرة في الاقبية .. وبعد قليل جاء مجندون اسرائيليون يرشون أمامهم الرصاص فخرجت اليهم ورفعت زوجتي يديها فسألونا عما اذا كان يوجد فدائيين عندنا فأجبنا بالنفي .. بقيت مختبئا يوما آخر في القبو .

في ضحى اليوم الثاني ، اي نهار ١٦ سمعت وقع خطى في باحة البيت ثم سمعت صرير الباب فاطمأننت الى وجود احد الاهلين ، خرجت وكلمت المرأة فأعلمتني أن الاعداء سمحوا لواحد من كل عائلة بالتغيب عن ساحة البركة ساعة لاحضار الطعام ، ونصحتني بأن أذهب على أن أدعي أني كنت متغيبا عن البلد ، وذهبت مع زوجتي وأنا أمل أن أجد بعض الطعام أو الشراب الذي أسد به رمقي ورمق زوجتي المصابة .. وقاسينا هناك من البرد ، فلم نكن نلبس الا الثياب الداخلية ، وبقينا مع الناس حتى سمحوا لنا بالرجوا الى بيوتنا لنرى الشوارع قد تغيرت معالمها والبيوت نصفها قائم ونصفها قاعد وصمت المقابر يلف البلد .

السيد موسى طرفه (٧٠ سنة)

لم اترك بيتي ابدا ، وبيتي من البناء القديم القوي ، لم أخف ولم احرك ساكنا .. لقد حضرت أربع حروب ولم يعد صوت الرصاص وصوت القذائف بالشيء الغريب علي .

وسألناه عن الحروب الاربع التي حضرها فقال .

الحرب العالمية الاولى ، والحرب العالمية والثانية ، وحرب كوبا وهذه الحرب .

وسألناه هل استعملت في « كوبا » قذائف وصواريخ بالكثرة التي استعملت بها هنا فرد .

أوو .. وماتت زوجتي تحت الانقاض .. (وتابع) تلك كانت حرب ، وبعد ان اتم حديثه عن الاقتحام الاسرائيلي لبنت جبيل واجتياح الجنوب عاد فحدثنا عن حرب كوبا وعن ثورة كوبا .

عاد السيد موسى الى حديثه عن تلك الوقت بينما يشعل السكائر ويدخن .. قال . بقيت أدخن واسمع الاخبار واسمع الانفجارات دون ان احرك ساكنا . وفوجئت في اليوم الثاني بجنود يطلقون الرصاص في البيت على غير هدى وبسرعة فصحت بهم قائر . « الويل لكم ألا ترون ؟ » .

وتوقفوا ليأمروه بالنزول الى البركة فأجابهم . انني عاجز عن المشي ، اذا حملتموني انزل ــ وضحك ــ فلم يكن عاجزا بالحقيقة عن المشي .

وما حدث بعدها ان احد الانعزاليين صوب بندقيته نحو السيد موسى طرفه ليقتله ، فرده الاسرائيلي وهو يقول . ما لك ولهذا الرجل العجوز . وقد عُرجوا عليه في جولة ثانية وسألوه ان كان يحتاج لطعام ، فقال لهم لست بجائع ، والحقيقة انه كان جائعا ، ولكنه لم يشأ ان يأكل من طعام الاسرائيليين .

حسن ٣٥ سنة

كنا متخوفين من الذهاب الى البركة فلم نلبي النداء عندما طلب منا الاسرائيليون ذلك بمكبر الصوت ، وقلنا في أنفسنا . « نبقى مختبئين في بيوتنا ولن ندعهم يروننا » .. وقبيل الظهر بقليل جاءت امرأة تعرف بوجودنا وكأن الاسرائيليين بعثوها خصيصا وقالت لنا « سيفتش الاسرائيليون البيوت بيتا بيتا وسيقتلون كل من يجدونه في بيته لانهم سيظنونه مقاتلا ، الأفضل أن تسلموا أنفسكم » . ولما وجدنا ان لا بد من الذهاب ذهبنا والأسى يعتصرنا .. كنا حوالى الخمسين ، هناك وجدنا عددا من الأهلين أكثر من أربعمئة شخص .. وقد حشرهم الاسرائيليون في زاوية من السوق الذي يحيط بالبركة وكانت الأرض موحلة جدا بعد الشتاء الغزير الذي هطل قبيل عملية الاقتحام .. وصحيح أن هطول المطر توقف قليلا ولكن السماء كانت ملبدة بالغيوم والبرد كان قارسا ، وفي مثل تلك الايام من ايام السلم لم نكن نبتعد عن المدافىء ، أي تظل مشتعلة طوال الليل والنهار .. وكم وجدنا أنفسنا في حال من اليأس حين وجدنا أنفسنا مجبرين على الجلوس على أرض مبللة والطقس على ماهو عليه من السوء .. وكان من بين الجالسين عدد كبير من الشيوخ والعجائز يرثى لحالهم ، وقد أغمي على عدد من الفتيات لفرط التوتر الذي أصابهن .. وقد حكى الشيوخ والعجائز فيما بعد ان تلك الحال من الذعر والهلع والتخريب والاستبداد لم تمر بهم أبدا وان ايام العثمانيين السيئة كانت بسبب الجوع لا أكثر ..

لم نستطع التحرك من اماكننا ، كان كل منا مطرق الراس يفكر ، لم نتحدث الا كلمات متقطعة عند الضرورة .. كنا في حالة يأس شديد اذ كنا نتوقع الموت اما قتلا على ايديهم واما من شدة الجوع والبرد والتوتر ، وكانت الدبابات الاسرائيلية تجوب شوارع بلدنا ذهابا وايابا بينما عدد منهم يحيطنا يتبدل كل بضع ساعات .. بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل فتحوا لنا المحال التجارية التي نجلس امامها فقضينا باقي الليل فيها .. وكانت المحال معامل احذية تركها اصحابها منذ عامين تقريبا .. لم يكن فيها شيء ابدا ، فجلس البعض القرفصاء والبعض والبعض الآخر افترش الارض لشدة نعاسه وتعبه .. وفي اليوم التالي اراد الاسرائيليون اظهار طيبتهم فأحضروا بعض صناديق التفاح حين قدوم مصورين صحافيين من وكالات انباء عالمية. وأحلف أن أيا منا امتنع عن تناول حبة تفاح ، فهي أولا من أيد عدوة ، ثم اننا ظننا انه ربما يكون التفاح مسموما ، ولكن الصحافيين ركزوا على تصوير صناديق التفاح أكثر مما ركزوا على تصوير وجوهنا التي اختفى منها اللون والحياة .. ولكن قلوبنا كانت تغلي حقدا وكنا نفكر كيف وصلنا الى تلك الحال ..

في اليوم الثالث سمحوا للنساء بالذهاب الى البيوت لاحضار الطعام لمدة ساعة فقط ، بقينا ننام في المحال سبع ليال ، وبعد أسبوع من تلك الحال قال لنا الاسرائيليون بالعربية المكسرة « بروح بيت » وذهب كل منا الى بيته يتفقده بعيون مشدوهة فالبيوت التي لم تنزلها القذائف العنقودية والصاروخية دخلها الاسرائيليون بيتا بيتا ورشوا فيها الرصاص فاخترق الرصاص الخزائن الخشبية والحيطان والابواب والصور والمرايا وحتى الثياب . فربما ترى اذا تجولت في شوارع « بنت جبيل » اليوم شخصا يرتدي « جاكيتا » مرفوا في كمه او في صدره ، فقد اخترقه رصاصهم آنذاك .. لقد وضع الاسرائيليون بصماتهم على كل زاوية .

بعد رجوعنا الى بيوتنا وبعد ان لمس الاهلون ان الحياة الطبيعية ربما عادت الى مجراها ، منهم من رجع الى بيته بسرعة ليحمي املاكه ، ومنهم من امتنع عن الرجوع نهائيا لاسباب خاصة .

بعد عامين من تلك التاريخ ارتفع عدد السكان الى حوالي ثمانية آلاف شخص .. اقل من ربع العدد الاصلي .. ووضع هؤلاء ليس بحسن ، بسبب تحكم الاسرائيليين اولا وسعد حداد « وزله » ثانيا بالمنطقة وبأبنهائها ، وانهم لا ينتظرون الا يوم التحرر من ربقة هذا الوضع .

محمد ، أمر فصيل ، قاد المقاتلين الثمانية الذين حاربوا في محور « تلة مسعود »

وقعت اول قذيفة على محور « تلة مسعود » في تمام الثانية عشرة وخمس دقائق ، كنا في حالة التأهب والترقب

والاستعداد ، وانهمرت الصواريخ والقذائف من جميع الانواع مرة واحدة ، وظل القصف شديدا ومركزا حتى الرابعة صباحا .. كانت ساعات جهنمية ومن الصعب ان يصف الانسان لحظاتها الرهيبة .. ولكن شعورا واحدا لم يكن ليبارحنا ، هو شعور التحدي الصارخ والتشبث بعدم الاستسلام .. استعملنا في دفاعنا من الاسلحة اولا الكلاشنات وال « آر . بي . جي » .. وبدرجة ثانية او بشكل محدود الـ « دوشكا » والهاون ٦٠ » ومدفع مباشر ٧٥ .. فوجئنا عندما هدأ القصف في الساعة الرابعة بعملية تطويق شديد مصحوبة بتقدم اليات ما يقارب ١٧٠ آلية، فتصدينا لهم، وواجهناهم بتحد شديد رغم قلتنا.. انا شخصيا كنت احس بأني اقبل الموت بسرور مصمما على ان اقتل عددا كبيرا منهم وأعطل عددا من آلياتهم . وقد استطعنا ان نحقق شيئا من حلمنا ، قتلنا وجرحنا منهم ما يقارب سبعين عنصرا ، كنا نشاهدهم يسقطون الواحد تلو الآخر، ولكن مع الاسف راح يتساقط الرفاق ايضا واحدا تلو الآخر . ما اقسى ان يرى المحارب رفيقه يسقط الى جانبه .. انني لا اذكرهم الا ويعتصر الاسى قلبي .. « حسان شرارة » نلك المقاتل النبيل الذي ارسله ابوه الى الخارج ، فما كان منه الا ان ركب الطائرة وعاد الى وطنه بلا علم والده ، واقسم ان لا ينسحب ابدا وكان في الطليعة حتى استشهد ، ويستشهد « فؤاد دباجة » ثم مقاتلان من الشمال ... بقيت مع اثنين من الرفاق .. نفذت الذخيرة بعد قتال ضار دام سبع ساعات .. نلك القتال الذي حول « تلة مسعود » التيب كانت عامره باشجارها وبساتينها .. حولها الاعداء الى ارض قفر .. لقد ركز عليها الاعداء القصف . قدروا ان مكانها المشرف على المدينة ، وما فيها من صخور ومغاور يجعلها احسن مركز للمقاتلين .

انسحبنا الى داخل المدينة حيث وصلنا المراكز وتزودنا من جديد بذخيرة كلاشنات و« آر . بي . جي » ، ومضاد للدروع ، وكنا آخر من غادر المدينة ، وانطلقنا الى الضواحي حيث صرنا نتربص للعدو في كل مكان على طريقة حرب العصابات ، ونوقع الخسائر في آلياته ونعيق تقدمه .. احيانا كنا نبرز له وجها لوجه .. وبهذه الطريقة انتقلنا من كونين الى برعشيت فالى جويا .

اعداد : مي علوش

الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان

ما هو الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان ، تلك القضية التي سعت الدوائر الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية الى اثارة الكثير من الغبار حولها ، وعملت على احاطتها بجو محموم من الدعاية الخبيثة الحاقدة ، ومن التحرك الدبلوماسي الكثيف والنشط ، بغية استثمارها على اوسع نطاق ، وبشكل خاص في منطقة الشرق الأوسط ، التي تلاقي الادارة الاميركية فيها الكثير من المتاعب والمصاعب التي ثارت ، وما تزال تثور ، في وجه كامب ديفيد ، والمخطط الاميركي الذي استهدف اعادة ترتيب الاوضاع في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم ، بما يخدم المصالح الاحتكارية للولايات المتحدة الاميركية ، وللدول الامبريالية الاخرى .

ما هي محصلة الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان ، تلك القضية التي يكاد ، استثمار الادارة الاميركية لهـا يصبح اوسع عملية تزوير تمارسها الامبريالية في تاريخها ، تزوير على الاسلام والمسلمين واستغلال لشعار الاسلام قضية لا علاقة للاسلام بها ، حيث ان الكثير من الجهد الاميركي تركز من اجل اكساب هذه القضية بعداً اسلامياً ، بهدف تكتيل الدول الاسلامية ضد الاتحاد السوفييتي ، الذي استجاب لنداء الحكومة الافغانية لحمايتها من اخطار تهديدات خارجية هادفة الى انهاء النظام الافغاني الثوري ، والعودة بافغانستان الى احضان التخلف والجهل والتبعية للقوى الامبريالية ، ولاستخدامها في مواجهة الثورة الايرانية ، واستعمالها قاعدة تهدد حركات التحرر المجاورة ، وتحاصر رياح التغيير التي بدأت نذرها تهب على اكثر من مكان في هذه المنطقة من العالم .

ما هي حدود الموقف الفلسطيني ؟ وهل كانت هذه الحدود واضحة المعالم بحيث يمكن قراءة ما خلفها من الدوافع ، وما أمامها من مقدمات ؟ خصوصا وان هذه وتلك هي سبب لذلك التفرد او التميز في الموقف الفلسطيني ، الذي انعكس بوضوح في مؤتمر اسلام أباد .

تلك كانت مقدمة لا بد منها ونحن نتحدث عن موقف منظمة التحرير الفلسطينية من القضية الافغانية ، وحتى لا يساء فهم هذا الموقف ، او يجري استغلاله او تحميله اكثر مما يحتمل، خصوصا وان الولايات المتحدة الاميركية هي التي تخوض معركة اعلان الحرب الاسلامية (الدبلوماسية والدعائية وربما الابعد مدى) ضد الاتحاد السوفييتي ، وضد افغانستان . وهي التي تدفع بكامل ثقلها وراء هذه القضية للخروج منها ليس فقط بادانة كاملة للاتحاد السوفييتي ، وانما ايضا لاستثمارها في اقامة حلف او حزام اسلامي واسع ، تطوره الادارة الى حلف عسكري تطل به من جديد على شعوب المنطقة من جهة ، وعلى الاتحاد السوفييتي والنظم الديمقراطية الاخرى التي ما تزال تعمل على تثبيت نفسها وسط المؤامرات الشرسة والمحاولات الدائبة للانقضاض عليها ، من جهة اخرى .

كما ان تلك ايضا كانت مقدمة لكشف ما وصفناه بأوسع عملية تزوير تمارسها الامبريالية على الاسلام

وباسمه ، تعاونها في ذلك الانظمة الرجعية،تلك التي كشفت عن دورها ، او تلك التي اكدت دورها ، بهدف التحريض على الاتحاد السوفييتي من جهة ، وبهدف دفع المنطقة،خصوصا الاسلامية منها ، الى احضان الامبريالية الى الابد ، متسترة خلف شعار الدفاع عن الاسلام والحفاظ عليه .

ولقد ادركت منظمة التحرير الفلسطينية ، بما لا يقبل الشك ، هذا الأمر. وضمن فهم عميق وتحليل دقيق لمجمل ما يجري ، اشار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١٩٨٠/١/١١ ، في سياق خطاب له في مهرجان اقيم في جامعة بيروت العربية بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، لأول مرة الى عملية التزوير الامبريالية هذه باقتضاب ولكن بوضوح حين قال « في الوقت الذي يتباكون فيه على الاسلام في افغانستان ، هم ضد الاسلام في ايران . هذه اشياء يجب ان نضعها في حسابنا ونحن نواجه الطاغوت » .

وكرر الاخ ابو عمار الموقف نفسه في اكثر من خطاب بعد ذلك . ففي يوم ١٩٨٠/١/١٥ ذكرى ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، اكد في مهرجان جماهيري حاشد ، بأن « الامبريالية عندما شعرت بفشلها تطرح اليوم شعار الخوف على الاسلام » .

اما اول موقف ديبلوماسي فلسطيني من المسألة الافغانية فكان تصريحا لرئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ادلى به الاخ فاروق القدومي (ابو اللطف) يوم ١٩٨٠/١/١٢ اثناء زيارة الصداقة الرسمية التي كان يقوم بها لبلغاريا ، حيث صرح بان « الاتحاد السوفييتي ـ قدم لافغانستان مساعدات غير مغرضة في نضالها ضد الرجعية ومن اجل استقلالها » .

واما موقف منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة ، لدى مناقشة الوضع في افغانستان ، فكان خطابا القاه ممثل المنظمة الاخ زهدي الطرزي ، شن فيه هجوما واسعا على الولايات المتحدة الاميركية التي وصفها بأنها « تحاول باصرار تحويل الجمعية العامة الى اداة في يدها ، متناسية عهدا من الافعال التي قامت بها حيال بعض البلدان حتى وصل بها الأمر الى حالة من الحرب الفعلية غير المعلنة .

« لقد سبق للجمعية العامة ان اعلنت منطقة المحيط الهندي منطقة سلام ، الا ان الولايات المتحدة خلافا لهذا القرار تواصل تعزيز حضورها العسكري في هذه المنطقة التي تبعد عنها الاف الاميال ، كما يجري في الولايات المتحدة اعداد قوات تدخل قوامها ١١٠ الاف شخص لاحتلال مواقع النفط وفرض الحماية عليها » .

وفي هذا السياق ايضا اعرب الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، في تصريح له يوم ١٩٨٠/١/١٦ لوكالة نوفوستي السوفياتية عن رفض م.ت.ف. للحملات التي تقوم بها الولايات المتحدة وحلفاؤها لاستغلال ما حدث في افغانستان .

واكد الأخ الفاهوم في التصريح نفسه على وقوف م.ت.ف الى جانب الشعب الافغاني ، وتأييدها الكامل لحقه في تقرير المصير .

واوضح الاخ الفاهوم ان الولايات المتحدة « تحاول استغلال المعونة التي قدمت الى افغانستان بناء على طلب حكومتها الشرعية ، لفرض سيطرتها وانشاء قواعد اميركية جديدة ، ولتعزيز وجودها العسكري في المنطقة » .

في الوقت نفسه ، وفي حديث مع وكالة نوفوستي ١٩٨٠/١/١٨، قال الدكتور جورج حبش ، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، بصدد سؤال وجهه اليه مراسل نوفوستي في بيروت حول افغانستان « نحن لا نفصل ما بين حملة الافتراءات وبين مجمل السياسة العدوانية للامبريالية ». واضاف : « ان الحملة لا تستند الى واقع موضوعي قائم بقدر ما تستند الى مجموعة من الاكاذيب ، وتزييف الحقائق، - بهدف خلط الاوراق في المنطقة ومحاولة تشويه الواقع القائم والتغطية على النوايا العدوانية للامبريالية ضد كافة شعوب المنطقة » .

في هذا الجو من التصريحات والمواقف الفلسطينية المعلنة والمسؤولة ، فيما يتعلق بقضية افغانستان ، اتت الدعوة السورية العاجلة لاجتماع طارىء لوزراء خارجية جبهة الصمود والتصدي في دمشق .

وفي ١٩٨٠/١/١٦ اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للنظر في الدعوة السورية وفي ضوء المعلومات والمعطيات التي توافرت لدى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اتضح ان النقطة الاولى على

جدول اعمال الاجتماع الطارىء سوف تكرس للموقف من افغانستان ، في ضوء الهجمة الاعلامية الدبلوماسية الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة الامريكية ، وما يرافقها من تهديد او تلويح بالتهديد ، جعل المنطقة ولأول مرة منذ سنوات طويلة مركز الصراع في الحرب الباردة التي عاد شبحها يطل على العالم من جديد ، من خلال التهديدات الامريكية المستمرة ومن خلال التحركات العسكرية للأساطيل الامريكية السادس والسابع والخامس في البحار والمحيطات المطلة على المياه الدافئة ، كما يقولون . المياه التي تحتضن آبار البترول وتحيط بها ، وتشكل ممرا لمئات الملايين من براميل النفط التي تنعم بها ، وتستثمرها كبرى الشركات الامبريالية الاحتكارية وفي مقدمتها الشركات الامريكية .

وعلى وجه السرعة شكلت اللجنة التنفيذية للمنظمة وفدها الى المؤتمر الطارىء برئاسة فاروق القدومي وعضوية الاخوين عبد المحسن ابو ميزر وياسر عبد ربه ، عضوي اللجنة التنفيذية للمنظمة .

ولعله من المفيد جدا ، في هذا السياق ، استعراض نتائج ذلك المؤتمر الطارىء لوزراء خارجية جبهة الصمود والتصدي ، ولا سيما البرقية التي بعث بها المؤتمر الى الأمين العام للمؤتمر الاسلامي ، والى جميع الحكومات الاسلامية ، حيث ان هذه البرقية لها دلالتها وانعكاسها على الموقف الفعلي لقوى الصمود والتصدي . وفيما يلي نص هذه البرقية :

« ان المؤتمر الاسلامي ظهر الى الوجود بعد حريق المسجد الاقصى في القدس الشريف وهو بهذا يتحمل مسؤولية الدفاع عن فلسطين والقدس الشريف ولا يمكن ان يسمح للقوى الاستعمارية وحلفائها استغلاله لتغيير اهدافه الشريفة والنبيلة التي ظهر للوجود من اجلها .

لذلك فان مؤتمر وزراء الخارجية لجبهة الصمود والتصدي المنعقد في دمشق بتاريخ الثامن والعشرين من صفر عام ١٤٠٠ هـ . والموافق للسادس عشر من كانون الثاني ـ يناير عام ١٩٨٠م يطلب اليكم ابلاغ الدول الاعضاء المقترحات التالية .

اولا . تأجيل موعد انعقاد المؤتمر الاسلامي الى تاريخ لاحق ، لان السادس والعشرين من كانون الثاني ـ يناير الجاري هو موعد تطبيع العلاقات بين النظام المصري والكيان الصهيوني والذي يشكل خطوة خطيرة من خطوات تطبيع العلاقة بينهما . وان عقد المؤتمر في التاريخ المقترح سيؤدي الى التغطية على هذه الخطوة الخيانية وذلك بجذب الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي الى المؤتمر عوضا عن مواجهة الاخطار الحقيقية الناجمة عن هذه الخطوة الخطيرة الجديدة .

ثانيا . عقد هذا المؤتمر في المملكة العربية السعودية باعتبارها البلد المقر للمؤتمر الاسلامي .

ثالثا : تضمين جدول اعمال المؤتمر المواضيع التالية .

أ ـ تطبيع العلاقات بين النظام المصري والكيان الصهيوني وما ينجم عنها من انتهاك لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني وتكريسا لاحتلال الاراضي العربية وتفريطا بالقدس الشريف .

ب ـ التهديدات الامريكية بالعدوان المسلح على شعوب المنطقة .

جـ ـ اقامة القواعد العسكرية الامريكية في بعض بلدان المنطقة كمصر وعمان .

ثالثا : يدين المخططات الامريكية وحملات التضليل الامبريالية والصهيونية التي تسيء الى الاسلام ومثله العليا باستخدامها ستارا لاغراضها العدوانية التوسعية ودعوة جميع الدول العربية والاسلامية الى اليقظة تجاه هذه المخططات والتصدي لها صفا واحدا لاسقاطها وللحفاظ على مبادىء حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامي .

رابعا : يعلن وقوفه الى جانب الثورة الايرانية والشعب الايراني المسلم في الدفاع عن حريته واستقلاله

وسيادته وسيطرته على موارده ومن اجل التخلص من الهيمنة الامبريالية التي تحاول الولايات المتحدة فرضها عليه من جديد .

خامسا : يؤكد احترامه لارادة افغانستان في الدفاع عن وطنها وسلامة اراضيها وعدم انحيازها .

سادسا : يعلن عن عزمه على تعزيز الجبهة القومية للصمود والتصدي وتقويه دورها وتطوير مؤسساتها بما يخدم اهداف الامة العربية .

سابعا : يحذر من اي محاولة لبناء قواعد عسكرية اجنبية في الوطن العربي لان ذلك سيدفع المنطقة العربية الى اتون الصراع الدولي ويفقد دولها استقلالها الوطني وعدم انحيازها .

ثامنا : ان الامة العربية لن تجر الى تحقيق بعض اهداف المؤامرة بالاساءة الى علاقة الصداقة والتعاون القائمة بين الامة العربية والمنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي .

تاسعا : دعوة الجماهير العربية وكل قواها الوطنية الى القيام بأوسع تحرك يوم السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٨٠ لتعبر عن غضبتها واستنكارها للخطوة الخيانية الجديدة التي يقوم بها النظام المصري في تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني . » .

لماذا خرج الموقف الفلسطيني فيما بعد ، او بشكل ادق ، لماذا بدا موقف المنظمة ، رغم تميزه عن موقفي الجزائر وليبيا ، وكأنه خروج على قرارات خارجية الصمود والتصدي المعبر عنه في البرقية ؟

قبل الاجابة لا بد لنا من نظره نلقيها على بعض الاسس، او لنقل بعض المبادىء ، التي تكاد تمثل نهجا ثابتا في السياسة الفلسطينية . ان ذلك يعين على فهم الموقف الفلسطيني ويسهل تفهم منطلقاته .

فالدبلوماسية الفلسطينية استندت دائما ، ومنذ زمن مبكر على مبدأ مقاطعة المقاطعة ، وبمعنى اكثر تفصيلا فان الدبلوماسية الفلسطينية كان قرارها دائما حضور اية اجتماعات عربية أو اسلامية او دولية تعقد ، ويجري خلالها التعرض للقضية الفلسطينية ، او ما يمس هذه القضية من قريب او بعيد ، مباشرة او غير مباشرة . ذلك ان هذه الدبلوماسية ترى من خلال تجاربها الكثيرة والمريرة ان الغياب يسهل التغييب . فغياب المنظمة عن المؤتمرات العربية يسهل التآمر عليها وعلى قضيتها ، ويجعل الاتفاق عليها في السر او العلن امرا واردا بالنسبة لكل من يبتغيه ، وان حضور المنظمة ليس امرا ضروريا فحسب ، دائما هو امر حيوي ايضا ، من منطلق ان هذا الحضور يجعل المنظمة في صورة تفاصيل الاحداث ومعطياتها ، وبالتالي فانه يسهل على المنظمة القيام بعملية المواجهة اثناء مؤتمر ما ، ويسهل عليها في النتيجة القيام بعملية التقويم ، او الفرز ، الضرورية للمواقف والاتجاهات .

والدبلوماسية الفلسطينية ، من خلال خبرتها الطويلة في التعامل العربي والاسلامي والدولي ، اصبحت لديها حساباتها الخاصة في المدى المنظور وغير المنظور ، واصبح ميزان علاقاتها الخاضع لهذه الحسابات خاضعا لتقييم بالغ الدقة . وهي حذرة وحساسة الى حد بعيد بطبيعة الظروف المحيطة بها عربيا على وجه الخصوص ، وحساسيتها في الدرجة الأولى ، وقبل كل شيء ، تكمن في مسألة حيوية هي الحفاظ على استقلاليتها وسط كافة الضغوط .

هذه الملاحظات حول بعض مبادىء الدبلوماسية الفلسطينية كان لابد من وضعها في الحساب ، ونحن نمارس عملية قياس للموقف الفلسطيني من قضية افغانستان .

ونسارع الى القول ان المنظمة قد خرجت على مبادئها تلك خروجا واضحا ، خروجا جزئيا وليس كليا ، فهي حضرت مؤتمر اسلام اباد ولم تشارك في مناقشاته ، وهي تابعت سياق معطياته وتحفظت على مقرراته .

لماذا حدث ذلك ؟ لماذا حضرت المنظمة مؤتمرا منطلقاته تخالف منطلقاتها ، ولماذا اتخذت هذا الموقف المتفرد والذي يقترب من موقف اللاموقف ؟

ونقول ، ذلك كان اجتهادا ، وكان حسابات لأمور كثيرة ، واستجابة لمبادىء دبلوماسية تمرست كثيرا في واقع التجربة وتجربة الواقع .

وبغض النظر ، عن صواب هذا الاجتهاد او خطئه ، وبغض النظر عن اية تحفظات او ملاحظات يمكن ان ترد على هذا الموقف، فان الأمر الذي لا بد من تقريره هو ان الموقف الفلسطيني من القضية الافغانية واضح كل الوضوح في ابعاده ومنطلقاته ، عبر عن نفسه وعبر عن القادة الفلسطينيون ، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة التنفيذية لنظمة التحرير الفلسطينية ، وهو رأي يتلخص في الاقرار بحق الحكومة الافغانية في طلب المساعدة العسكرية من اصدقائها وحلفائها . وان الحملة المثارة من حول هذه المسألة على الصعيد الامبريالي ، وعلى صعيد حلفاء وعملاء الامبريالية انما هي حملة تضليل وتزوير واسعة ، بل هي اوسع حملة تزوير يحاولون تمريرها على المنطقة بشكل خاص ، وفي العالم بشكل عام .

لماذا هذه الغيرة على الاسلام في افغانستان دون الغيرة على الاسلام في ايران ؟

لماذا هذا التنادي الشرس والمتمادي الى حماية الاسلام والمسلمين في افغانستان ، دون التنادي الى حماية المقدسات وصيانة الحرمات الاسلامية التي تنتهكها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ؟ ولماذا تتنادى الدول الاسلامية المتباعدة المتناقضة للجهاد ، ويلتف بعضها حول بعض يداً واحدة وقلبا واحدا ويثور غضبها ويغلي دمها ، امام القوات السوفييتية التي دخلت بطلب من الحكومة الافغانية ولا تتنادى امام الاحتلال الصهيوني للقدس التي يقع في القلب منها اولى القبلتين وثاني الحرمين ؟ لماذا يلتفون حول الاسلام ، ومن الذي يلفهم ؟

الاجابة ، من وجهة النظر الفلسطينية ، مهمة وضرورية ، لأنها تعطي القضية بعدها الواقعي ، وهو بعد سياسي وليس دينيا ، وهو من تحريك الولايات المتحدة الاميركية والقوى الحليفة ، والعميلة لها ، والهدف هو ايضا سياسي يتمثل في محاولة تحقيق حزام امبريالي يحيط بالمنطقة يستثمر شعار الاسلام ، ويقوم بحماية المصالح والاستثمارات والاحتكارات الامبريالية في المنطقة ، ولاحكام السيطرة على منابع النفط ومصادر الطاقة ، ولتطويق الثورات ومحاولة حصرها والقضاء عليها ، وفي مقدمتها الثورة الايرانية والثورة الفلسطينية .

ان الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، تحاول ان توفق بين مصالحها في دعم اسرائيل ، ومصالحها في استغلال طاقات العالم العربي والاسلامي ، محاولة حرف النظم العربية عن الخطر الحقيقي المتمثل في الصهيونية ، وتخويفها بالخطر الموهوم ممثلا بالاتحاد السوفييتي ، كما تقول الدوائر الامبريالية .

وفي هذا يقول الاخ عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في آخر تصريح فلسطيني حول هذه المسألة ، قبل كتابة هذا المقال ، وذلك في مقابلة له مع صحيفة الرأي الاردنية يوم ٢٣/١/١٩٨٠ ما يلي :

« ان المنظمة تعتبر افغانستان دولة شقيقة من حيث هي عضو في المؤتمر الاسلامي ، ودولة صديقة في حركة عدم الانحياز . واننا نحترم ارادة افغانستان في الدفاع عن سلامة اراضيها وصيانة عدم انحيازها ، ونرفض منطق الدول الغربية التي تحاول التظاهر كذبا بالحرص على سلامة الاسلام والمسلمين ، وقد تساءلنا لماذا لا تقف هذه القوى الغربية مع الاسلام والمسلمين في ايران وفي فلسطين والقدس ؟!» .

ويقول ايضا . « ان هذا يكشف بوضوح ان هدف الضجة من قبل الدوائر الامبريالية ليس هو الحصر على الاسلام والمسلمين ، وانما هو تسخير العالم الاسلامي ضد الدول الاشتراكية الصديقة لقضايا العرب والمسلمين في فلسطين وايران وغيرها من القضايا التي تكافح فيها الشعوب ضد الامبريالية والصهيونية .

« ان هناك نقطة اساسية في الاستراتيجية الاميركية منذ عهد دالاس وحتى الان ، تتلخص في ان الولايات المتحدة تعتبر الكيان الصهيوني جزءا لا يتجزأ منها ، وهي حريصة على مده بكافة اسباب القوة ، ودعمه في سياسته العدوانية التوسعية .

وفي الوقت نفسه فان الولايات المتحدة لها مصالح مع العالمين العربي والاسلامي وفي مقدمتها النفط ، ولذلك

فهي تعمل من اجل التوفيق بين مصالحها في دعم اسرائيل ، ومصالحها في استغلال طاقات العالم العربي والاسلامي ، وتحاول من خلال ذلك ان تصور للعالم العربي والاسلامي ان الاتحاد السوفييتي خطر كبير عليهم » . وخلاصة موقف م.ت.ف يفصح عنها قول ابو ميزر . « نحن نرى في المنظمة ان الحملة الغربية ضد الاتحاد السوفيتي تقع في اطار هذه السياسة .. » .

زياد عبد الفتاح

ندوة
"الجامعة الشعبية المفتوحة"

تمهيد

في تقديمه لكراس صغير مكثف ، وضع بين يدي ندوة الخبراء التي عقدت في بيروت بتاريخ ٢٨ و٢٩ و٣٠/١/١٩٨٠ ، وحمل العنوان المثير التالي . « دراسة تمهيدية لجدوى إنشاء جامعة شعبية فلسطينية » ، يقول الدكتور وليد قمحاوي ، رئيس الصندوق القومي الفلسطيني :

« وبدأ العمل لتحقيق الحلم ... الحلم بأن تكون هذه الجامعة المفتوحة للجميع ، منفتحة أمام كل تطوير في مجالات العلم والتكنولوجيا : الآداب والفنون ، وتكون رائدة في نهضة ثقافية عربية طال مخاضها وحان مولدها ... وأن تكمل هذه الجامعة أعمال جميع المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية الأخرى ، داخل الوطن الفلسطيني المحتل ، وعلى امتداد الوطن العربي كله ، تقويها وتقوى بها ، تفيدها وتستفيد من إمكاناتها ... وحين يتحقق الحلم ، ستكون هذه « الجامعة الشعبية الفلسطينية » هدية الشعب العربي الفلسطيني إلى أمته العربية ، تربي وتعلم ، وتوجه وتثقف ، وتجمع وتوحد . وبواسطة الكلمة المطبوعة ، والصوت والصورة ، وعن طريق شريط الفيديو والقمر الصناعي ، ستسعى هذه الجامعة لتدخل كل بيت وتتفاعل مع كل عقل » .

هذا الاقتباس المطول من مقدمة مقتضبة للورقة الرسمية الأساسية لمشروع الجامعة الفلسطينية المفتوحة ، يكشف أبرز الجوانب التي يقوم عليها مفهوم هذه الجامعة ، وهي .

أ ــ انها ستكون محققة للآمال العريضة للنهضة الثقافية العلمية التكنولوجية المنشودة في الوطن العربي .

ب ــ أنها ستكون فلسطينية المنطلق ، عربية المجال ، « هدية الشعب العربي الفلسطيني الى أمته العربية » .

جـ ــ أنها ستجند كل وسائل الايصال الممكنة ، النظرية والعملية ، الحديثة والتقليدية ، السمعية والبصرية الخ ...

د ــ أنها ستكمل أعمال المؤسسات العربية التربوية والثقافية القائمة حالياً ، وتتفاعل معها ؛ بحيث تفيدها وتستفيد من إمكاناتها .

ويستطيع المرء أن يمضي إلى ما لا نهاية في استخلاص الاستنتاجات من هذا المقطع الصغير ، الذي يلخص زخم الطموح الجبار ، المرافق للدعوة إلى إنشاء الجامعة المفتوحة ، والذي لخصه الأخ ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بعبارة واحدة جامعة ، حين أراده أن يكون « ثورة ثقافية » ، مع التشديد

على آن تصنع هذه الثورة الثقافية ، لنفسها نموذجها الخاص المنبثق عن وضع الشعب الفلسطيني نفسه ، وألا تكون تقليدا لأي نموذج آخر معروف . وهذا الكلام يكتسب صفة رسمية ايضا : لأنه قيل في خطبة افتتاح ندوة الخبراء الأخيرة في بيروت .

إذن يجب، منذ البدء، أن نتناول المشروع بجدية كافية : لأنه يبدو من خلال طرح مناصريه على الأقل ، أجراء مشروع ثقافي تربوي علمي في التاريخ المعاصر للشعب الفلسطيني ، بل ربما للوطن العربي كله . ويزيد الأمر جديـة أن هذا « الزخم في الطموح » ــ إن صح التعبير ــ ليس من صنع أفراد متحمسين فحسب ، بل إنه يستند إلى تعاون ثلاث جهات رسمية لها إمكاناتها وسمعتها ومكانتها .

أ ــ اليونيسكو .
ب ــ منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة بشكل مباشر بالصندوق القومي الفلسطيني .
جـ ــ الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي .

ومن الضروري التذكير بأن دخول الصندوق القومي الفلسطيني طرفا أساسيا في مشروع الجامعة (بدلا من دخول دوائر أخرى مختصة في المنظمة) ، ناجم أصلا عن الحماسة الشخصية لرئيسه الدكتور وليد قمحاوي ، الذي لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ، انه جاهد سنوات طويلة ، حتى استطاع أن يجعل من المشروع شيئا مقنعا ولا سيما في أوساط منظمة التحرير .

ويشير غلاف كراس الدراسة التمهيدية إلى أن هذه الدراسة اعدت من قبل مجموعة عمل تمثل هذه الجهات الثلاث .ويعطي الكراس فكرة سريعة عن خلفية الجامعة المفتوحة ، يتضح منها أن المباحثات التمهيدية مع اليونسكو بهذا الشأن ، بدأت في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٥، ثم تبعتها اتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينية والصندوق العربي للانماء في اوائل سنة ١٩٧٦ ، وأخيرا اتفقت الجهات الثلاث على تشكيل فريق عمل يقوم بوضع دراسة تمهيدية للجدوى ، من شأنها أن تحدد مهام ووظائف « دراسة الجدوى » بالتفصيل .

لقد ضم فريق العمل عددا من الخبراء في مجالات مختلفة الديموغرافيا : علم الاجتماع : المناهج : وسائل التعليم . وقدرت تكاليف إنجاز « دراسة الجدوى » بأكثر من اربعمئة ألف دولار ، على أن تكون اليونسكو هي المنظمة الفنية المشرفة على التنفيذ . وقد قام الفريق الذي يتألف من باحثين عرب وفلسطينيين (معظمهم من العرب العاملين في الجامعات الاميركية) ، بالاطلاع على أنماط التعليم المفتوح الذي تمارسه دول العالم المختلفة مثل بريطانيا والدول الاشتراكية . ولم يتبين ، تماما ، ما هو المقصود بالحديث عن التعليم المفتوح الذي تمارسه الدول الاشتراكية ، ولكن يبدو أن فريق الجدوى مهتم جداً بهذا الأمر : وقد انضم إليه مؤخراً بحسب ما أعلنه رئيس فريق العمل في ندوة بيروت ، الدكتور موهلي من جامعة كارل ماركس في لايبزغ ، الذي كان من المقرر أن يحضر الندوة لولا حادث مفاجيء تعرض له وهو في طريقه الى بيروت ، اضطره للعودة الى برلين للمعالجة .

واطلـــع الفريق على الدراسات المتعلقة بالتعليم المفتوح في الصين وتانزانيا ، كما ذهب بعض أعضائه وعاين الجامعة اليابانية المفتوحة والوسائل التكنولوجية التي تستخدمها . كما أجرى الفريق مسحا مبدئيا لأوضاع المخيمات والتجمعات الأخرى الفلسطينية ، وقام بالاتصالات اللازمة بالدول العربية التي تؤوي الفلسطينيين ، وتباحث مع الجهات المعنية فيها بالثقافة والتربية والتعليم العالي والاعلام لدراسة الامكانات القائمة ومجالات التعاون المقبل . وبهذا يكون الفريق قد استطاع تجميع العناصر الكافية لوضع التصور المطلوب ، الذي عرض جانب منه على مشاركي ندوة بيروت .

ويمكن مراجعة تصريحات الدكتور إبراهيم أبو لغد ، رئيس فريق العمل ، لجريدة « السفير » ، في ١٩٨٠/١/٣١ ، والواقع أن المشروع لم يلق بعد « التغطية » الاعلامية الكافية . وإذا أريد له أن يكون نموذجا جديداً من نماذج « الثورة الثقافية » ، فلا بد من العمل على تعبئة جماهيرية كافية لمساندته والتفاعل معه .

الدراسة التمهيدية للجدوى

أكدت الدراسة التمهيدية لـــ « الجدوى » الحاجة الماسة لتوفير إمكانات التعليم العالي للفلسطينيين ،

ووضعت هذه الحاجة في الاطار السياسي الشرعي المستند الى قرارات هيئة الامم المتحدة ، ولا سيما القرار رقم ٣٢٣٦ (٢٩) ، المؤرخ في ١٩٧٤/١١/٢٢ .

وقدرت الدراسة العدد السنوي للطلبة الفلسطينيين المتخرجين من الثانوية ، بأربعة وعشرين ألفا ، يذهب خمسهم على الغالب ، إلى الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالي في الأرض المحتلة . والعدد الاكبر من هؤلاء المقبولين ، يذهب الى الكليات النظرية : لأن فرص القبول في الكليات العلمية والتكنولوجية محدودة جداً . وهذه الاحصاءات هي ، بالطبع ، مبدئية ، والمعتقد عموما ان عدد الخريجين من الثانوية يفوق التقديرات الواردة هنا . والأهم من ذلك أن الطلبة الجامعيين الفلسطينيين كما تقول الدراسة ــ « لا يعدون فعلا الاعداد اللازم لمواجهة أعباء الحياة التي سيحيونها ، سواء قدر لها أن تكون في مخيم اللاجئين أو في المناطق الريفية أو الحضرية التي أتوا منها ، والتي من المفروض أن يعودوا اليها ليندمجوا فيها » .

وهكذا يتضافر العاملان الكمي والنوعي ،ليشيرا الى وجوب العمل على إيجاد نظام للتعليم العالي ، قادر على تلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمع الفلسطيني المتميز بظروفه الخاصة : وتجد الدراسة أن العلاج الأفضل لهذه الظروف هو « نظام التعليم المفتوح » الذي يستخدم التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال الآلية من أجل الوصول إلى المطالب حيثما كان مقره ، ومن أجل تلبية احتياجاته مهما يكن نوعها . وهكذا ، فان النظام المفتوح من المرونة بحيث يلبي الاحتياجات الخاصة للتجمعات الفلسطينية مثلما يلبي الاحتياجات الخاصة للفرد الفلسطيني ، وهذا ما أكدته ندوة بيروت ، فيما بعد ، حين كرر أحد مشاركيها البارزين ، (الاستاذ عبد الملك الناشف) تأكيد أن هناك أنظمة من التعليم المفتوح بقدر ما هناك من منتسبين الى هذا التعليم : أي أنه لا وجود لصيغة جاهزة جامدة تطبق على الجميع تقريبا ، كما هو شأن التعليم التقليدي ، بل إن التعليم المفتوح يجد لكل حالة خاصة دواءها الخاص .

على أية حال ، تحدد الدراسة التمهيدية أهداف الجامعة الشعبية المفتوحة والخطة المقترحة لانشائها ، كما تقدم تحليلا لفئات المجتمع التي ستفيد منها ، وتقديراً لحاجات الفلسطينيين من القوى البشرية الماهرة اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما تشمل تصورا عاما لوظائف الجامعة المفتوحة ، وموقعها ، وهيئة تدريسها ، وبنائها الاداري ، وجدواها الفنية والاقتصادية ، ومتطلباتها البشرية والمالية . ومجددا سيدرس كل ذلك ، بالطبع ، وبشكل مفصل ودقيق وموثق في « دراسة الجدوى » التي تضع الدراسة التمهيدية أهم تصوراتها ومتطلباتها . وهكذا يكون أهم ما قدمته « الدراسة التمهيدية » تأكيد أن « **نظام التعليم المفتوح** » هو العلاج النوعي للأوضاع الخاصة للمجتمع العربي الفلسطيني ، وبالتالي ضرورة استكمال دراسة الجدوى .

ندوة بيروت

كانت ندوة بيروت المتخصصة ، ندوة تمهيدية أيضا : بمعنى أنها كانت خطوة في طريق استكمال دراسة الجدوى ، بما يمكن أن تعطيه لفريق العمل من فرصة للتعرف على آراء مجموعة متنوعة من المختصين من مختلف البلاد العربية من جهة ، وبما يمكن أن تكشف عنه من إمكانات التعاون في سبيل وضع تصور جماعي للخطط العامة لاقامة الجامعة المفتوحة وتحديد طبيعتها ورسم الخطوط العامة للمناهج والسياسة التعليمية .

وقد عقدت الندوة ــ كما ذكرنا ــ بتاريخ ٢٨ و٢٩ و١٩٨٠/١/٣٠ ، وحضرها فريق العمل ، وممثلون عن اليونسكو ، من أبرزهم السيد ديوزين ممثل المدير العام ، والدكتور عبد الله عبد الدائم ، واعضاء في منظمة التحرير في مقدمتهم الدكتور وليد قمحاوي والسيد صبري جريس ، كما ضمت خبراء ومختصين ومسؤولين عن التعليم العالي في الجامعة اللبنانية ، والجامعة الاميركية ، وجامعة دمشق ، وجامعة حلب ، وجامعة اليرموك ، والجامعة الأردنية ، وجامعات الوطن المحتل ، وجامعات الولايات المتحدة الاميركية ، وجامعة الكويت ، وبعض الجامعات البريطانية وبعض مراكز الأبحاث، ومعهد اليونسكو ــ أونروا في عمان . وهكذا ضم الاجتماع خبرات قديرة ومتنوعة ومتحمسة من الباحثين العرب والفلسطينيين .

وقد استضاف مركز الأبحاث الندوة وقدم لها التسهيلات الكافية ، كما تم وضع المركز الاقليمي لليونسكو في البلاد العربية بتصرف الندوة ، وقدمت السيدة سعاد اسماعيل ، مديرة مركز اليونسكو بالوكالة ، كل جهد ممكن

لانجاحها . وتميزت الجلسة الأولى بحضور رسمي فلسطيني على أعلى مستوى . فقد حرص الأخ ياسر عرفات على افتتاح الندوة وإلقاء كلمة شاملة توضح تصور منظمة التحرير الطموح لمفهوم الندوة ، وكان الى جانبه الاخوة : الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، وطلال ناجي عضوا اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف . وشفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت ، الذين واظبوا بقدر الامكان ، على حضور جلسات الندوة بعد الافتتاح ، وفي هذا الحضور الواسع تأكيد للاهتمام الجدي الذي توليه منظمة التحرير لمشروع الجامعة المفتوحة .

وفي اليوم الأول للندوة ، جرت مطارحة عامة حول تصورات الجامعة المفتوحة ووظيفتها ودورها ، واغتنى النقاش بآراء مختلفة : بعضها مؤيد جدا وبعضها معارض بوضوح ، وأكثرها مشفق جدا ، بسبب عظم التجربة وجدتها والخشية من عدم توفر الامكانات الكبيرة اللازمة لانجاحها . كما استفاد الحاضرون من الايضاحات العلمية والتقنية التي قدمها بعض المختصين في أساليب التعليم عن بعد ، مما ساهم في ايضاح طبيعة الفارق بين التعليم الجامعي النظامي والتعليم عن بعد . ولم يكن هناك تلخيص رسمي لنقاش اليوم الأول : لأنه قصد قصداً من أجل الاثارة الذهنية والتفاعل الفكري والمفهومي . ولكن يمكن التوصل منه الى الاستنتاجات العريضة التالية :

١ ــ الجامعة المفتوحة لا تستطيع أن تكون بديلا عن نظام التعليم الجامعي ، ولكنها مكملة له ، وإن كانت ذات طبيعة خاصة وأهداف متميزة .

٢ ــ الجامعة المفتوحة هي العلاج النوعي الملائم للوضع الفلسطيني المتجسد في الشتات والاحتلال والغربة في الوطن .

٣ ــ الجامعة المفتوحة ليست خاصة بمتخرجي الثانوية وإنما هي مشروع ضخم لتعليم جميع الراغبين في متابعة التحصيل مهما تكن اعمارهم أو درجات تحصيلهم .

٤ ــ الجامعة المفتوحة مشروع متعلق بالفلسطينيين أصلا ، ولكنه مخطط على أساس خدمة المنطقة العربية بأسرها .

٥ ــ تعتمد الجامعة المفتوحة ، في هيئتها التدريسية ومختصيها وفنييها ، على الخبرات الفلسطينية والعربية ، كما تتعاون ، في مراكزها المقترحة في البلاد العربية ، مع جميع الهيئات المعنية بالعلوم والثقافة والتعليم العالي .

٦ ــ الجامعة المفتوحة تهجر جميع أساليب التلقين وتتبنى أسلوبا أساسيا تلتزم به التزاما تاما ، وهو تربية ملكات التفكير والمحاكة والابداع واستثارتها .

٧ ــ من المأمول أن تتطور الجامعة الى مشروع ثقافي ثوري طموح كفيل باحداث انعطاف نوعي في طرق التفكير (السكونية) السائدة في الوطن العربي ، وذلك باتجاه المنهجية والدينامية والانفتاح والتقدم .

٨ ــ مهما قيل في الجامعة المفتوحة ، فان التحدي الأساسي الذي يجابهها هو في تحقيق الربط المنشود بين المعرفة والعلم وبين متطلبات الحياة الاجتماعية : أي في وضع العلم والثقافة في متناول المقتضيات اليومية للحياة الفلسطينية والعربية .

٩ ــ الجامعة المفتوحة هي الجامعة الوطنية الفلسطينية التي تعنى بالتعبئة النظرية والعلمية للمجتمع الفلسطيني ، باتجاه تحقيق أهدافه التحريرية والقومية والانسانية .

ومن فضول القول ، التأكيد هنا على أن الاقدام على تلخيص تلك الآراء العميقة والخصبة التي قدمت في اليوم الأول للندوة ، بهذه الطريقة المبسطة المرقمة ، هو مغامرة قد تجر على كاتبها غضب المناقشين أو عتبهم على الأقل ، ولكن يمكن لكل من حضر الندوة أن يقدر صعوبة بلورة تلك الموشور الملون من الآراء التي شاركت في النقاش : وههنا موطن العذر .

وفي اليوم الثاني للندوة ، انقسم الحاضرون الى ثلاث لجان اختصاصية هي : لجنة العلم والتكنولوجيا :

لجنة العلوم الاجتماعية والادارة : لجنة التربية والانسانيات .

وكانت أمام هذه اللجان أوراق عمل تتعلق بالفلسفة الخاصة وبالتصورات الرئيسية لكل مقرر من المقررات التي ستعنى بها الجامعة المفتوحة ، من مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا (في العلوم) ، والعربية والانكليزية والتاريخ والفلسفة (في الانسانيات) ، وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الاقتصادية والتربية والعلوم السياسية (في حقل العلوم الاجتماعية) ، كما كانت هناك أوراق عمل متصلة بالمقررات المهنية ، كالطب وما يتصل به والهندسة والتجارة والزراعة وتكنولوجيا الاغذية والادارة والأعمال التجارية والاقتصادية المختلفة .

ومن الحق ، ومن الواجب أيضا ، أن نقول إن أوراق العمل تفاوتت تفاوتا شديدا في مدى عمقها وأصالتها وجديتها. وإذا كان بعضها قد بلغ شأوا مختررما في السعي باتجاه الأصالة والابتكار ، فان بعضا اخر لم يخرج عن المألوف المعتاد ، ولم يكن أكثر من تكرار للتصورات التقليدية للمناهج .

ثم إن هذه الأوراق تفاوتت تفاوتا شديدا في تصورها لموضوعها بالذات : فبعضها تضمن الفلسفة الخاصة للمقرر المعنى ، وبعضها خلا من أية فلسفة ، وبعضها اكتفى بالخطوط العامة للمناهج المقترحة دون الدخول في التفاصيل ، وبعضها أورد الخطوط العامة والتفاصيل ، وبعض اخر أورد التفاصيل دون الخطوط العامة . وظلت مواد كثيرة ، كالعربية والانكليزية ، بدون أوراق عمل . ولكن الأخطر من ذلك كله أن التصور المشترك لتجربة التعليم المفتوح يكاد يكون غائبا عن الأوراق ، ويصعب على المرء أن يستنتج من أوراق العمل أن أصحابها يصدرون من فهم معين لطبيعة الجامعة المفتوحة : مما جعل بصمات الانظمة الجامعية التقليدية ، التي يدرسون في اطارها ، شديدة الوضوح في أوراق العمل التي قدموها ، لما اعتبروه هم ، أصلا ، موضوعا جديدا ومبتكرا ومتجاوزا كل نظام سابق من نوعه .

على أن هذه الملاحظات السلبية لا تنتقص من أهمية الجهود التي بذلت ، ولكثير من الزملاء عذرهم الخاص ، إما في قصر المدة المعطاة لاعداد الورقة ، وإما في نقص المعطيات الاساسية . ولقد اثبتت هذه الأمور ، تماما ، أن ندوة بيروت كانت عملية ضرورية من أجل توفير التفاعل اللازم لبلورة مفهوم الجامعة الفلسطينية المفتوحة .

إذن ، لم يكن سهلا عمل اللجان الثلاث التي أوكل اليها وضع الخطوط العامة للمقررات الجامعية المحورية (أي التي تدرس لجميع طلبة الجامعة) وللمقررات الخاصة بكل فرع من فروع الاختصاص . على أن ادارة الندوة جعلت الأمور أسهل تناولا بتقديمها ورقة معتمدة لتنظيم العمل ، وهي الورقة التي حملت عنوان « اسئلة توجيهية للجان العمل » . وقد تضمنت هذه الورقة خلاصة الأسس التي تبنى عليها خطوط المناهج من جهة ، وتضمنت من جهة أخرى اسئلة دقيقة جدا ، ساعدت اللجان على وضع نتائجها في خطوط واضحة يمكن أن نتبين منها نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف . وهذه الورقة نموذج لما يمكن أن تقدمه ادارة أي اجتماع أو مؤتمر من عون لعمل المؤتمرين وتنظيم جهودهم .

ويلاحظ المرء ، بسهولة ، تداخل مصطلحي « الجامعة الشعبية » و « الجامعة المفتوحة » . ويبدو ان الرأي استقر اخيرا على استخدام الثاني الذي اعتمد نهائيا في الاوراق الرسمية التي قدمت للندوة .

وفي اليوم الثالث للندوة ، قرئت تقارير اللجان ، وتبين منها وجود اتفاق كبير بين اللجان الثلاث على المناهج الجامعية المحورية ، واتفاق نسبي بين الاختصاصيين بشأن المناهج التخصصية . وبالطبع يصعب ، في مثل هذا التقرير ، الخوض في خطوط المناهج التخصصية : لذلك سنكتفي بتقديم الخطوط العامة للمناهج الجامعية المحورية التي تتألف مما يلي :

١ ــ مقرر عام في العلوم ، يتناول مفاهيم العلوم الأساسية وطرائقها وأسسها .

٢ ــ مقرر عام في الانسانيات ، يتناول المفاهيم الاساسية للحضارة والثقافة والأشكال المتنوعة للتراث الانساني .

٣ ــ مقرر عام في العلوم الاجتماعية، يجري فيه التركيز على المجتمع العربي بتاريخه وجغرافيته ومؤسساته وتركيبه ، مع المقارنات اللازمة .

٤ ــ مقرر عام في الدراسات الفلسطينية (القضية الفلسطينية والمجتمع الفلسطيني في الاطار العربي) .

٥ ــ مقرر عام في نظرية المعرفة وفي أساليب البحث وفي التقنيات ، وما يتصل بذلك من الأنظمة الحديثة للتوثيق والملاحظة والقياس والتجربة والاستنتاج والتحليل والتعليل .

٦ ــ توفير الكفاءة اللازمة في اللغة العربية .

٧ ــ توفير الكفاءة اللازمة في اللغة الانكليزية (أو بعض اللغات الأخرى) .

٨ ــ توفير الكفاءات المهنية والتدريب العلمي .

وفي نهاية المناقشات ، سجلت ملاحظات كثيرة قيمة تتعلق بوضع الجامعة وطبيعتها ، وبالدراسات العليا في الجامعة ومقر رئاستها المنتظر، كما تتعلق بوسائل اتصالها بالطلبة وضرورة ابعاد التعليم فيها عن طرق التلقين والاستظهار ، وتأكيد علاقتها بالاطار العربي المحيط بها وتجاوبها الأكيد مع المتطلبات النوعية والعملية للمجتمع العربي الفلسطيني .

وخلاصة القول ، أن الجامعة المفتوحة تثير جوانب متعددة وخصبة ، يصعب حصرها في إطار تقرير عام . ولكن يظل السؤال الأساسي ، الذي يثيره هذا المشروع الطموح ، هو : هل يستطيع الوضع الفلسطيني الخاص أن يتمخض ، بالتفاعل مع إطاره العربي العام ، عن تجربة ثقافية حضارية أصيلة لا تقع في مهاوي الابتذال والميكانيكية والاحتيال العلمي والمنهجي ؟

لقد وضعت ندوة بيروت أساسا للتفاؤل بامكان ذلك : لأنها عالجت الموضوع بصراحة وبحذر وبقلق واضح بشأن إمكانات التطبيق .

د . حسام الخطيب

مواقف الاحزاب السويدية الرئيسية من القضية الفلسطينية

حظيت القضية الفلسطينية بمكانة مميزة في مناقشات الاحزاب السياسية السويدية المتعلقة بالمسائل الخارجية ، في اثناء المعركة الانتخابية التي جرت في العام الماضي . ولما كانت الحملات الانتخابية في السويد تقتصر ، غالبا ، على الهموم الداخلية ، وقلما تتعرض للسياسة الخارجية ، فان لاهتمام الاحزاب بالقضية الفلسطينية هذه المرة ، مدلولا واضحا ، يبين الوزن المتحقق لها في السويد وفي اوروبا الغربية كلها . والمعروف ان « التحالف اليميني » الذي يضم احزاب الوسط والليبراليين والمحافظين ، قد فاز بأغلبية صوت واحد في مواجهة التحالف الذي يتكون من الحزبين الاشتراكي والشيوعي اليساري . وفي اثناء المعركة الانتخابية ، وبالتحديد في ١٩٧٩/٨/٢٥ ، استدعت الاذاعة السويدية ممثلي الاحزاب الخمسة الرئيسية هذه ، لسماع وجهات نظرهم بشأن القضية الفلسطينية ، في اطار برنامج « نحن والعالم » الذي يخرجه ويقدمه السيد « بوكار لستروم » .

فيما يلي نقدم الترجمة الحرفية لأسئلة معد البرنامج واجوبة ممثلي الاحزاب عليها :

*** بوكار لستروم :**

عبر المستشار النمساوي برونو كرايسكي ، منذ فترة قصيرة ،عن اعتقاده بان اعتراف اوروبا الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية بات قريبا . وكان ذلك عقب اجتماعه ومستشار المانيا الغربية السابق فيلي براندت مع زعيم المنظمة ياسر عرفات .

نظرا لأهمية المسألة الفلسطينية على المستوى العالمي ، ارتأينا ان نعرضها على ممثلي الاحزاب الخمسة الرئيسية في السويد ، بهدف معرفة رأيها في الصراع الدائر في الشرق الاوسط بشكل عام ، ورأيها في منظمة التحرير الفلسطينية بشكل خاص . ولقد قمنا بتوجيه الاسئلة نفسها الى الاحزاب الخمسة

١ ــ ما هو رأي الحزب بتصريحات المستشار النمساوي كرايسكي ، التي عبر فيها عن اعتقاده بقرب اعتراف دول غرب اوروبا بالمنظمة ؟ وهل حزبكم على استعداد للمساهمة الفعالة التي من شأنها ان تمهد امام ذلك الاعتراف ؟ .

٢ ــ كيف يصنف حزبكم الفلسطينيين اليوم ؟ هل هم لاجئون ام شعب له الحق بالحصول على دولته المستقلة ؟ .

٣ ــ هل يعتقد حزبكم ان بالامكان تبرير العمليات العسكرية الاسرائيلية في جنوب لبنان ، واعتبارها خطوات تمليها ضرورة الدفاع عن النفس ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين ، ام يجب ادانتها ؟

٤ ــ ما هو موقف حزبكم من انشاء مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة ؟ .

٥ ــ هل تعتقدون ان هناك تحولا في الرأي العام السويدي والدولي بشكل عام ، لمصلحة فلسطين

ومنظمة التحرير ؟ وهل طرأت تبدلات على مفاهيمكم تجاه القضية الفلسطينية ؟ .

*** سفن اندرسون (وزير خارجية سابق) ــ الحزب الديمقراطي الاشتراكي**

١ ــ اعرف ان كرايسكي متفائل جداً بالنسبة لتطورات القضية . ان مسألة الاعتراف بمنظمة التحرير تتعلق بالدرجة الاولى بتصرفات المنظمة نفسها . نحن لم نعترف حتى الان بالمنظمة ، ولا يمكننا ان نفعل ذلك ما دامت المنظمة تقوم باعمال العنف ، وما دامت غير مستعدة للتخلي عن تهديد كيان اسرائيل . من الطبيعي ان يعترف الجميع بالمنظمة في حال موافقتها على العمل في سبيل السلام في المنطقة .

٢ ــ هم شعب له الحق في تقرير مستقبله بنفسه في دولته الخاصة او في المناطق التي يعيش فيها . ونحن نستند في ذلك الى ميثاق هيئة الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن التي عبرت ، في اكثر من مناسبة ، عن حق الشعب الفلسطيني في العودة الى المناطق التي هجر منها ، وخصوصا بعد حرب ١٩٦٧ . المشكلة ايضا مشكلة لاجئين بلا ريب ، الا ان الاساس هو حق الشعب الفلسطيني بتقرير اوضاعه الاجتماعية بنفسه .

٣ ــ لقد قمت دائما بادانة مثل هذه العمليات الانتقامية ، كما ادنت بالمقابل ، العمليات التخريبية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ان عمليات القتل هذه سوف تستمر الى ما لانهاية ، ما لم يجلس الطرفان للاتفاق على مائدة المفاوضات. ان حل مشكلة العرب الفلسطينيين ضروري لايقاف حلقة العنف . على ان اسرائيل ، كدولة ، استخدمت اساليب عنيفة للغاية لا يمكن الدفاع عنها .

٤ ــ نحن نعارض بناء المستوطنات الاسرائيلية ، لانها تتناقض والقانون الدولي المستمد من ميثاق هيئة الأمم المتحدة وقراراتها بهذا الشأن . وعلى هذا الأساس ، فاننا نرى ان بناء المستوطنات يشكل عقبة في وجه السلام في الشرق الاوسط .

٥ ــ لا نزال ايجابيين للغاية بالنسبة لاسرائيل ، بدليل اننا ما زلنا نعارض كل محاولة لاضعافها ، او تهديد مصالحها الدولية . اما موقفنا من عرب فلسطين ، فقد كان ، دائما ، مؤسسا على ارضية قرارات الأمم المتحدة التي اعترفت لهم بحق تقرير المصير . موقفنا هذا لم يتغير مطلقاً . الا ان ما تبلور في السنوات الاخيرة، هو وجود ممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، هو منظمة التحرير الفلسطينية . هذا امر يجب القبول به . واذا ما قامت منظمة التحرير بتحمل مسؤولياتها في قيادة الشعب الفلسطيني والسير في طريق حل الصراع عن طريق المفاوضات السلمية ، فمن الطبيعي ان نمنح المنظمة دعما لم تحصل عليه من قبل .

لقد بات واضحا في السنوات العشر الاخيرة، ان جوهر الصراع في الشرق الاوسط هو مصير الملايين الثلاثة او الاربعة من العرب الفلسطينيين . لا بد من الاعتراف بأن لهؤلاء حقا معادلا للشعوب الاخرى فيما يتعلق بالتعايش وتطوير ثقافتهم وتراثهم ولغتهم وتوجهاتهم الاجتماعية . ان زيادة معرفتنا بهذا النطاق هي التي كانت وراء التغيير الذي طرأ . وبمعنى آخر ، لقد حدث تفهم اعمق لحقوق الفلسطينيين العرب .

*** كارين سودر (وزيرة خارجية سابقة) ــ حزب الوسط**

١ ــ فيما يتعلق بحقيقة تمثيل المنظمة ، نعتقد ان الشيء الأهم هو الافساح في المجال امام الشعب الفلسطيني لاختيار ممثليه بنفسه . هذا سيكون افضل هدية يمكن لمنظمة التحرير ان تحصل عليها . لقد ساهمنا، في الماضي ، بالسماح لمنظمة التحرير بالظهور على منصة الامم المتحدة وتمثيل الشعب الفلسطيني . نحن نعتقد أن المنظمة تتمتع بصفة تمثيلية اكثر من غيرها، على الرغم من وجود ممثلين آخرين للشعب الفلسطيني غير معروفين كثيرا في الخارج . نحن في العادة لا نعترف بمؤسسات من هذا النوع . ان اعترافنا يقتضي وجود حكومة ممثلة لشعب فوق ارض محددة . لذلك نرى ان اهم شيء هو منح الشعب الفلسطيني فرصة لاختيار ممثليه بنفسه . وهذا لا يعني انني اشك بأن منظمة التحرير هي اكثر التنظيمات تمثيلا للشعب الفلسطيني .

٢ ــ نعم ، ان للفلسطينيين حقا في تشكيل دولة خاصة ، ولقد صرحنا بذلك في مناسبات عديدة . والفلسطينيون ، بطبيعة الحال ، يمثلون مشكلة لاجئين ضخمة . لقد عانى الفلسطينيون بشكل مأساوي على مدى عشرات السنين . لذلك نرى ان من

الواجب بحث الموضوعين معا .

٣ ــ لا يمكن ، اطلاقا ، الدفاع عن عمليات قصف جنوب لبنان التي تودي بارواح الاطفال والمرضى والعزل . لقد ادنت العمليات العسكرية الاسرائيلية هذه بشدة ، عندما كنت وزيرة للخارجية . في الوقت ذاته ، ادنت العمليات الارهابية ضد اسرائيل . فالعنف يولد عنفا ، والطريقة الوحيدة لحل صراع الشرق الأوسط او اي صراع آخر ، هو جلوس الاطراف المتنازعة حول مائدة المفاوضات ، والعمل على الاتفاق بصورة سلمية .

٤ ــ لا يمكن الجمع بين هذه المستوطنات وقرارات الأمم المتحدة . ولا شك في ان مخالفة قرارات الأمم المتحدة تعتبر أمراً خطراً ، زيادة على ان هذه المستوطنات تزيد من تعقيد حل ازمة الشرق الاوسط .

٥ ــ لقد حدث تفهم اعمق لجوهر المشكلة في الشرق الاوسط ، وللمعاناة التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في المنطقة . هذا الفهم الاكثر عمقا ادى بدوره الى خلق اجواء للنقاش اكثر توازنا داخل جميع الاحزاب السياسية السويدية . نحن نعتقد ان حل مشكلة الشرق الاوسط يجب ان يرتكز اساسا على حق الشعب العربي الفلسطيني بتقرير مصيره بنفسه ، بما في ذلك حقه في دولته المستقلة ، بشرط ان تعيش هذه الدولة بسلام ، جنبا الى جنب مع اسرائيل . ان كلا الشعبين ، الاسرائيلي والفلسطيني ، لهما حقوق وطنية ، ويجب علينا ان نعمل ونساعد ، بكل ما لدينا من طاقة ، لحل الصراع بشكل يسمح للطرفين بالعيش جنبا الى جنب بسلام . ان المشكلة لا يمكن حلها ، على المدى الطويل ، بواسطة العنف ، بل يجب على الطرفين ان يجتمعا ويعملا على حلها عن طريق المفاوضات .

*** الين هانيلسن ــ الحزب المحافظ**

١ ــ ما يقصده كرايسكي هو ضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات السلام في الشرق الاوسط . ان الرأي العام السويدي متحد بشأن هذا الامر ، اذ ان البرلمان السويدي عبر عن ذلك بشكل واضح وبموافقة جميع الاحزاب . تعتبر منظمة التحرير عندنا المنظمة الاكثر تمثيلا للشعب الفلسطيني ؛ اذ انها منظمة عريضة تضم مختلف التنظيمات والافكار . على اية حال ، نحن لا نوافق على المضمون السياسي للمنظمة ولا على الوسائل التي تستخدمها .

٢ ــ كانت القضية في السابق تعتبر مشكلة لاجئين فحسب . وهذا امر خطأ . الفلسطينيون لهم الحق في تقرير مصيرهم بأنفسهم ، ولهم حق الاشتراك في المباحثات التي ستقرر حقوقهم الوطنية كشعب .

٣ ــ هذه العمليات العسكرية لا تخدم مصلحة السلام . ربما نفهم ان اسرائيل تشعر بالتهديد ، وترغب ، عبر هذه العمليات ، بمنع العمليات التخريبية ضدها ، الا ان هذا الاسلوب يبقى اسلوبا خطأ ؛ لأن الاعتداء على اراضي دولة اخرى لا يخدم مصلحة السلام .

٤ ــ اننا نعتقد ان اقامة المستوطنات امر بالغ الضرر ، ونحن نؤيد ، في هذا المجال ، موقف الحكومة السويدية وقرارات الأمم المتحدة بشأن ادانة مثل تلك الأعمال .

٥ ــ لقد حصلت اسرائيل ، في الماضي ، على دعم كبير من الرأي العام السويدي ، وكان ذلك نتيجة عاملين مفهومين . ان اسرائيل بعاداتها وتقاليدها المستمدة من الديانة اليهودية تشابه في بعض نواحيها العادات والتقاليد المسيحية . من ناحية اخرى ، المآسي وعمليات الابادة التي عاناها يهود اوروبا قبل واثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد حصل الان بعض التغيير في موقف الرأي العام السويدي في غير مصلحة اسرائيل . ولا شك في ان مواقف اسرائيل من المستوطنات ومواقفها المتشنجة من الاعتراف بالفلسطينيين كانت وراء ذلك التغيير . نحن نؤيد ايجاد حل سلمي يضمن الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ، ويضمن ، بالمقابل ، حق عرب فلسطين بتقرير مصيرهم . ونعتقد ان مواقف منظمة التحرير باتت اكثر اعتدالا ، اذ انها لا تنادي الان بالقضاء على اسرائيل كليا ، كما كانت تفعل قبل بضع سنوات .

*** هانس بليكس (وزير الخارجية اثناء تسجيل البرنامج) ــ الحزب الليبرالي**

١ ــ هذا الامر لا يعتمد على الحزب الليبرالي بقدر ما يعتمد على منظمة التحرير ذاتها . فاذا ما تصرفت

المنظمة بشكل يؤهلها لتحمل المسؤولية ، واذا ما استعملت اساليب اكثر اعتدالا ، فان ذلك سيمنحها مركزاً افضل على المستوى الدولي .

٢ ــ انهم كلا الامرين معا . في الماضي كان ينظر الى الفلسطينيين على انهم لاجئون فقط ، وكذلك اعتبرتهم قرارات الأمم المتحدة . الا ان الفترة الاخيرة شهدت تطور شعور واضح بان الفلسطينيين يمثلون احد ابرز المسائل السياسية الجوهرية التي يجب حلها في اطار الحل الشامل لصراع الشرق الاوسط ؛ ونحن مع هذا الرأي .

٣ ــ نحن قلقون جداً من تصعيد عمليات العنف ، خصوصاً تصعيد العمليات العسكرية الاسرائيلية ضد جنوب لبنان خلال الاشهر الاخيرة . وبالتأكيد ، نحن نعي ان هذه العمليات هي عمليات انتقامية ، الا ان استخدام العنف الشديد امر بالغ الخطورة ، واننا نعتقد ان على جميع الاطراف تحمل مسؤولياتها في تخفيف حدة العنف ، تمهيداً لحل سلمي .

٤ ــ لقد اكدنا، في عدة مناسبات ، قلقنا لانشاء هذه المستوطنات . ان اتفاقية كامب ديفيد لا تتحدث عن المستوطنات . الا ان من الواضح ان اي حل يهدف الى اعتماد الضفة الغربية اساسا لحل سلمي لصراع الشرق الاوسط، لا بد من ان يتعقد كثيراً بسبب هذه المستوطنات ، وعليه ، فاننا نرى ان اقامتها امر سيىء .

٥ ــ كنا دائماً ضد الاعمال التخريبية لمنظمة التحرير . على انه بات لدينا الآن احساس اوضح بأنه لا يمكن الوصول الى حل للمشكلة الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ككل ، بدون ايجاد حل سياسي للفلسطينيين . من الجلي ان المنظمة ذاتها شعرت بان تلك الاعمال التخريبية لا تخدم اهدافها ، وانا أمل في ان تستمر المنظمة على هذا الطريق . لقد تكون لدى الناس احساس واضح بان مشكلة الفلسطينيين ليست مجرد مشكلة لاجئين ، بل هي ايضا مشكلة سياسية ، وهذا ينطبق علينا ايضا .

* اوسفالد سوديركفست ــ الحزب الشيوعي اليساري

١ ــ نعم ، لقد فعلنا اقصى ما نستطيع من اجل التمهيد للاعتراف بالمنظمة ، ولقد عبرنا مراراً عن رضانا وترحيبنا بالتطورات الاخيرة في هذا المجال .

فيما يتعلق بالانتقادات ضد اساليب العنف التي تعتمدها المنظمة ، من الواضح ان المنظمة استخدمت في بعض الاحيان اساليب عنف ربما نعتبرها غير صحيحة . على ان امكانات المنظمة في الفترة التي سبقت حصولها على الاعتراف العالمي ، كانت محدودة ، وكان على المنظمة العمل لاسماع صوتها بخصوص حقوق الشعب الفلسطيني .

٢ ــ لا . انها ليست مشكلة لاجئين . الفلسطينيون شعب طرد من الارض التي سكنها على امتداد آلاف السنين .

٣ ــ يجب ادانتها ولا يمكن الدفاع عنها . ان الاسرائيليين يملكون حل المشكلة ، لكنهم يقولون ؛ عوضاً عن ذلك ، ان على الدول العربية حل المشكلة ، على الرغم من ان الاسرائيليين هم الذين طردوا عرب فلسطين للمرة الاولى في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ .

٤ ــ المستوطنات غير شرعية ، ولقد اوضحت قرارات الأمم المتحدة تكراراً ، عدم شرعيتها . الا ان الاسرائيليين ما زالوا مستمرين في بنائها بهدف تشديد رقابتهم على الاراضي المحتلة ، والادعاء من ثم بأنها ارض اسرائيلية وليست فلسطينية .

٥ ــ لم يتغير موقفنا ، الا اننا حصلنا ، كغيرنا ، على معلومات وحقائق موضوعية اكثر شمولا ، ادت الى وضوح اكبر في موقفنا . لا شك ان تبدلا كبيراً طرأ على الرأي العام الغربي : لقد ظل الرأي العام يتحدث عن حقوق اسرائيل فقط على امتداد الخمسينات والستينات فحسب، وكان ينظر الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها مشكلة لاجئين فحسب ، يجب على الدول العربية حلها ، لا باعتبارها مشكلة يقع على اسرائيل التي خلقتها تحمل مسؤوليتها . التغير البارز الذي حدث هو قناعة الرأي العام ، الآن ، بان اسرائيل هي المسؤولة عن المشكلة ، وهذا تطور اجابي بارز .

* بوكار لستروم

يتضح مما سمعنا ، ان جميع الاحزاب السويدية متفقة الى حد بعيد في جميع النقاط التي طرحناها عليها ، باستثناء الحزب الشيوعي اليساري الذي اعلن تأييده غير المتحفظ للفلسطينيين ومنظمة التحرير .

● لقد اقرت جميع الاحزاب ان منظمة التحرير

الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

● وانتقدت جميع الاحزاب اساليب العنف التي تستخدمها المنظمة .

● وشعرت جميع الاحزاب بان المنظمة باتت اكثر اعتدالا ، وانها لا ترفض حل المشكلة عن طريق المفاوضات .

● ادانت جميع الاحزاب الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان .

● اتفقت جميع الاحزاب على ان المستوطنات الاسرائيلية تشكل عقبة في وجه السلام .

● واخيراً اشار الجميع الى ان تحولا طرأ على الرأي العام السويدي لمصلحة الفلسطينيين ، وتعليل ذلك هو زيادة المعرفة بالاوضاع الفلسطينية .

المناطق المحتلة

تعزيز الوحدة الوطنية
وتجدد النشاط الاستيطاني في الخليل

مع وصول العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية الى مرحلة التطبيع ، فمن المفروض أن تكون المرحلة القادمة في اطار تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد ، تطبيق ما يسمى بالحكم الاداري الذاتي على الاراضي المحتلة ومع استمرار الجمود في مباحثات الحكم الذاتي بين اطراف كامب ديفيد ، تواصل السلطات الاسرائيلية ممارساتها القمعية ، والاستفزازية ضد سكان المناطق المحتلة بهدف ايجاد طرف فلسطيني يرضى الدخول الى تلك المباحثات . ومن هنا تشكل ساحة الارض المحتلة ، في هذه الفترة الحلقة المركزية التي يجب تخطيها لمواصلة مسيرة التسوية بين مصر واسرائيل . ومن هنا كذلك يمكن فهم اجراءات السلطات الاسرائيلية الاخيرة ، وعبر محاولات متكررة لشق وحدة الصف الوطني بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومحاولات اعتقال وطرد بعض رؤساء البلديات الوطنيين ، وشراء امتياز شركة كهرباء القدس الوطنية ، واخيرا الاجراءات الوحشية ضد مدينة الخليل العربية ، اثر مقتل المستوطن يهوشوع شلومو . هذا بالاضافة الى استمرار عمليات الاستيطان ، ومصادرة الاراضي العربية المحتلة .

١ ـ الوضع السياسي

تميز الوضع السياسي في الاراضي المحتلة في الفترة الاخيرة ، بالتأكيد على ضرورة التمسك بالوحدة الوطنية ، وضمان رسوخها اثر محاولات بعض العناصر في قطاع غزة تخريب صورة التضامن الوطني ، كما واصلت القيادات الوطنية رفضها محاولات فرض الحكم الاداري الذاتي ، واعلنت مجددا تمسكها القاطع بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ورفض اللقاء مع المبعوث الامريكي لينوفيتش .

المبعوث الامريكي واللقاء مع ممثلي المناطق

في اطار مفاوضات الحكم الذاتي بين اطراف كامب ديفيد . وأمام مشكلة عدم وجود طرف فلسطيني يقبل الدخول فيها . طلب صول لينوفيتش المبعوث الامريكي المشترك فيها اللقاء مع ممثلي المناطق المحتلة . وقد اعلن رؤساء بلديات الضفة الغربية رفضهم اللقاء مع المبعوث الامريكي ، واكدوا ان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني اينما وجد ، وهي بالتالي التي « تملك الحق في التفاوض ، او الحديث باسم الشعب الفلسطيني » (وفا ، ١/٢٦/ ١٩٨٠ ، ص ٢) . واضاف رؤساء البلديات في بيان اصدروه بشأن الموضوع ، ان اي حل سياسي يجب ان يحظى بموافقة منظمة التحرير الفلسطينية ، وانهم لن يقبلوا اي عرض مهما كان ، طالما انه مرتبط بنهج اتفاقيات كامب ديفيد وملحقاتها .

وكان رؤساء البلديات يردون بذلك على تصريحات نسبت الى لينوفيتش قال فيها ، انه يعلم ان رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة رفضوا حتى الان الدخول في هذه المفاوضات ، غير انه اذا

« اقترح عليهم مشروع مغر فسوف يصعب عليهم عدم المشاركة في المفاوضات ... » (المصدر نفسه) .

وكان اللقاء الوحيد الذي حظي به لينوفيتش ، هو لقاءه مع رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة ، حيث عقد الاثنان اجتماعا يوم ١٩٨٠/١/٣٠ حضره صموئيل لويس السفير الامريكي في اسرائيل ، ودام اكثر من ساعة ونصف الساعة صرح الشوا بعده ، انه من الضروري « استمرار جهود الولايات المتحدة لتقريب وجهات النظر بين مصر واسرائيل بالمفاوضات على الحكم الذاتي حتى ينضم الفلسطينيون الى المفاوضات في نهاية الامر » (هآرتس ، ١٩٨٠/١/٣١) .

واوضح الشوا كذلك ، انه في الوضع القائم حاليا« يرفض اي اشتراك لممثلي الفلسطينيين من اي نوع بالمفاوضات ،لان الفجوة كبيرة جدا ، ويجب ان تكون المباحثات الرسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية التي يمكنها ان تمثل الفلسطينيين »(المصدر نفسه) .

ومن جهة اخرى انتقد الدكتور حيدر عبد الشافي لقاء الشوا مع لينوفيتش لان مثل هذا اللقاء « لايخدم القضية الفلسطينية » وقد رد الشوا على الانتقادات الموجهة اليه بسبب ذلك الاجتماع وقال ، انه من « الخطأ عدم الاجتماع والمقاطعة ، والافضل شرح المواقف لجميع الجهات »(ر .إ .إ ، العدد ١٦٧٤ ، ٣٠ و ١٩٨٠/١/٣١ ، ص ٧) .

وعن الاقتراحات التي تدعو الى بدء تنفيذ الحكم الذاتي في قطاع غزة اولا قبل الضفة الغربية ، اوضح الشوا للصحافيين الذين التقاهم قبل اجتماعه مع لينوفيتش ، معارضته لهذا الاقتراح ، واضاف ، ان منظمة التحرير الفلسطينية ستوافق على الانضمام لمباحثات الحكم الذاتي ، اذا ضمنت اقامة دوله فلسطينية (المصدر نفسه) .

واكد الشوا ، انه لم يات لاجراء مفاوضات مع لينوفيتش ، بل لطرح وجهة نظر الفلسطينيين وعرض حالتهم .

اما المبعوث الامريكي فقد قال لمجموعة من الصحافيين انه اجرى محادثة « جيدة مع رئيس بلدية غزة ، واتفقنا ان نبحث سويا عن طرق تحقيق حل ، لتقليص الفجوة القائمة بين الاراء المختلفه » (هآرتس ،١٩٨٠/١/٣١) .

ومن جهة اخرى ، تحدثت بعض وكالات الانباء عن اجتماع عقده المبعوث الامريكي مع شخصية فلسطينية اخرى هي انور الخطيب ، حاكم القدس السابق . وذكرت مصادر امريكية ان مثل هذا اللقاء عقد بمنزل الخطيب في القدس يوم ١٩٨٠/١/٣٠ . وحسب رواية تلك المصادر فقد وصل الخطيب بعد ظهر ذلك اليوم الى القنصلية الامريكية في شرقي القدس ، وعندما لاحظ وجود صحافيين على مدخل القنصلية ، دخل الى بناء قريب « واتصل مع موظفي القنصلية تلفونيا ومن ثم خرج الى بيته . وبعد ذلك خرج من القنصلية صول لينوفيتش ، والسفير لويس واخرون ، حيث جرى اللقاء في منزل الخطيب ... »(المصدر نفسه) .

اما الخطيب فقد نفى من جهته ماتناقلته بعض وكالات الانباء عن اجتماعه الامريكي ، وقال في تصريح صحافي انه « ليس هناك اي جديد لقبول الاجتماع بالمبعوث الامريكي »(الدستور ، ١٩٨٠/٢/١) .

الانتخابات البلدية ، ورفض مشاريع الحكم الذاتي

من المقرر ، وبحسب نظام البلديات في الضفة الغربية ، ان تجري الانتخابات البلدية والقروية في شهر نيسان (ابريل) من العام الحالي . وقد اعلنت سلطات الاحتلال ، على لسان العميد بنيامين العيزر قائد منطقة الضفة الغربية ، ان هذه الانتخابات ستؤجل الى موعد اخر بسبب قربها من موعد الانتخابات التي ستجري لمجلس الحكم الاداري الذاتي . واوضحت مصادر صحافية اسرائيلية مدى هشاشة هذا التبرير ، واكدت ان قرار التاجيل اتخذ « خوفا من الاضطرابات والفوضى ، وان الحكم العسكري يخشى اجراء الانتخابات ، لان كل سكان الضفة سيصوتون الى جانب مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية فقط ، الذين يعارضون مشروع الحكم الذاتي،وان انتخاب مرشحي منظمة التحرير معناه توجيه ضربة حاسمة لمشروع الحكم الاداري الذاتي » (هآرتس ، ١٩٨٠/٢/٢٣) .

كما يخفي قرار التاجيل اهدافا اخرى عند سلطات الاحتلال . فهي تحاول انتظار نتائج مباحثات الحكم الذاتي ، حتى تعلن عن موعد موحد لاجراء انتخابات مجلس الحكم الذاتي ، والانتخابات البلدية ، في محاولة لاثارة « فتنة » معينة . وهو ما اوضحه كريم خلف رئيس بلدية رام الله ، وحسب رايه فان السلطات الاسرائيلية تنوي

اجراء الانتخابات في يوم واحد ، وبذلك « يضطر السكان للاشتراك في انتخابات مجلس الحكم الاداري الذاتي » (هآرتس ، ٢٤/١/ ١٩٨٠) . وهذا الامر مرتبط بتوقعات الاسرائيليين لنتائج مباحثات الحكم الذاتي ، وهم ينتظرون الفرصة المناسبة لفرض مشروع الحكم الذاتي على السكان . ودعا خلف السكان الى اعلان تضامنهم ، ووحدتهم الوطنية ازاء هذه المشاريع الاسرائيلية .

ورفض بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ،اية انتخابات للمجالس البلدية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، اذا كانت تؤدي خدمة لاهداف الاحتلال لفرض ما يسمى بالحكم الذاتي على المواطنين . وبحسب توقعات الشكعة فان السلطات الاسرائيلية ستلجأ الى تأجيل الانتخابات البلدية لان الناخبين سوف يؤيدون « المرشحين المعارضين لسياسة ما يسمى بالادارة الذاتية ، واتفاقيات كامب ديفيد التي لاتحقق الحد الادنى لاهداف وتطلعات الشعب الفلسطيني »(وفا ،٣٠/١/ ١٩٨٠ ص ٩) . واكد الشكعة ان الشعب الفلسطيني يؤمن بوحدته حفاظا على شخصيته القومية ، ولن تستطيع كافة العوامل والمؤشرات الخارجية ان تحرفه عن مسيرته ، وان الشعب الفلسطيني لن يبخل بأي شيء في سبيل تحقيق اهدافه وغاياته الوطنية المشروعة .

وتوقع هاشم الصالح ، رئيس بلدية طوباس ، تأجيل الانتخابات البلدية ، لان سلطات الاحتلال تخشى ان تأتي نتائج الانتخابات القادمة « بعناصر اكثر تصلبا وتطرفا في مقاومة الاحتلال ومشاريعه المطروحة » (الدستور ، ٢٤/١/ ١٩٨٠) . واضاف ، ان مشروع الحكم الذاتي مرفوض من الشعب الفلسطيني ، وقد اعترف الجنرال داني ماط ، المنسق العام السابق لشؤون الضفة الغربية ، انه لا يوجد اي شخص يقبل حتى التحدث عن مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية .

التأكيد على الوحدة الوطنية وفي هذا السياق تحاول السلطات الاسرائيلية اقامة فاصل ما بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، بمنع اللقاءات والاجتماعات التضامنية المشتركة . وتنفيذا لهذه السياسة ، فقد منعت سلطات الاحتلال يومي ١٩ و٢٠/١/١٩٨٠ وفود الضفة الغربية من الوصول الى قطاع غزة للمشاركة في اجتماع تقرر عقده للتضامن مع سكان القطاع ، ضد الاعتداءات الاخيرة التي وقعت على بعض المؤسسات الوطنية هناك . ويمكن اعتبار اجراءات منع الشخصيات الوطنية من تبادل الزيارات في كل من الضفة والقطاع « خطا سياسيا جديدا ، سيطبع هذه المرحلة للتفريق بين الضفة والقطاع ، وخاصة اجتماعات مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية في كلا المنطقتين » (هآرتس ، ٢١/١/١٩٨٠) .

ورغم كل اجراءات العرقلة الاسرائيلية ، فقد عقد مؤتمر للوحدة الوطنية في قطاع غزة ، حضره اكثر من ١٢٠ شخصية وطنية من رؤساء البلديات ، والمنظمات ، والمؤسسات من جميع انحاء القطاع . ودعا المجتمعون الى اقامة « جبهة وطنية قوية ضد محاولات تنفيذ فكرة الحكم الذاتي » (دافار ، ٢٢/١/ ١٩٨٠) .وانشات لجنة دائمة « للقيادات العربية في القطاع ، لكي تعمل بالتعاون مع لجنة التوجيه الوطني لسكان الضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

وكان المؤتمر ، عبارة عن تظاهرة وطنية ،اظهر مدى قوة التلاحم بين ابناء الشعب الواحد ، والوقوف الموحد الحاسم ضد محاولات الدس والتحريض . والجدير ذكره . ان المؤتمر عقد بناء على خلفية الاحداث الاخيرة المؤسفة التي وقعت في قطاع غزة ، واشترك فيه كل من الدكتور حيدر عبد الشافي رئيس جمعية الهلال الاحمر في القطاع ، والشيخ محمد عواد رئيس كلية الازهر. وادان البيان الختامي للمؤتمر ، اعمال الحرق والتدمير التي تعرضت لها جميعة الهلال الاحمر في غزة ، واستنكر هذا العمل المنافي للاخلاق الوطنية والتقاليد ، وكافة التعاليم الدينية . واكد المؤتمر ان جمعية الهلال الاحمر هي مؤسسة وطنية وانسانية يجب دعمها واعادة بنائها . (نص البيان في وفا ، ٢٢/١/ ١٩٨٠ ،ص ٥و٦) .

وفي الاطار نفسه ، تردد في القدس ان بعض الشخصيات من الضفة الغربية المقربين للحكم الاردني سيبادرون لاقامة لجنة تدعى « لجنة المصالحة الوطنية ، سيتمثل فيها اعضاء من كل الهيئات السياسية القائمة في الضفة الغربية » (دافار ، ٢٨/١/ ١٩٨٠) .

واضافت المصادر ان قيام لجنة المصالحة جاء على خلفية المصالحة بين « الزعامات المتنافسة في قطاع غزة التي شكلت اخيرا بلجنة مشتركة . واذا ما قامت لجنة المصالحة في الضفة الغربية فانها ستضم الى جانب رؤساء البلديات ، اعضاء من اليسار وممثلين اخرين للمؤسسات الاسلامية في

شرقي القدس ، والعاملين السابقين في وزارات الحكومة الاردنية » (المصدر نفسه) .

ازاء هذا الموقف الموحد لسكان المناطق ، يتابع المهتمون الاسرائيليون بشؤون الاراضي المحتلة محاولاتهم لمعرفة حقيقة التطورات السياسية القائمة هناك ، ملاحظين مدى التبدل الذي طرأ على الحياة السياسية منذ عام ١٩٦٧ ، بينما لا تزال السلطات الاسرائيلية تتعامل معهم وفق ظروف سنوات الاحتلال الاولى ، فالفلسطينيون سكان المناطق ، كما يصفهم احد هؤلاء المهتمين ، ينضوون الان كلهم تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية ، وينادون ملء صوتهم ، انهم يعارضون الحكم الذاتي ، واتفاقيات كامب ديفيد بشكل حازم وهم يستغلون فترة المفاوضات بين مصر واسرائيل لتكوين القيادات ، وتجميع الصفوف . وان لجنة التوجيه الوطني هي التي توجه الجماهير وتسيطر عليها ، وتقودها ...

ولا يوجد في لجنة التوجيه الوطني من يؤيد الاردن ، بل يوجد فقط اولئك المتضامنون بوضوح مع منظمة التحرير ... وهناك اتجاه داخل اللجنة لاشراك بعض الشخصيات المؤيدة للاردن بالمستقبل ، وذلك لاظهار مزيد من الوحدة ... ويقتصر الرد الاسرائيلي على النهوض الوطني لسكان المناطق باتباع الاساليب القديمة ، وذلك بمنع سكان الضفة الغربية من الوصول الى اجتماعات قطاع غزة والعكس . والاعتماد بقدر الامكان على الزعماء المعتدلين ، رؤساء الحمائل والمخاتير المحافظين والتقليديين وتحريضهم لاتخاذ خطوات ضد الموجة الوطنية .

ويخصىء من يظن انه بواسطة الاستيطان تبقى الضفة الغربية تحت سيطرة اسرائيل ، ولو اضافت الحكومة عشرات بل مئات الملايين من الليرات الاضافية لضمان استمرار الاستيطان ، فانها لن تسيطيع اقناعنا بانه بهذا الاسلوب تحل المشكلة الفلسطينية. ومن المهم جدا التوجه الى سكان المناطق . وسؤال انفسنا ، هل طريق المعالجة الحالية هي الطريق الصحيحة ، هل نرى نحن في اسرائيل الامور بشكل صحيح ، او اننا نظهر فقط ما نريد اظهاره واحيانا نبالغ فيه ...

ان الفلسطينيين سكان المناطق ، المقيمين بالقرب منا موجودون الان على مفترق طرق واذا استمرينا بالنظر اليهم بعدم اهتمام متعجرف ، ونعالج الموضوع بدواء لم تثبت نجاعته مع الزمن كما انه لن يكون ناجعا في المستقبل ، فاننا ليس فقط لن نستطيع التحكم بخطوات تبلور الشعب وتوجيهه بايدينا ، وانما سنضاعف شعوره الوطني ، مع ضياع متزايد للاستيطان الاحتلالي الاسرائيلي » (يهودا ليطني ــ هآرتس ، ١٩٨٠/١/٣٠) .

ــ احداث مدينة الخليل

شهدت مدينة الخليل في الفترة الواقعة ما بين ١٩٨٠/١/٣١ و١٩٨٠/٢/١١ سلسلة من الاجراءات القمعية ضد المدينة وسكانها اثر مقتل احد المستوطنين في حي القضية يوم ١٩٨٠/١/٣١ . واعتقلت القوات الاسرائيلية العشرات من المواطنين ، كما فرضت حظر التجول في المدينة لمدة عشرة ايام متواصلة ، كذلك اعتدى مستوطنو كريات اربع المجاورة على الاماكن المقدسة في المدينة . وكانت الحادثة كذلك مبررا استغلته السلطات الاسرائيلية للسماح لليهود بالاستيطان في احياء المدينة ، وتوسيع مستوطنة كريات اربع ، ومصادره المزيد من الاراضي العربية .

واعتبر مستوطنو كريات اربع ، في برقية ارسلوها الى رئيس الوزراء مناحيم بيغن ، ان المستوطن الذي قتل ، هو ضحية سياسة الحكم الذاتي ، وسياسة السلام ، وطالبوا باعادة الحي اليهودي في الخليل « للشعب اليهودي فورا ، ومصادرة ٥٠٠٠ دونم لتوسيع مستوطنة كريات اربع ، وذلك لتهدئة الاجواء بين العرب واليهود » (ر.إ.إ العدد ١٩٧٦ ، ١و١٩٨٠/٢ ، ص ١٣) .

واوضح فهد القواسمة في لقائه مع حاكم الضفة الغربية الاسرائيلي خلفية الاحداث ، وان سكان كريات اربع اعتدوا على مواطني الخليل اكثر من مئة مرة ، وهذا لا يعني انه « علينا ان نرد بالمقابل ، لكن ما حدث امس تعبير عن افتقاد علاقة حسن الجوار مع مستوطني كريات اربع ، الذين يكررون اعتداءاتهم على ابناء الخليل » (المصدر نفسه) .

واستنكر القواسمة التحديات المستمرة التي يمارسها المستوطنون الصهاينة ضد سكان الخليل واخرها كان حادث القتل الذي ذهب ضحيته « اثنين من سكان حلحول نتيجة اطلاق النار عليهم من قبل قوات الامن وسكان كريات اربع » (دافار ، ٣/٢/ ١٩٨٠) .

ولم يرضخ سكان الخليل الى ممارسات

المستوطنين ، فقد جرت عدة مصادمات مع هؤلاء المستوطنين في منطقة الخليل فبالقرب من قرية دورا سيطر « خمسة من المسلحين على خمسة باصات تابعة لشركة ايجد ، ودمر احد الباصات بالوادي المجاور للطريق ... وصباح يوم ١٩٨٠/٢/٢ وقع شجار بين العرب واليهود اطلقت فيه بضع طلقات حيث جرح شيخ عربي هو جاد الله الجعبري (٨٣ عاما) وارسل للمستشفى » (يديعوت احرونوت ، ١٩٨٠/٢/٣) .

واستغل المستوطنون الصهاينة هذه الاحداث ، ليجددوا مطالبتهم للحكومة بالسماح لهم بالاستيطان داخل مدينة الخليل ضمن اطار « الرد الصهيوني المناسب » كما يدعون وبحجة ان لهم املاكا هناك تعود الى عام ١٩٢٩ . كما ان اقتراحا بطرد رئيس بلدية الخليل قدمه الحاخام حاييم دروكمان (المفدال) امام لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، كما طالب باتخاذ خطوات تردع هذة الاعمال ضد اليهود حتى يستطيع مستوطنو المناطق الحياة والتحرك بامن.واقتراح عضو الكنيست يهودا بن ـ مئير ، اتباع «اجراءات العقاب الجماعي وفحص وسائل الدفاع الذاتية لسكان المستوطنات بالمناطق لكي نرى هل هي كافية ام لا » (معاريف ، ١٩٨٠/٢/٣) .

ودعا شارون امام جلسة مجلس الوزراء يوم ١٩٨٠/٢/٣ الى طرد رئيس بلدية الخليل بسبب تصرفه ازاء قضية مقتل الجندي في المدينة . واضاف شارون انه وصل الى استنتاج « اننا نسير على طريق الانتحار ، اننا نعطي لكارهي اسرائيل حق الحديث بوسائل الاعلام ولا نرد بشدة » (دافار ، ١٩٨٠/٢/٤) . وطالب شارون ، بتوسيع التواجد اليهودي داخل الخليل واسكان المنازل الخالية المحيطة بمبنى هداسا والذي كان حيا سكنيا لليهود .

ويبلغ عدد الابنية التي يطالب شارون باسكانها في الخليل ١٦ مبنى « وهي لا زالت مسجلة كاملاك يهودية ، وتخضع لنظام املاك الغائبين » (ر .إ .إ . العدد ١٩٧٧ ، ٣ و ٤ /٢/ ١٩٨٠ ص ٦) ومن بين تلك المنازل ، بيت هداسا ، المأهول بصفة مؤقته من نساء هداسا ، وبيت الرابي حسون ، وبيت عائلة الصيدلي اليهودي في الخليل ، ومنزلين بجوار الحرم الابراهيمي ، وبناية معروفة باسم بيت رومانو .

ويبدو ان فكرة الاستيطان في الجليل هي فكرة يجري الاعداد لها منذ فترة طويلة . فقد كانت وزارة الاديان قد ساهمت بمبلغ من المال قبل سنة « لاعداد ٢٠ مسكنا لاقامة اليهود في المدينة القديمة بالقرب من كنيس ابينا ابراهيم » (دافار ، ١٩٨٠/٢/٥) . وقد وصل المبلغ الذي دفع لتحسين اوضاع المباني الى ٣ ملايين ليرة ، حيث جرت اعمال ترميم المساكن المهجورة ، وتهيأتها للسكن . كما ان « الحكم العسكري قدم مساعدات لانجاز تلك الاعمال وقد علمت القيادات الامنية بهذا الموضوع » (دافار ، ١٩٨٠/٢/١٦) .

وانسجاما مع الخطوط الاساسية لسياسة الحكومة الاسرائيلية ، والتي صادق عليها الكنيست الاسرائيلي ، فقد اتخذت الحكومة قرارا يوم ١٩٨٠/٢/١٠ يقضي « بالسماح باستيطان اليهود في اي مكان من ارض ـ اسرائيل » (رإ.إ. العدد ١٩٨٣، ١٠،١١/٢/١٩٨٠ص ٣) . وترك البت في توقيت ومكان التنفيذ الى وقت لاحق . واعرب رئيس الحكومة عن رأية بان الخليل جزء من الضفة الغربية ، وبناء عليه يستطيع اليهود السكن والاقامة فيها . واتخذ كذلك قرارا يدعو الى « تعزيز كريات اربع وزيادة الوحدات السكنية بها ... وخرج الجميع راضين ويعني ذلك ان الحكومة لم تتخذ قرارا قاطعا غير قابل للتاويل في هذا اليوم » (المصدر نفسه) .

ولكن ، كيف ينظر المختصون الاسرائيليون بالشؤون العربية الى تطورات احداث الخليل . فالدكتور شاؤول مسقال من كلية العلوم السياسية في جامعة تل ابيب ، يرى ابعادا اخرى للاحداث ، فهي تعبير عن « العزة القومية ، والاحساس بان منظمة التحرير تمتطي الموجة ، وانه لم يعد بعيدا ذلك اليوم الذي سيتم فيه ايجاد حل او تسوية معينة للقضية الفلسطينية » (ر.إ.إ.، العدد ١٩٨٢ ، ٨و٩ /٢ ١٩٨٠ ص ١١) . وهو يصف احداث الخليل بانها خطيرة بسبب تداخل عاملين يؤديان للاشتعال.الاول ، الصراع على الارض وهو موضوع حساس للطرفين ، اليهودي والعربي . والعامل الثاني هو المسألة الدينية ، التي تتداخل في هذا الموضوع . واذا اخذنا الامرين معا فسيؤديان الى « حريق من الصعب تحديده »

واستذكر الدكتور مسقال احداث عام ١٩٧٦ ، حيث شهدت الضفة الغربية عصيانا مدنيا عندما

امتزجت قضيتا السيطرة على الارض لاغراض الاستيطان ، والموضوع الديني عندما اتخذت المحكمة العليا قرارا يسمح لليهود بالصلاة في المسجد الاقصى . ومن المهم ان نذكر ، انه في مثل هذه الظروف « يتاح لمنظمة التحرير الفلسطينية ركوب الموجة بشكل جاد ومكثف اكثر مذهبا في الظروف العادية » (المصدر نفسه) .

ولم يجد احدهم اي وجه للمقارنة بين احداث عام ١٩٢٩ والاحداث الحالية في العام ١٩٨٠ « فالمستوطن قتل في الخليل الموجودة تحت الحكم العسكري الاسرائيلي بينما كريات اربع التي يسكنها الان المستوطنون وهي في موقع الاشراف على المدينة العربية ، ولا تنظر كريات اربع الى نفسها كغيتو يهودي صغير في قلب السكان العرب المعادين ، وانما كنواة ومستوطنة لسكان يهود كثيرين ، ستشمل وستضم الخليل العربية ... ولقد اثار سكان الخليل ورجال الدين قضية السيطرة البطيئة لسكان كريات اربع على منطقة الحرم الابراهيمي ، وتوجهوا عشرات بل مئات المرات الى الحاكم العسكري واحتجوا على ذلك ، لكن الحكومة وافقت بشكل عام على اعمال سكان كريان اربع ، ووجد هؤلاء السكان دائما من يقدم لهم المساعدة على مواقفهم .

وخلال سنوات حصلت مصادمات عديدة مع سكان الخليل وكان ابرزها ١٩٧٦ ، حيث تفجرت عنها مظاهرات ، واعتقل عشرات من شباب الخليل ، وقد فتح مقتل يهوشوع شلومو صفحة جديدة مظلمة من العلاقات العربية ـ اليهودية في الخليل ... ومن يذهب الى الخليل الان ، ويرى العرب واليهود يشعر ان الخليل وكريات اربع برميل من البارود ينتظر ثقابا لاشعاله ... ويمكن منع برميل البارود من الانفجار ، باقامة فاصل بين كريات اربع اليهودية ، والخليل العربية ...

...وان قرار الحكومة الاخير بشان الخليل ، والذي سيعاد نقاشه ثانية في الجلسة القادمة ، عبر عن توجهاته بعض الوزراء « كرد صهيوني ملائم » . لكن الرد الملائم للاغتيال هو القبض على القاتل ومعاقبته ، وكل رد اخر معناه عقاب جماعي لكل سكان الخليل » (يهودا ليطني ، هآرتس ٢/٦/ ١٩٨٠)

٣ ـ حقائق جديدة عن قضية شركة كهرباء القدس

على خلفية قرار السلطات الاسرائيلية في ١٩٨٠/١٢/٣١ ، القاضي بشراء امتياز شركة كهرباء القدس ، كشفت المصادر الاسرائيلية الاعتبارات الفعلية التي تقف خلف ذلك القرار ، رغم كل الادعاءات التقنية ـ الاقتصادية التي عللت بها وزارة الطاقة الاسرائيلية قرار شراء الامتياز ويقع على رأس تلك الاعتبارات الجانب الامني .

ويتعلق الاعتبار الاول ، بانتشار الجيش الاسرائيلي في المنطقة الواقعة في مجال امتياز الشركة حيث ان « عشرين من معسكرات الجيش ، والمعدات العسكرية موجودة في منطقة كبيرة في قيادة الضفة الغربية ... وقد خلق هذا الامر مشكلة معقدة لجهاز الامن.فمن جانب كانوا مضطرين للارتباط بخطوط كهرباء الشركة العربية ، ومن جانب اخر لم يكن ممكنا لعمال الشركة وجميعهم من شرقي القدس ، او الضفة الغربية الاطلاع على كل المعدات العسكرية ومعرفة اجهزتها . وقد بذلت محاولات عديدة للتغلب على هذه الصعوبات لكن الامر لم يكن ناجحا دائما .

وفي حالات اخرى اثير احتجاج قوي من جانب الاجهزة العسكرية ضد الشركة لماطلتها في تنفيذ الخدمات لتلك الاجهزة : فمثلا في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ طلبت قيادة الضفة الغربية من الشركة ان تقوم بايصال الكهرباء الى معسكر حتسور وجاء في الطلب ، ان التنفيذ يجب ان يكون فوريا . وبعد مماطلة وتأجيل انقضت سنة ، وقدم في شهر كانون اول (ديسمبر) عام ١٩٧٥ طلب جديد . وفي شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٦ دفع كل المبلغ المطلوب للشركه ، ومرة اخرى جرت مماطلة في تنفيذ العمل بعد ان ادعت الشركة انها لاتملك المحولات المطلوبة ، حيث طلبت الشركة دفع مبلغ اضافي لاقامة مبنى للمحول . وفي شباط (فبراير) عام ١٩٧٨ ركب محول قديم بدلا من اثنين جديدين كان ثمنها قد دفع قبل سنتين .

ومشكلة اخرى تتعلق بسكن رجال الجيش ، الذين يعملون في مكاتب وزارة الدفاع ، ويقيمون في مجال امتياز الشركة . وقد نوقشت هذه المسألة سابقا بدرجات مختلفة ، ووضعت اعتبارات متعددة من اجل تخفيف الاضرار بقدر الامكان ، ولكن مع مرور الزمن اتضح انه لا يمكن منع عمال الشركة من المعرفة التفصيلية لكل رجال الجيش الدائمين .

وهناك ايضا مشكلة ما يعرف بالاستيطان الامني. فمن عام لاخر تقام مستوطنات يهودية في المنطقة داخل مجال امتياز الشركة وتشترك هذه المستوطنات

في جهاز الامن العام . ويحاول كل مندوب من الشركة بمبادرته او بمبادرة من ارسلوه معرفة تركيب كل مستوطنة ، ومعداتها الامنية اذا وجدت مثل تلك المعدات ... واستنتاجات اجهزة الامن هي انه بالاضافة الى المشاكل التقنية ــ الاقتصادية التي لا تمكن الشركة من تطوير خدماتها بشكل افضل للسكان ، هناك المشكلة الامنية ، ولا يمكن للحكومة ان تتجاهلها ، ومن اجل ذلك اتخذ قرار شراء حقوق شركة الكهرباء العربية ، والذي سيطبق في العام القادم » (يوسف تسوريئيل ، معاريف ١٥/١/١٩٨٠) .

وبالمقابل ، تواصل شركة كهرباء القدس العربية بذل الجهود من اجل تحسين اوضاعها ، وقدراتها ,رغم كل العراقيل التي توضع في طريقها ، وقد قررت الشركة طرح عطاء دولي لشراء مولدات ومحولات كهربائية بحيث تضاعف من انتاجها .

ودعت الشركة اصحاب المصانع والمولدات والمحولات الكهربائية الدولية التي تبلغ طاقتها ٥ و١٠و١٥ ميغاوات تقديم عروضهم للشركة التي تنوي تطوير شبكتها العامة . واكد مصدر رسمي في شركة كهرباء القدس ان شركته تمتلك الامكانيات المالية والايدي العاملة لتطوير اعمال الشركة مما يدحض « الادعاءات الاسرائيلية بعجز الشركة عن اداء مهماتها وانتاج الكهرباء الكافية لمحافظة القدس » (الدستور ١٠/١/١٩٨٠) وكشف المصدر عن الاجراءات التي تتخذها السلطات الاسرائيلية لعرقلة تقدم الشركة ، حيث ترفض التصريح للشركة باستيراد المولدات والمحولات الكهربائية . كما قدمت الشركة احتجاجا الى وزارة الطاقة الاسرائيلية ، على الاعمال التي تقوم بها سلطات الاحتلال وتستهدف مد الشبكة الكهربائية الاسرائيلية الى داخل القطاع الجغرافي لامتياز شركة كهرباء القدس العربية .

٤ النشاط الاستيطاني

وتستمر السلطات الاسرائيلية في اقامة مستوطنات جديدة في الاراضي العربية المحتلة.ففي يوم ٢١/١/١٩٨٠ صادقت اللجنة المشتركة المكونه من الحكومة والمنظمة الصهيونية ، على اقامة مستوطنتين في الضفة الغربية هما,لبونه في منطقة نوه تسوف ، ومتسبه جبعون بالقرب من مستوطنة جبعون .

وستقام متسبة جبعون على اراض « تبلغ مساحتها ٦٠٠ دونم اشتريت من قبل شركة يهوديه عام ١٩٣٢ » (هآرتس ٢١/١/١٩٨٠) . وتقيم النواة المخصصة للمستوطنة الان في مستوطنة جبعون .

كما طلب شارون رئيس اللجنة المشتركة ، من مسؤولي الحكم العسكري وادارة اراضي اسرائيل ، فحص المعطيات لاقامة مستوطنات اسرائيلية بين جنوبي عازلة بين قطاع غزة وبين كيبوتس كرم ــ شالوم لاقامة منطقة عازلة بين قطاع غزة ، ومستوطنات منطقة بتحات شالوم .

وتقرر كذلك اقامة مستوطنتين على سفح جبل الخليل بالقرب من الخط الاخضر . الاولى نحوشه على طريق ترقوميا ــ كريت غات : والثانية شيكف جنوبي امتسيا . واقترح مدير قسم الاستيطان شمعون رفيف اقامة ثلاث مستوطنات اخرى اضافية في نفس المنطقة بهدف ، « الحؤول دون توسع عرب جبل الخليل نحو الخط الاخضر » (ر.إ.إ ، العدد ١٩٦٨ ، ٢١,٢٢/١/١٩٨٠ ص ١٥) .

ومن جهة اخرى اتخذت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست قرارا يوم ٥/٢/١٩٨٠ بغالبية ١١ ضد ٧ يدعو الى زيادة الاستيطان الحكومي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، واوصت اللجنة باعطاء افضلية لتخصيص الموارد لتنفيذ الخطة الاستيطانية بما في ذلك « بناء قاعدة تحتية مناسبة ، وخاصة تكثيف الاستيطان على مدخل القدس » (دافار ٦/٢/١٩٨٠) . واعتبر القرار ، ان التواجد الاسرائيلي المدني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، هو شرط « لتثبيت الامن بالمنطقة وتامين حركة الجيش الاسرائيلي ، وبذلك يضمن بشكل مناسب النظام لمدى طويل بيننا وبين جيراننا في الشرق ولمنع اقامة دولة فلسطينية» (المصدر نفسه) .

ونص قرار لجنة الخارجية والامن على ان لكل « مواطن اسرائيلي حق شراء الاراضي عن طريق التجارة العادية ، ويجب ازالة العقبات امام ذلك ، وان اقامة المستوطنات المدنية في الضفة الغربية وقطاع غزة لا تضر بتنفيذ اتفاق السلام مع مصر » (المصدر نفسه) .

٥ ــ مصادرة الاراضي

استولت السلطات الاسرائيلية على مساحات واسعة من الاراضي في مختلف انحاء الضفة الغربية المحتلة . ففي بيت حانينا بالقرب من القدس صودرت مساحة تبلغ ٢٠٠٠ دونم من الاراضي الزراعية بحجة « شق طريق بديل للطريق الحالي الذي يربط تل ابيب

بالقـدس » (هآرتس ، ١٩٨٠/١/٩) . ورغـم اعلان السلطات ان الهدف من المصادرة هو شق طريق رقم ٤ ، الا ان المواطنين العرب اكدوا ان الهدف هو اقامة مستوطنة في المنطقة .

سيجـث في منطقة قرية بيت قاد القريبة من جنين ، مساحة من الاراضي تبلغ ٥٠٠ دونم ، ومنع اصحاب الاراضي من دخول اراضيهم وبررت مصادر الجيش عملية المصادرة بأنها تمت « لحاجات أمنية مبررة » (المصدر نفسه) . وصادرت سلطـات الحكم العسكري كذلك من قرية قلنديـا المجاورة للقدس مساحة تبلغ ٥٠٠ دونم وذكرت المصادر نفسها ، ان قرار المصادرة كان قد صدر قبل ٩ اشهر والهدف « شق طريق رقم ٤ الواصل بين تل ابيب والقدس » (المصدرنفسه) .

وكشف السيد هاشم الصالح رئيس بلدية طوباس عن ان سلطات الاحتلال « اغلقت ما يزيد على ثمانين الف دونم في منطقة طوباس . وتعتبر تلك المساحة من اخصب الاراضي الزراعية المروية والتي تعود ملكيتها لسكان طوباس » (الدستور ، ١٩٨٠/١/٢٤) .

واضاف الصالح ان سلطات الاحتلال دمرت في نفس المنطقة اكثر من ١٤٠ مشروعا للمياه بينما حفرت عدة ابار للمياه ، في المنطقة الشمالية من طوباس بقوة انتاجية كبيرة ، الامر الذي ادى الى جفاف الينابيع والابار الارتوازية في تلك المنطقة مما يهدد السكان العرب ، والزراعة بأضرار جسيمة .

من ناحية اخرى اثيرت مؤخرا بين اوساط اعضاء الكنيست فضائح تتعلق بشراء الاراضي العربية كان بطلها اريئيـل شارون وزير الزراعة حيث حصل شارون على كميات كبيرة من المال ودفعها الى جماعه غوش ايمونيم الاستيطانية . وكانت الجماعة تحصل على فرق اسعار وسمسرة من الصفقات التي عقدتها .

وقد كشف اثناء اثارة هذا الموضوع مدى زيف الادعاءات الاسرائيلية التي تقول ، ان المواطنين العرب يبيعون اراضيهم . وتبين ان معظم صفقات بيع الاراضي ، تتم عبر عمليات تزوير ، من قبل اشخاص لا يملكون الحقوق القانونية للتصرف بتلك الاراضي .

وذكر مثلا انه قبل ثلاث سنوات تم شراء ٦٤ الف دونم في الضفة الغربية « من رؤساء قبيلة كانت تضع يدها على تلك الاراض ، لكنها لم تكن تملكها » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨٢,٨,٩/٢/ ١٩٨٠ص ٨) . وكان الوسيط في تلك الصفقة التاجر شموئيل عيناف . ويعترف عيناف انه كان وسيط تلك الصفقة « لكنها ليست صفقة بيع وشراء ، لان الارض لم تكن ملكا للبدو ، بل كانت لهم حقوق حيازتها » (المصدر نفسه) . وعادة تتـم عمليـات بيـع الاراضي ، بان يعطى صاحب الارض تفويضـا قانونيا مصدقا من الجيران الذين يجب ان يوقعوا على خارطة الارض التي يجري بيعها ، اضافـة الى مصادقة مختار القرية كما يفترض تسجيل الصفقة في السجلات العقارية ، ودوائر تسجيل الاملاك وهذا المسار الطويل « دفـع في الماضي الى استخـدام تفويضات مزيفة ، اضافة الى اجبار بعض اصحاب الاراضي على بيع ارضهم رغما عنهم »(المصـدر نفسه) .

محمد عبد الرحمن

اسـرائيليات

اسرائيل تستعد لاحتمـال اشتعـال الجبهـة الشرقية
وتبدأ مرحله تطبيع العلاقات مع مصر بتقديم نموذج متشدد للحكم الذاتي

في الوقت الذي بدأت فيه اسرائيل تستعد لتنفيذ اجراءات تطبيع العلاقات بينها وبين مصر ، مستغلة الفرصة لتوجيه الانذارات الى الجبهة الشرقيـة ، خصوصا سوريا والمقاومة الفلسطينية ، راحـت تحركات الجيش السوري في لبنان ونشاط المقاومة في الجنوب ، يستأثران بالاهتمام الاكبر في اسرائيل على

الصعيدين الرسمي والعسكري . وذلك رغما عن ان الاجراءات التي اتخذها الجيش السوري قد جاءت بعد التهديدات الاسرائيلية المتكررة منذ اواخر السنة الماضية ، خصوصا على لسان رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، الذي اعلن ، مثلا ، امام بعض الضباط والجنود الاسرائيليين في احد معسكرات الضفة الغربية ، في اواخر كانون الاول (ديسمبر) الماضي ، «ان اسرائيل ابتاعت السلام مع مصر مقابل ضحايا كثيرة ، ومن خلال الامل في تثبيته ، بينما لا زالت الجبهة الشمالية والشرقية مضطربة ومعادية وقابلة للانفجار ، وعلى اسرائيل ان تلتزم الحذر والترقب » (هآرتس ، ٢٨ /١٢/ ٧٩) . وقد عاد بيغن ليؤكد ، بعد مرور اسبوعين على تصريحه هذا ، على ان « اسرائيل ملزمة بالوقوف على اهبة الاستعداد ومراقبة الاحداث الجارية على الجبهة الشمالية وفي سوريا » (هآرتس ، ١٦/١/٨٠) .

ويلاحظ ان ما يجذب اهتمام الاوساط الاسرائيلية ، خصوصا الرسمية والعسكرية منها ، هو تحرك القوات السورية المتواجدة في لبنان ، وانعكاساته على الوضع اللبناني وعلى امكانية نشوب حرب بين اسرائيل وسوريا ، ثم على امكانية تجدد نشاط المقاومة من الجنوب اللبناني بشكل كثيف .

فقد رحبت اسرائيل بانسحاب قوات الردع السورية من بيروت ، واعتبرته « خطوة ايجابية جدا بالرغم من الاخطار المترتبة عليه » ، على حد قول رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست موشي ارنس (ر.إ.إ ، العدد ١٩٧٩ ، ٥,٦/٢/٨٠ ، ص ٦) . وتتمثل هذه الاخطار في نظر اسرائيل في احتمال تجدد الحرب الاهلية في لبنان ، الامر الذي يمكن ان يؤثر على مركز حلفائها في الجبهة اللبنانية . لذلك عاد رئيس الحكومة الاسرائيلية بيغن ليؤكد ، « ان التزام اسرائيل تجاه المسيحيين في لبنان ما زال قائما . وقد عملت في الماضي على الحيلولة دون تصفيتهم ، وستهب لمساعدتهم مستقبلا اذا تعرضوا للخطر... وليس القصد المسيحيين في جنوب لبنان فقط ، وانما في شماله ايضا » (ر.إ.إ ، العدد ١٩٨١ ، ٧ و٨/٢/٨٠ ، ص ٣) .

من جهة اخرى ، تعتبر الاوساط العسكرية في اسرائيل ، ان تحرك الجيش السوري في لبنان ، يخلق احتمال قيامه بعملية عسكرية ضد اسرائيل . وقد اعلن بيغن ان « لدى اسرائيل انباء ومعلومات تفيد بان الاسد قد يحاول البدء بعمليات عسكرية ضد اسرائيل ، الا ان تلك التهديدات لن تخيفنا » (ر.إ.إ ، العدد ١٩٦٢ ، ١٤ و١٥/١/٨٠ ص ٣) .

وتستبعد المصادر العسكرية الاسرائيلية نشوب حرب شاملة مع سوريا ، الا انها تتوقع احتمال القيام بعمليات عسكرية محدودة . وثمة نقاش واسع في اسرائيل حول هذه المسألة . فهنالك من يرى ان سوريا قد « تغامر » بحرب شاملة ضد اسرائيل ، بينما يعتقد البعض الآخر انه في ظل مؤشرات الوضع الحالية ستكتفي سوريا بعملية عسكرية محدودة ، او بخوض حرب استنزاف من الجولان ضد اسرائيل ، او دفع المقاومة الفلسطينية في الجنوب الى تكثيف نشاطها ضد اسرائيل ، بمساندة من سوريا .

وتذكر هذه المصادر ان هنالك عدة دوافع لدى السوريين للقيام بخطوة عسكرية مهما كان نوعها ، واهمها . اولا ، الوضع الداخلي في سوريا . ثانيا ، التنسيق مع الاتحاد السوفياتي لنقل الاهتمام الدولي من افغانستان الى الشرق الاوسط . ثالثا ، ازدياد قوة الجيش السوري الى درجة يمكنه معها خوض مغامرة عسكرية ضد اسرائيل ، لنسف اتفاقات كامب ديفيد ، وعرقلة عملية تطبيع العلاقات مع مصر .

بالنسبة للدافع الاول اعلن رئيس الحكومة بيغن ، ان الوضع الداخلي في سوريا ربما يدفع الرئيس الاسد الى خوض حرب شاملة ضد الجيش الاسرائيلي . ومن هنا ينبع حديث بيغن « بان اسرائيل تتابع الوضع في ضوء الانباء التي تتحدث عن الوضع الداخلي في سوريا ، حيث يعاني نظام الاسد من صعوبات جمة » (المصدر نفسه ، ص ٣) . وتحدث احد المعلقين العسكريين في اسرائيل حول هذا الدافع بقوله . « ان المشاكل الداخلية في سوريا تزداد تعقيدا ، ورغم جميع الجهود لم يستطع النظام السوري التغلب على المعارضة . فالعمليات رجالات من السلطة ومن الجيش اصبحت من الحوادث اليومية . والموجة الدينية التي تمر على العالم الاسلامي تزيد من معارضة الاكثرية السنية ضد الاقلية العلوية الحاكمة في دمشق . ويحتمل ان تدفع هذه المشكلة الرئيس الاسد وبعض السياسيين

حوله الى اتخاذ قرار حول التهديد بالحرب ضد اسرائيل ، من اجل تهدئة الجو واعادة توحيد المجموعات المتنازعة » (زئيف شيف ، هآرتس ، ١٨/١/٨٠) .

كذلك ترى اوساط اسرائيلية ان الدافع الاساسي الآخر الذي يمكن ان يدفع سوريا نحو القيام بشن حرب ضد اسرائيل ، هو التنسيق مع الاتحاد السوفياتي . وقد اشار وزير الدفاع الاسرائيلي امام لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، الى هذا الاحتمال بقوله . « ان السوريين ربما يعملون حسب طلب السوفيات ، وذلك من اجل تحويل الانظار عما يجري في افغانستان » (معاريف ، ٣٠/١/٨٠) . ويلاحظ ان الجميع في اسرائيل ، من رسميين وعسكريين ومعلقين ، قد تطرقوا الى هذه المسألة بجدية بالغة ، خصوصا على ضوء المعلومات التي تنشرها المصادر الاسرائيلية حول الاسلحة الحديثة والخبراء السوفيات الذين يتدفقون على سوريا . وقد ذكرت هذه المصادر « ان عدد هؤلاء الخبراء يبلغ نحو ١٥٠٠ ضابط وجندي .. يعملون في مجال ارشاد الجيش السوري على استيعاب المعدات العسكرية الجديدة التي تصل من الاتحاد السوفياتي . وهؤلاء الخبراء هم رجال عسكريون من جميع فروع اسلحة الجيش الاحمر . وكما هو معلوم ، فان صفقة شراء الاسلحة بين موسكو ودمشق هي في اوجها ، ولقد استوعب السوريون حتى الان نحو مئة دبابة جديدة من طراز تي ــ ٧٢ ، وطائرات ميغ ــ ٢٥ ، واسلحة جديدة مضادة للدروع ، وبطاريات صواريخ ارض ــ جو . ويلاحظ ان الجهد السوري للتزود بالاسلحة مستمر ، وتشير مصادر موثوق بها في اسرائيل الى ان عدد الدبابات لدى السوريين اصبح يفوق عدد الطواقم الموجودة لديهم . لذلك يبدو ان اتجاههم يتمثل في اقامة مجمعات للمعدات العسكرية ، يمكن استخدامها وقت اشتعال الحرب ، وفقط في المرحلة التي تصل بها قوات دعم من الدول العربية الاخرى . وهذا هو عامل مقلق جدا بالنسبة لاسرائيل ، وذو اهمية كبيرة بالنسبة لميزان القوى » (معاريف ، ١٥/١/٨٠) .

ويتطرق المحللون العسكريون في اسرائيل الى قوة الجيش السوري ، فيذكر احدهم ان « مجرى تعاظم الجيش قد بدأ بعد حرب ١٩٧٣ ، الا انه ازداد كثيرا منذ اتفاقات كامب ديفيد . فعزل مصر والشعور السوري بالعزلة في مواجهة اسرائيل ، قد حث السوريين ... على تطوير قدرتهم الذاتية ضد اسرائيل . والهدف هو الاسراع في تغيير ميزان القوى السلبي مع اسرائيل ، ومن اجل ذلك فهم يستخدمون الاموال التي خصصت لهم في مؤتمر بغداد » (زئيف شيف ، هآرتس ، ١٨/١/٨٠) . ويبدو ان ما « يقلق السوريين منذ سنين هو التفوق الجوي الاسرائيلي الكامل . ولا زال هذا التفوق قائما بالنسبة لنوعية الطيارين الاسرائيليين .. وبالنسبة لنوعية الطائرة الحربية اف ــ ١٥ التي تملكها اسرائيل . [الا انه] من ناحية المعدات احرز سلاح الجو السوري تقدما كبيرا . ففي سنة ١٩٧٩ اضيفت له طائرات ميغ ــ ٢٣ هجومية ، وطائرات ميغ ــ ٢٥ . اضافة الى طائرات سوخوي ــ ٢٢ ، وطائرات ميغ ــ ٢١ ، التي تعتبر نموذجا متقدما جدا . واذا اضفنا الى ذلك بطاريات صواريخ ارض ــ جو ، خصوصا صواريخ جديدة من نوع اس ــ اي ــ ٩ ، ينبغي الافتراض عندها ان السوريين نجحوا في سد الكثير من الثغرات في دفاعاتهم المضادة للطيران . ويجب ايضا عدم تجاهل الزيادة الكبيرة والمنهجية في شراء صواريخ ارض ــ ارض من نوع سكاد وفروغ ، التي تستخدم لديهم كذراع رادعة ضد عمليات القصف الاسرائيلية » . والاستنتاج المترتب على هذه المعطيات هو ان « التهديد الجوي الاسرائيلي لن يكون بالضرورة عاملا حاسما يمنع البدء بحرب استنزاف [مثلا] ، في حال اقتناع القيادة السورية بالمبررات السياسية لخطوة كهذه . فالتهديد الجوي الاسرائيلي لم يمنع نشوب حرب ١٩٧٣ ، ولا ينبغي الافتراض انه سيؤثر حاليا على الاسد ، في الوقت الذي يملك فيه الكثير من الطائرات الجديدة ، ومن الطيارين الجدد » (المصدر نفسه) .

وبالنسبة للقوات البرية السورية ، تذكر المصادر الاسرائيلية ان هنالك اتجاهين بارزين في تطويرها « اولهما تحويل الجيش السوري الى جيش مدرع ، اذ تشير المشتريات الواسعة للدبابات ولمضادات الدروع ، الى الرغبة في الغاء معظم فرق المشاة . ووفقا لعدد الدبابات التي تملكها سوريا ، يمكنها تنظيم ثلاث او اربع فرق مدرعة .. والاتجاه الثاني هو زيادة وحدات الكوماندوس والقوات الخاصة . فالركض السوري وراء شراء الطائرات

المروحية في الشرق والغرب (بالاضافة الى ٥٠ طائرة مروحية من طراز غازيل ، وقعت دمشق على صفقة طائرات اخرى مع باريس) يشهد على الجهد في زيادة القدرة على نقل الوحدات الخاصة ، وعلى الاتجاه الهجومي لدى المخططين السوريين » (المصدر نفسه) .

تمثل الرد الاسرائيلي على تحركات الجيش السوري حتى الان ، في ما اعلنه وزير الدفاع وايزمان من ان اسرائيل مستعدة لجميع الاحتمالات « رغم عدم وضوح نوايا سوريا حتى الان » (معاريف ، ٨٠/١/٣٠) . ويدعي وايزمان ان اسرائيل « ستمتنع عن اتخاذ اية اجراءات حازمة ، كي لا تتهم بتصعيد التوتر في المنطقة الشمالية » (المصدر نفسه) . ورغم تأكيدات بيغن ووايزمان المتكررة ، بأن اسرائيل ليست لديها نية في مهاجمة سوريا ، فقد اصدر وزير الدفاع الاسرائيلي اوامره كي يكون الجيش الاسرائيلي على اهبة الاستعداد (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨١ ، ٧ و٨/٢/٨٠ ، ص ٦) .

ويلاحظ من تصريحات المسؤولين وقادة الجيش الاسرائيليين ان الاحتمال الاقوى الذي يأخذونه بالحسبان هو قيام سوريا بعملية عسكرية محدودة ضدهم ، او تشجيع النشاط الفدائي من الجنوب . فهم يستبعدون ، في غالبيتهم ، امكانية الحرب الشاملة « بسبب وجود نقاط ضعف عديدة في الوضع الاستراتيجي السوري » ـ على حدقولهم ـ ، اولها ، كما يدعي رئيس شعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي يهوشوع سغي ، مشكلة العمق الاستراتيجي . « فسوريا معزولة في العالم العربي بسبب الانقسام بينها وبين العراق ، وعلاقاتها مع الاردن ، رغم كونها غير متدهورة ، فانها غير جيدة . لذلك فان خوض حرب شاملة في ظل شروط ما بعد التوقيع على معاهدة السلام [الاسرائيلية ـ المصرية] يبدو مجازفة كبرى ، لا اعتقد ان السوريين قد يقدمون عليها » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨٢ ، ٨ و٩/٢/٨٠ ، ص ٣) .

كذلك يرى البعض في اسرائيل ان هنالك نقطة ضعف اخرى للقوات السورية المتواجدة في لبنان ، تتمثل في « ضعف دفاعها الجوي ، بحيث يمكن القول انها مكشوفة بمدى كبير لسلاح الجو الاسرائيلي ، الذي يمكن ان تحقق طائراته تفوقا جويا في منطقة لبنان » (زئيف شيف ، هآرتس ٨٠/١/٢٧) .

وتستبعد المصادر الاسرائيلية ايضا قيام سوريا بالبدء بحرب استنزاف ضد اسرائيل من الجولان ، « لان هذه الحرب بمثابة لعبة خطيرة ، لا يمكن ابدا معرفة كيف ستنتهي . اذ ربما ترد اسرائيل على حرب كهذه بقوة كبيرة ، وتجر الجيش السوري في الجولان او في لبنان الى حرب شاملة تلحق به الهزيمة » (المصدر نفسه ، ٨٠/١/٨)

يبقى الاعتقاد السائد ، لدى هذه المصادر ، هو قيام سوريا بتشجيع النشاط الفدائي الكثيف من جنوب لبنان ضد اسرائيل ، وضد الجيب الانعزالي . وحسب تقدير هذه المصادر « يمكن ان يقدم السوريون على تصعيد الوضع العسكري في جنوب لبنان ، بواسطة المبادرة بمعارك جوية مع طائرات اسرائيلية تحلق في سماء لبنان ، وربما يحاولون ايضا توسيع رقعة المواجهة ، بواسطة ارسال قوات لتلك المناطق في الجنوب ، التي لا يتواجد فيها اليوم جنود سوريون ، وذلك من اجل تعزيز قوات [الفدائيين] ، وربما المشاركة في عملياتهم . اما في القطاع الآخر ، اي هضبة الجولان ، فليس من المستبعد ان يسمح السوريون .. بفتح الحدود امام نشاط [الفدائيين] » (يعقوب كروز ، معاريف ، ٨٠/١/١٥) .

بدء عملية تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل

بدأ تنفيذ المرحلة الاولى من تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٦ ، بموجب نص معاهدة السلام بينهما . وتقتصر هذه المرحلة ، في جانبها العسكري ، على انسحاب الجيش الاسرائيلي في سيناء الى خط العريش ـ رأس محمد ، وهو ما بدأ تنفيذه في ١٩٨٠/١/٢٣ ، حيث « بدأت قافلة ضخمة من الدبابات والآليات المدرعة بالانسحاب من المنطقة (٥) نحو الخط الجديد » (هآرتس ، ٨٠/١/٢٤) . وقد تم في اليوم التالي تسليم المنطقة المذكورة ، التي كانت تشمل قاعدة عسكرية ضخمة ، تدعى قاعدة « رفيديم » (بئر جفجافة) ، الى مصر ، « بعد ان اخلى الجيش الاسرائيلي جميع المنشآت والاجهزة ، تاركا وراءه مدرجات لهبوط الطائرات وشبكة من الطرق المعبدة وانابيب المياه » (المصدر نفسه) . وكانت قاعدة « رفيديم » تعتبر قاعدة جوية وقاعدة لوجستية هامة

للقوات الاسرائيلية في سيناء . « فمن الناحية الاستراتيجية كانت تعتبر المنطقة الشمالية ـ ورفيديم من ضمنها ـ المعادة الى مصر الان ، بمثابة اهم منطقة للجيش الاسرائيلي في سيناء . وتنبع هذه الاهمية من التكوين الطبوغرافي للمنطقة ، الذي يمكن الدفاع عن وسط الصحراء ، ويشمل مجالات ممتازة للمناورة في حرب المدرعات . وبعد هذا الانسحاب سينتظم الجيش الاسرائيلي الى الشرق من هذه المنطقة ، وعليه ان يأخذ بالحسبان امكانية نشوب قتال ، يتقدم خلاله الجيش المصري الى الشرق من منطقة « رفيديم » وجوارها ، حيث يمكنه بموجب معاهدة السلام الاحتفاظ بكتيبة ميكانيكية في هذه المنطقة » (افتتاحية دافار ، ٢٣/١/٨٠) .

ويشمل الجانب السياسي من هذه المرحلة ، بدء تطبيع العلاقات بواسطة فتح الحدود البرية بين مصر واسرائيل ، واقامة العلاقات الديبلوماسية بين الطرفين ، ثم فتح خطوط اتصال مباشرة ، والغاء المعاهدات المعادية لاسرائيل من جانب مصر ، على غرار المقاطعة الاقتصادية . وبالفعل فقد اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان في نهاية زيارته الاخيرة الى القاهرة ، التي قام بها قبل ايام من بدء تطبيع العلاقات ، في الرابع والعشرين من كانون الثاني الماضي ، عن افتتاح الخط البري بين رفح ـ العريش ـ قنطرة ، حيث تستطيع السيارات الاسرائيلية العبور عليه وفق القوانين المصرية (دافار ، ٢٥/١/٨٠) .

كذلك تم تطبيع العلاقات في مجال الاتصالات الهاتفية والبريدية بين مصر واسرائيل ، « حيث يمكن طلب محادثة هاتفية مع مصر ، والحصول عليها مباشرة دون مساعدة السنترالات الدولية في زوريخ ومدريد وطوكيو . كذلك اصبحت علاقات التلكس والرسائل مباشرة ايضا » (ايلان كفير ، يديعوت احرونوت ، ٢٥/١/٨٠) .

وبالنسبة للمقاطعة ضد اسرائيل ، فقد اقر مجلس الشعب المصري في تاريخ ٦/٢/١٩٨٠ مشروع قانون يقضي بالغاء المقاطعة الاقتصادية والتجارية والثقافية ضد اسرائيل ، في سياق عملية تطبيع العلاقات بين البلدين (« النهار » ، ٧/٢/٨٠) . وبالنسبة للعلاقات الديبلوماسية ، تقرر تبادل السفراء رسميا بين البلدين في السادس والعشرين من شباط ، ١٩٨٠ . وقد قامت اسرائيل بتعيين يوسف هداس ، نائب المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، مسؤولا مؤقتا في سفارة اسرائيل في القاهرة ، ريثما يتم تبادل السفراء رسميا . وسيكون هداس الرجل الثاني في سفارة اسرائيل في القاهرة . ومن المعلوم ان مدير مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية الياهو بن ـ اليسار سيكون اول سفير اسرائيلي لدى مصر ، بينما عينت مصر سعد مرتضى اول سفير لها في تل ابيب .

ردود الفعل الاسرائيلية على بدء تطبيع العلاقات

رحبت اسرائيل بحماس بالغ ببدء مرحلة تطبيع العلاقات مع مصر ، خصوصا وان السادات امر رئيس حكومته ،مصطفى خليل، ببدء التطبيع الكامل في العلاقات ابتداءا من الخامس عشر من شباط (فبراير) ١٩٨٠ ، اي انه « ابتداءا من هذا التاريخ تبدأ المفاوضات بين البلدين حول ابرام اتفاقات بشأن الطيران والتجارة والثقافة » (معاريف ، ٢٧/١/٨٠) ، وعدم تأجيلها حتى السادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٨٠ ، كما نصت عليه معاهدة السلام .

رغم هذا الترحيب الاسرائيلي ببدء عملية تطبيع العلاقات ، فان هنالك تخوفا ظاهرا في اسرائيل من ان يؤدي فشل مفاوضات الحكم الذاتي الى شل مجرى التطبيع بين البلدين . « صحيح انه ليس هنالك ربط رسمي بين الامرين ، الا انه ما من شك بان الربط الواقعي قائم .. فالعاملون في مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية ، ووزارة الخارجية المصرية ، لا يخفون ذلك ، وحسب قولهم فان معظم المواضيع المتعلقة بالتطبيع ليست اتوماتيكية ، وانما تلزمها مفاوضات ستدوم حوالى ستة اشهر .. ويقولون ايضا انه يحتمل دائما حدوث تراجع جزئي عن اتفاق السلام ، الى وضع سلام جزئي او [وضع] لا ـ سلام ولا ـ حرب ، في حال فشل المفاوضات حول الحكم الذاتي ، وفي حال استمرار اسرائيل بالاستيطان وبسياستها الحالية تجاه المناطق » (دانييل بلوخ ، دافار ، ٢٥/١/٨٠) .

والامر الثاني الذي يقلق الاسرائيليين هو المعارضة داخل مصر لعملية تطبيع العلاقات مع اسرائيل . وقد تحدث حول هذه المسألة بعض كبار اساتذة معهد شيلوح ، الذين زاروا مصر للاطلاع على الواقع المصري ، رسميا وشعبيا ، فيما يتعلق

بمعاهدة السلام مع اسرائيل . ففي مقابلة مع صحيفة معاريف (٨٠/١/٢٥) تحدث البروفسور حاييم شيكو حول السلام مع مصر بقوله . « ان مجرى السلام ، من الناحية المصرية ، ما زال يقتصر على فئة محدودة في القيادة المصرية . انني بالتاكيد استطيع ان اتصور وضعا ، وهو انه في حال اعتزال السادات الحكم ، او اتخاذه قرارا بشأن تغيير موقفه الحالي كليا ، فان المجموعة صاحبة القرار ، ومعها الشعب المصري كله ، سيتكيفوا مع الخط الجديد . لن تحدث هنالك اضطرابات في الشوارع ، ولن تقوم حركة على غرار حركة « السلام الآن » (المصدر نفسه) .

ويتحدث البروفسور ايتمار رابينوفيتش ، فيقول . « للمصريين مشاكلهم في مجرى التطبيع . فهنالك حساسية بالغة لديهم فيما يتعلق بردود فعل العالم العربي حول فتح السفارات في تل ابيب والقاهرة ، او هبوط طائرات ال ــ عال في القاهرة . وهذه الحساسية والمخاوف الكبيرة قائمة لدى الرسميين ــ مثل الخوف من ان يقطع العالم العربي اتصالاته الجوية مع مصر ــ ولدى الاشخاص العاديين ايضا » (المصدر نفسه) .

ويتطرق البروفسور ايلي ريخس الى مسألة تطبيع العلاقات على المستويين الرسمي والشعبي ، فيقول . « ثمة تمييز هام جدا . فالحكومة بفعل التزامها في اتفاقات كامب ديفيد وفي معاهدة السلام مع اسرائيل ، لا تملك مجالا واسعا للمناورة ، وعليها تنفيذ ما التزمت به . الا ان هذا الالتزام غير مفروض على الانسان المصري ، وعلى المؤسسة العامة عو على المسرح المصري . فهؤلاء معفيون وغير ملزمين بالمشاكرة في تنفيذ التزامات الحكومة ، اي المشاركة في مجرى تطبيع العلاقات . فاذا لم يكن هنالك مهرب من فتح سفارة اسرائيلية في القاهرة ، وفتح سفارة مصرية في تل ابيب، فسينفذ هذا الامر . الا ان جماعات اكاديمية او اخرى تتعاطى البحث ليست مضطرة لاقامة علاقات مع هيئات اسرائيلية » (المصدر نفسه) .

ويؤكد اساتذة معهد شيلوح اولئك وجود معارضة قوية في مصر لمعاهدة السلام مع اسرائيل . ويقول البروفسور رابينوفيتش ، مثلا . « تتكون الطبقة السياسية النشطة [في مصر] من ثلاث فئات . اولا ، الفئة القوية المتماثلة مع سياسة السادات ، ثانيا ، الفئات المعارضة للنظام يسار ، اسلاميون ، راديكاليون ، وناصريون . ثالثا ، مجموعات الوسط التي تنتقد النظام وسياسته فيما يتعلق بحجم التنازلات لاسرائيل ، والارتباط بالولايات المتحدة . وهذه المجموعات غير راضية عن تطبيع العلاقات ، الا انها لا تمارس نشاطات معارضة فعلية . وطالما ان قيادة الجيش المصري تنتمي الى الفئة الاولى ، وتتماثل مع الحكم ، فان السياسة المصرية ترتكز على قاعدة قوية جدا » . ويوجز البروفسور شيكو تحليلاته للوضع المصري بقوله . « هنالك الكثير من المصريين القلقين ــ وبحق ــ من الاجواء بين الاجيال الشابة . فهذه الاجيال نشأت وتربت في نهاية الفترة الناصرية ، وهي تختلف جدا عن الجيل القديم من المصريين . لديها انفتاح اكبر ، وتتحدث بلغة اكثر قبولا وفهما بالنسبة لنا . الا انه في استطاعتها ان تكون اكثر تطرفا من ابناء الاجيال القديمة ، فيما يتعلق بتوجيه النقد الى الحكم . وثمة دلائل مقلقة لغليان اسلامي بين الطلاب ، يثير قلقا كبيرا لدى النظام المصري » .

لا جدوى العلاقات الاقتصادية

مع بدء تطبيع العلاقات ، بدأت اسرائيل تخطط وتضع مختلف البرامج لاقامة علاقات اقتصادية وتجارية وغيرها مع مصر . وتشير دراسة اجراها معهد الدراسات الاستراتيجيه التابع لجامعة تل ــ ابيب ، الى انه « من غير المحبذ تركيز التعاون بين مصر واسرائيل على المجال الاقتصادي . فاسرائيل لا تملك ما يمكن عرضه على مصر في هذا المجال ، خصوصا الموارد الكافية والملائمة لحجم الاستثمارات المطلوبة في مصر ، وربما تتحول الى كبش المحرقة في حال فشلها . كذلك ثمة خطر للتعاون بين اوساط مضاربة [في الاسواق المالية] يمكن ان تتجاوز القانون ، فتلحق اضرارا باسرائيل » (هآرتس ، ٨٠/١/٢) .

ومقابل وجهة النظر السلبية فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي ، فان الدراسة تشير الى فائدة التعاون الزراعي بين البلدين ، وذلك « بفضل الميزة النسبية التي تملكها اسرائيل ، وبسبب حجم التعاون المحدود الذي يمكن ان يقلل من احتمال الفشل ، وكذلك بسبب الطاقة البشرية في مصر » (المصدر نفسه) .

وانطلاقا من تجارب اسرائيل في التعاون مع دول

افريقية وغيرها ، وبموجب دراسات مختلفة ، تحذر الدراسة من الاعتقاد بانه يمكن « تكبيل يدي مصر » ، والزامها باقامة علاقات مع اسرائيل ، تصمد امام ضغوط اقليمية او سواها « ان الدرس الاساسي من تجارب الماضي .. هو انه رغم اهمية علاقات التعاون بين الدول ، فان قيامها لا يضمن سلاما حقيقيا » (المصدر نفسه) .

على اي حال ، فقد بدأ الخبراء الاسرائيليون يحللون امكانيات التعاون بين اسرائيل ومصر ، وحسب قول احدهم فان هنالك ثلاثة اشياء يمكن لمصر ان تزود بها اسرائيل . النفط ، المياه والطاقة البشرية . « بالنسبة للنفط .. فان اسرائيل مهتمة بشراء كميات كبيرة منه ، وقد تم الاتفاق على شراء ربع الاستهلاك الاسرائيلي من النفط [من مصر] ، حيث ستدفع اسرائيل ثمنه نحو نصف مليار دولار واكثر في السنة . وبالنسبة للمياه ، فان طاقة اسرائيل تقل عن مليارى متر مكعب في السنة ، وجميعها مستغل تقريبا ، بينما تملك مصر فائضا .. يبلغ حسب التقدير الاسرائيلي نحو ١٠ مليار متر مكعب سنويا .. الا ان السؤال الذي يطرح نفسه هنا . كم سيكون ثمن المياه التي ستقطع مئات الكيلومترات من النيل الى جنوب اسرائيل ، [النقب] ؟... ومن اين ستتوفر مليارات الدولارات المطلوبة لتنفيذ هذا المشروع ؟ واضح ان اسرائيل ومصر لا تملكان الامكانات المطلوبة لذلك . والسؤال الثاني . متى سنصل الى علاقات كهذه مع مصر ، بحيث يمكن ضمان استمرار حصولنا على هذا العامل الانتاجي ، الذي ستبنى عليه شبكة انتاجية واسعة في الجنوب ، يمكن ان تضاعف انتاج اسرائيل الزراعي » (اسحاق طاوب ، معاريف ، ٨٠/١/٧) .

وبالنسبة للطاقة البشرية ، فان « الجوهر الصهيوني لاسرائيل يمكن ان يغرق في بحر العمال المصريين ذوي الاجر المنخفض . واذا كان بضع عشرات من الآلاف من عمال المناطق المحتلة قد سبب تقهقر اسرائيل الى الوراء تكنولوجيا ، فكيف سيكون الحال مع عرض بمئات الآلاف من العمال المصريين الرخيصين . هذا بالاضافة الى نواة النزاع الانساني ـ الاجتماعي الكامن في مجرى تصدير الطاقة البشرية (العادية) في اسرائيل » (المصدر نفسه) .

يستنتج من هذا التحليل ، ومن تحليلات اخرى مماثلة صدرت في اسرائيل مؤخرا ، ان النشوة الاسرائيلية فيما يتعلق « باحتلال » السوق المصري ، وبناء علاقات اقتصادية متطورة ، ليس لها ما يدعمها في المستقبل القريب على الاقل . فالاستثمارات المطلوبة في مصر تفوق امكانات اسرائيل في وضعها الاقتصادي الحالي المتازم ، وما يمكن ان تقدمه مصر من نفط ومياه وطاقة بشرية على سبيل المثال ، يكلف اسرائيل مليارات الدولارات من جهة ، ويؤدي الى تازيم الوضع الاجتماعي والاقتصادي من جهة اخرى . والنتيجة ان الفائدة الكبرى من وراء عملية تطبيع العلاقات تكمن في المجال السياسي ، اكثر منها في المجالات الاخرى ، خصوصا الاقتصادية والاجتماعية .

النموذجان المصري والاسرائيلي في مفاوضات الحكم الذاتي

لم تحرز الجولة التاسعة من مفاوضات الحكم الذاتي ، التي عقدت في اواخر كانون الثاني (يناير) الماضي ، في هرتسليا في اسرائيل ، اي تقدم يذكر في حل الخلافات المستعصية بين الوفدين الاسرائيلي والمصري . وقد عقدت هذه الجولة برئاسة كل من رئيسي الوفدين الاسرائيلي والمصري ، يوسف بورغ ومصطفى خليل ، وبمشاركة المبعوث الاميركي الخاص لمفاوضات الحكم الذاتي صول لينوفيتش ، الذي زار القاهرة قبل وصوله الى اسرائيل ، للاطلاع على حقيقة مواقف البلدين في المفاوضات الدائرة .

وقد سبق انعقاد الجولة التاسعة هذه من مفاوضات الحكم الذاتي ، تقديم نموذجين من جانب كل من اسرائيل ومصر ، بناءا على توصيات الجولة السابقة من المفاوضات . وقام رئيس الوفد الاسرائيلي في لجان العمل لمفاوضات الحكم الذاتي حاييم كوبرسكي ، بتقديم النموذج الاسرائيلي خلال اجتماعات لجان العمل هذه في القاهرة ، في منتصف كانون الثاني (يناير) الماضي . ويحمل النموذج الاسرائيلي عنوان « اقتراح نموذج للحكم الذاتي الكامل لعرب ارض اسرائيل ـ سكان اليهودية والسامرة وقطاع غزة » ، ويوضح ان نية اسرائيل تتمثل في نقل مجالات عمل مختلفة للمجلس الاداري ، معظمها في الحقل المدني ، كما تنص عليه اتفاقات كامب ديفيد . وتشمل الوثيقة الاسرائيلية

توزيعا مفصلا لتلك المجالات ، التي تكون بها اسرائيل مستعدة لمنح « حكم ذاتي كامل » للسكان ، وللمجالات الاخرى التي تنوي اسرائيل الاستمرار في التحكم بها بمشاركة مؤسسات الحكم الذاتي ، واخيرا المجالات التي لا تستطيع التنازل عنها ابدا ، بحيث يبقى التحكم بها من اختصاصها فقط (ايلان كفير ، يديعوت احرونوت ، ٨٠/١/٢٠) .

ومن خلال النظر الى النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي كما نشرته وسائل الاعلام الاسرائيلية ، تتضح الصورة الاتية .

☐ مصدر الصلاحيات . الحكم العسكري .

☐ عدد اعضاء المجلس الاداري ١١ عضوا .

☐ المجالات التي تبدي بها اسرائيل استعدادا لتوكيلها الى المجلس الاداري . الزراعة ، الصحة ، الاديان ، العمل والانعاش ، الصناعة والتجارة ، الاموال ، المواصلات والاتصال ، التعليم والثقافة ، الخ .

☐ المجالات التي ستحتفظ اسرائيل بالسيطرة عليها بصورة كاملة . الامن ، الامن الداخلي ، التشريع الاساسي ، الاراضي ، المياه ، الطاقة ، العملة ، الرقابة على الحدود ، العلاقات الخارجية .

☐ بالنسبة للشرطة المحلية ، التي نصت على قيامها اتفاقات كامب ديفيد ، فان مجال عملها يقتصر ، وفق النموذج الاسرائيلي ، على المحافظة على النظام الداخلي ، وتنظيم حركة السير ، وما شابه ذلك .

☐ يتضح من الوثيقة الاسرائيلية ان اسرائيل تنوي التدخل ايضا حتى في المجالات الخاصة ــ وفق مفهومها هي ــ بالمجلس البلدي ، انطلاقا من « مفهوم الحياة المشتركة بين العرب واليهود » . مثلا ، في مجال التسويق الزراعي ، ووجوب التنسيق بين المجلس الاداري وبين مجلس تسويق الحمضيات في اسرائيل ، وذلك من اجل تعيين نسب محددة لحجم الزراعة في هذا الفرع ، وايجاد طرق لتسويقه في الخارج ، وبصورة مباشرة في الدول العربية .

☐ بحسب النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي لن تكون هنالك حدود قائمة بين الحكم الذاتي وبين اسرائيل ، وسيكون الوضع مشابها لما هو عليه اليوم . ومن اجل منع اية محاولة من جانب مؤسسات الحكم الذاتي للتعبير عن اي شعور بالاستقلال الوطني ، فان الوثيقة الاسرائيلية تعارض حتى اصدار الطوابع البريدية ، او اصدار العملات . « وبواسطة هذا الحظر ، فانها ، اي اسرائيل ، تضمن عدم حدوث مفاجأة لها في احد الايام ، بواسطة اصدار طابع بريدي يحمل صورة ياسر عرفات ، مثلا » .

☐ ستحتفظ اسرائيل بسيطرتها الكاملة على مجالات البث الاذاعي والاعلامي . « اذ ان اذاعة مستقلة في الحكم الذاتي يمكن ان تتحول الى اداة للتحريض .. [كذلك] فان الصحف ستكون خاضعة للرقابة الاسرائيلية . وستسري قوانين الرقابة على هذه الصحف ، تماما كما تسري على الصحف الاسرائيلية . كذلك فان اعطاء رخصة لاصدار صحيفه ، ستكون من صلاحيات اسرائيل المطلقة » .

☐ فيما يتعلق بالمياه ستكون اسرائيل ــ وفق نموذجها ــ هي المسؤولة عن توزيع الموارد في المناطق المحتلة . الا انها « تقترح تنسيقا وعملا مشتركا مع سلطة الحكم الذاتي . كذلك ، هنالك مجالات اخرى تقترح بها مثل هذا التنسيق والعمل المشترك ، على غرار تسجيل السكان ومراقبة الدخول والخروج من المناطق ، مثلا على جسور الاردن ، ثم المسؤولية على الاماكن المقدسة والاملاك المتروكة .

☐ بالنسبة « لاراضي الدولة » في الضفة الغربية ــ كما تسميها الوثيقة ــ فانها ستخضع للسيطرة الاسرائيلية المطلقة . اذ ان « استمرار السيطرة على هذه الاراضي ، سيمكن اسرائيل من اقامه مستوطنات اخرى في المستقبل، وتوسيع المستوطنات القائمة ، وتخصيص مناطق للتدريب للجيش الاسرائيلي » . وحسب النموذج الاسرائيلي ، ستكون اسرائيل ايضا هي المسؤولة عن السكان اليهود والاستيطان في المناطق ، اي ان المستوطنات لن تكون خاضعة لسلطة الحكم الذاتي . وهذا الامر نابع من مفهوم اسرائيل بان الحكم الذاتي يسري على السكان وليس على المناطق (يديعوت احرونوت ، ٨٠/١/١٨ و٨٠/١/٢٠) .

وقد رفضت مصر بشدة النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي ، حيث اعلن ناطق بأسمها ، ان

المقترحات الاسرائيلية لن تؤدي فقط الى عدم التقدم في المفاوضات ، وانما ستحدث تراجعا الى الوراء . واضاف الناطق ان مقترحات اسرائيل ترتكز على خطأ اساسي وهو تحويل جزئي ، وليس كاملا ، لصلاحيات الحكم العسكري الاسرائيلي الى المجلس الاداري ، كما تنص اتفاقات كامب ديفيد (هآرتس ، ١٧/١/٨٠) .

ولم تكتف مصر برفض النموذج الاسرائيلي ، وانما تقدمت ايضا بنموذج خاص بها ، يمكن تلخيص بنوده بالفقرات التالية ، كما عرضها رئيس لجان العمل المصرية في مفاوضات الحكم الذاتي عزت عبد اللطيف

☐ ان الحكم الذاتي هو لفترة انتقالية مدتها خمس سنوات ، يتم في نهايتها ضمان حق تقرير المصير لسكان المناطق المحتلة دون اي تدخل خارجي .

☐ يجب عدم الفصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، او الفصل بين هاتين المنطقتين وبين القدس الشرقية .

☐ ان الحكم الذاتي سيحل مكان الحكم العسكري ، وسيتألف من مجلس تشريعي يتراوح عدد اعضائه بين ٨٠ ــ ١٠٠ شخص ، يجري انتخابهم في انتخابات عامة ، حيث ينتخبون فيما بعد من بينهم مجلسا مؤلفا من ٥ ــ ١٠ اشخاص . وحسب قول المصريين ، تحدد اتفاقات كامب ديفيد بصورة واضحة وجوب انسحاب الحكم العسكري الى اماكن محددة ، لاخلاء المنطقة لمؤسسات الحكم الذاتي .

☐ يكون لهيئة الحكم الذاتي صلاحيات تشريعية وتنفيذية ، ومجال عملها هو الادارة المدنية والمشاركة في المفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية .

☐ يتم تحديد متطلبات الامن للاطراف خلال فترة السنوات الخمس ، على اساس متبادل . ولم يتطرق المصريون ابدا الى وجود الجيش الاسرائيلي في المناطق

☐ ان اشتراك مصر والاردن في تحقيق الحكم الذاتي ، سيكون نابعا من مسؤوليتهما في الماضي تجاه المناطق المحتلة .

☐ تحتفظ مصر بحقها في ضم فلسطينيين من المناطق ، او آخرين ، الى وفدها .

☐ ان جميع التغييرات في المركز القانوني والجغرافي للمناطق المحتلة ملغاة .

☐ لن يشارك المستوطنون الاسرائيليون في المناطق المحتلة في الانتخابات لمؤسسات الحكم الذاتي .

☐ يكون مقر مؤسسات الحكم الذاتي في القدس الشرقية (اريه تسيموكي ، يديعوت احرونوت ، ٢٥/١/٨٠) .

وبالطبع ، فقد رفضت حكومة اسرائيل النموذج المصري المذكور ، مدعية انه يشكل خطرا على امنها (هآرتس ، ٢٩/١/٨٠) . واعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية بيغن ، ان قبول المقترحات المصرية يمكن ان يخلق ممرا يؤدي الى دولة فلسطينية ، وان هذه المقترحات مخالفة تماما لنص اتفاقات كامب ديفيد (هآرتس ، ١٨/١/٨٠) .

ربط الموقف الاميركي من الحكم الذاتي بالسياسة الاميركية في المنطقة

يلاحظ ان الطرفين . الاسرائيلي والمصري ، باتا يعلقان اهمية خاصة على الموقف الاميركي في المفاوضات المقبلة حول الحكم الذاتي . وحتى الان لم يتقدم الوفد الاميركي للمفاوضات باقتراحات محددة ، او على الاقل لم ينشر شيئا حول مقترحات كهذه في اسرائيل . الا ان المصادر الاسرائيلية تتوقع اقتراحات اميركية في المستقبل القريب ، خصوصا وانه من المفروض الانتهاء من المفاوضات حتى ٢٦ ايار (مايو) المقبل .

ويلاحظ من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ، وتحليلات الخبراء السياسيين ، ان اسرائيل قلقة جدا من الموقف الاميركي ، خصوصا بعد التصريحات الاخيرة التي صدرت عن مسؤولين اميركيين حول « مصلحة » الولايات المتحدة في انجاح مفاوضات الحكم الذاتي ، كوسيلة لتسهيل تنفيذ سياستها الدفاعية في الشرق الاوسط ، عقب التطورات الاخيرة في ايران وافغانستان . فقد اعلن ، مثلا ، المبعوث الاميركي الخاص لمفاوضات الحكم الذاتي صول لينوفيتش . « ان الاستراتيجية الاميركية الجديدة في الشرق الاوسط لن تكون فعالة ، اذا لم يتوفر حل للنزاع العربي ــ الاسرائيلي .

لذلك ، فقد اثبتت التطورات الاخيرة ، ان الحاجة الى ايجاد حل للنزاع ، باتت ذات اهمية حاسمة ، ليس فقط من اجل الاستقرار في المنطقة ، وانما ايضا من اجل المصالح الحيوية للولايات المتحدة بها » (هآرتس ، ٨٠/١/١٨) . وفي معرض تحليل المراقبين في اسرائيل لتصريح لينوفيتش هذا ، يذكرون ان الصلة التي توجدها الادارة الاميركية بين الاحداث الاخيرة وبين محادثات الحكم الذاتي ، هي العنصر الاساسي في هذا التصريح . ومن هنا ينبع القلق في اسرائيل من الموقف الاميركي في المفاوضات المقبلة .

لقد حاولت اسرائيل استغلال الاحداث الاخيرة في المنطقة ، خصوصا في افغانستان وايران ، لمصلحتها ، وذلك على صعيدين . اولا ، تعميق تحالفها مع الولايات المتحدة ، والاندماج في استراتيجيتها الدفاعية في الشرق الاوسط . ثانيا ، استغلال احداث افغانستان وايران للتعتيم على القضية الفلسطينية ، واثبات ادعاءاتها للولايات المتحدة وللدول الغربية الاخرى خصوصا ، بان هذه القضية ليست المشكلة الرئيسية او سبب عدم الاستقرار في المنطقة ، كما يسود الرأي في هذه البلدان .

الا ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الاخيرة ، ومحاولاتهم الدفاع عن سياسة حكومتهم ، سواء فيما يتعلق « بعرض خدماتهم » على الولايات المتحدة ، والاندماج في سياستها الدفاعية في المنطقة ، او فيما يتعلق بموقفهم من القضية الفلسطينية ، كما ينعكس في مفاوضات الحكم الذاتي ، لا تنم عن ارتياح ظاهر على الاقل لديهم ، وكما يبدو ، لقلة التجاوب الاميركي مع سياستهم . فالولايات المتحدة لم تستجب ، علنا على الاقل ، للدعوات الاسرائيلية « المتعلقة بعرض خدماتها وموانئها وقواعدها الجوية للعمل العسكري الاميركي .. وصدق الوزير شموئيل تامير الذي اعلن اثناء زيارته الاخيرة الى واشنطن ، ان الولايات المتحدة ليس لديها الان سبب خاص للتلويح بعلاقاتها الخاصة مع اسرائيل . فاللعبة الكبيرة لدى الادارة الاميركية الان ، هي الوصول الى تفاهم مع الدول الاسلامية في الشرق الاوسط ، وفي الخليج الفارسي من اجل صد السوفيات . وهذا الامر لا يرتبط بالضرورة بالتخلي عن اسرائيل ــ اذ اعلن وزير الدفاع الاميركي ان زعماء بلده يعرفون انه بالامكان الاعتماد عليها وقت الضرورة ــ الا انه يجب على اسرائيل ان تقف الان في الظل » (يوئيل ماركوس ، هآرتس ، ٨٠/١/١٨) .

وربما يعبر حديث رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل ابيب ، اهرون ياريف ، لمجلة الجيش الاسرائيلي (بمحانيه ، ٨٠/١/١١ ، ص ٥) ، عن الاستياء الكبير لدى بعض الدوائر الاسرائيلية من السياسة الاميركية هذه . يقول ياريف . « لم نكن يوما ــ كما يعتقد الكثيرون خطأ ــ ملكا استراتيجيا للولايات المتحدة . لم ار حتى هذا اليوم وثيقة او تصريحا لشخصية اميركية مسؤولة ، يقول ان اسرائيل هي المعقل الاستراتيجي للولايات المتحدة في الشرق الاوسط . ادعى الاميركيون طوال الوقت ، ان مصلحتهم في اسرائيل تكمن في التزامهم الاخلاقي تجاهها . صحيح انه ذكرت ايضا قضية المصلحة الاستراتيجية ، الا ان الاكثرية في الحكومة الاميركية لا ترى ، ولم تر ابدا ان لها مصلحة كهذه في اسرائيل » .

وتحدث كذلك حول هذه المسألة البروفسور نداف سفران ، احد الخبراء بقضايا الشرق الاوسط في الولايات المتحدة ، وهو مواطن اسرائيلي سابقا ، وصاحب نفوذ بين الاوساط الحاكمة في واشنطن . يقول سفران في مقابلة مع يديعوت احرونوت (٨٠/١/١٨) . « على اسرائيل الا تتملكها الاوهام ، فليس لها اي دور فعال ومركزي في النظام الاستراتيجي الجاري ، الذي ستقيمه الولايات المتحدة بعد احداث ايران وافغانستان. ولا ينبغي الاستنتاج من ذلك ان اسرائيل لم تعد ملكا هاما في نظر الحكومة الاميركية ، بل العكس . ان اهمية اسرائيل هي كبيرة جدا من وجهة النظر الاميركية ، ولكن ليس كشريك فعال في الاجراءات الجارية المرتبطة بالازمة الحالية . انها بمثابة الحصن الاخير الذي ستعتمد عليه الولايات المتحدة ، في حال فقدانها كل اوراقها لدى حلفائها المسلمين ، عندئذ تستطيع الاعتماد على اسرائيل في كل ضائقة تحل بها » .

ويبدو ، من حديث المسؤولين الاسرائيليين ، انه ليس المطلوب فقط من اسرائيل حاليا « الوقوف في الظل » ، وانما مساعدة الولايات المتحدة على تحقيق استراتيجيتها الدفاعية في المنطقة ، بواسطة المساهمة في ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، الامر

الذي من شأنه ان يخرج مصر من عزلتها العربية ، ويكسب الولايات المتحدة رضى الدول الاسلامية « المعتدلة » في المنطقة ، فتوافق على الانخراط الفعال في المخططات الاميركية . وقد تحدث وزير الخارجية الاسرائيلي السابق موشي دايان حول السياسة الاميركية في هذا الشأن بقوله . « ان الاميركيين مهتمون الان بتحييد المشكلة الفلسطينية قدر الامكان . لماذا ؟ لكي لا يضطروا الى مواجهة التنافس الذي تطرحه امامهم الدول العربية ، التي تقول « اذا كنتم اصدقاء لاسرائيل ، فأنتم اعداء لنا » . وتستطيع اميركا تحقيق تحييد المشكلة ، في حال تحقيق تسوية فقط ، جزئية على الاقل ، للقضية الفلسطينية . واذا لم تتحقق تسوية كهذه ، فالمطلوب على الاقل خفض التوتر القائم حول هذه القضية » (من مقابلة مع موشي دايان ، يديعوت احرونوت ، ١٨/١/٨٠) .

وتلاحظ الاوساط الاسرائيلية ان النظام المصري يشارك الولايات المتحدة رأيها هذا ، والوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها « تخفيف التوتر القائم حول القضية الفلسطينية» هو تحقيق تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي ، « لان تقدما كهذا من شأنه ان يفتح منفذا بعد خمس سنين ، لحل المشكلة الفلسطينية ، بشكل يمكن ان يلقى قبولا على الاقل ، لدى العرب « المعتدلين » . خصوصا اولئك الذين يخشون هم انفسهم من قيام دولة فلسطينية مستقلة ، ويفضلون الحل الاردني للمشكلة » (اريئيل غيناي ، يديعوت احرونوت ، ١٨/١/٨٠) .

ومن هنا ينبع قلق المسؤولين الاسرائيليين من احتمال قيام الولايات المتحدة بالضغط عليهم لتغيير موقفهم في مفاوضات الحكم الذاتي . وهم يبذلون جهدهم الان للتوضيح للحكومة الاميركية خطأ تقديرها وسياستها هذه . فرئيس الحكومة بيغن يرفض التراجع عن موقفه حول الحكم الذاتي ، متمسكا بالنموذج الاسرائيلي ، لانه — على حد تعبيره — « يرفض دون اي تحفظ ، ليس فقط قيام دولة فلسطينية ، وانما ايضا انشاء ممر يمكن ان يؤدي اليها . ولو قامت دولة فلسطينية كهذه ، لتحولت خلال زمن قصير ، الى قاعدة سوفياتية .. لان ما حدث في افغانستان يمكن ان يحدث في منطقتنا ايضا ، الامر الذي يشكل خطرا على حقيقة وجودنا . كذلك فان قاعدة سوفياتية ستشكل خطرا على العالم الحر » (هآرتس ، ١٧/١/٨٠) .

اما نائب بيغن ، يغئال يادين ، فقد اعلن ان الولايات المتحدة « تخطىء كثيرا في ربطها حل المشكلة الفلسطينية مع مشاكلها في ايران وافغانستان » (هآرتس ، ٢٠/١/٨٠) . وبحسب قوله فان « حل المشكلة الفلسطينية لا يوفر حلا لمشاكل الولايات المتحدة الدولية . فالسوفيات يواصلون تقدمهم نحو مصادر النفط في الشرق الاوسط ، واقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة لن يؤثر على انتاج صفيحة واحدة من النفط » (المصدر نفسه) .

على اي حال ، يلاحظ ان المصادر الاسرائيلية باتت تعلق اهمية كبيرة على الموقف الاميركي في مفاوضات الحكم الذاتي الذي لم تظهر ملامحه كاملة بعد . وقد اكتفت هذه المصادر حتى الان بالتعليق على التصريحات الاخيرة الصادرة عن المسؤولين في الادارة الاميركية ، والتي تطالب اسرائيل بطرح افكار جديدة في مفاوضات الحكم الذاتي . وقد لخص رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق اسحاق رابين هذا الوضع بقوله . « ينبغي الافتراض اننا سنتوقع مطالب اميركية كثيرة ومتزايدة من اسرائيل للتقدم في موضوع الحكم الذاتي . ويمكن الافتراض ، ان ضغوطا حقيقية على اسرائيل ، ستؤجل الى ما بعد انتخابات الرئاسة الاميركية » (اسحاق رابين ، يديعوت احرونوت ، ٢٥/١/٨٠) .

حنه شاهين

قضايا دولية

عودة عسكريه اميركيه
الى الشرق الاوسط

في كل مرة يعود فيها الشرق الاوسط الى الواجهة في مسائل السياسة الخارجية الاميركية ، يكون هدف الولايات المتحدة الرئيسي من هذا الاهتمام متعلقا بالوضع الاستراتيجي ، وبالتحديد بمحاولة اقامة احلاف ثنائية ، متعددة الأطراف ، تحت قيادة واشنطن ، أو بمحاولة تثبيت وجود عسكري أميركي مباشر في صورة قواعد .. أو « تسهيلات » عسكرية .

وخلال الاسابيع الماضية عاد الشرق الاوسط الى الواجهة في مسائل السياسة الخارجية الاميركية ، بصورة تتجاوز في مداها وحجمها كل ما يمكن ان ينسب الى التطورات التي حدثت في افغانستان في الاسابيع الأخيرة من العام الماضي . وفي رسالة « حالة الاتحاد » التي القاها الرئيس الاميركي جيمي كارتر امام الكونغرس ، يوم ٢٤ كانون الثاني (يناير) الماضي ، احتلت قضايا السياسة الخارجية ثلثي وقت الخطاب واحتلت مسألة الشرق الاوسط (النفط ، امن الخليج ، أمن اسرائيل ، وعملية السلام الاميركية في المنطقة) اكثر من ثلثي قضايا السياسة الخارجية . حتى عندما تناول كارتر العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها (اوروبا الغربية وكندا واليابان) ربطها اساسا بالموقف الراهن في الشرق الاوسط واحتمالات تطوره .

ولكن السّمة ذاتها ـ سمة الاهتمام بالاحلاف أو القواعد العسكرية ـ صاحبت هذا التركيز الأميركي على الشرق الاوسط بصورة ربما لم تعرفها السياسة والاستراتيجية الأميركية منذ اوائل الخمسينات .

لم يكن هذا خافيا في مضمون خطاب كارتر عن « حالة الاتحاد » ، حيث وصف « التدخل السوفياتي » في افغانستان بانه «يمكن ان يشكل اخطر تهديد للسلام العالمي منذ الحرب العالمية الثانية » . وربط هذا التهديد باعتماد الولايات المتحدة وحلفائها على النفط «الأجنبي »وبناء على هذا التصور فانه ناشد دول منطقة الخليج (الفارسي) وكذلك حلفاء الولايات المتحدة ان تدرك « ان الوضع ... يتطلب جهودا جماعية لمواجهة هذا التهديد الجديد للأمن في الخليج (الفارسي) وجنوب غرب اسيا . ويتطلب مشاركة أولئك الذين يعتمدون على النفط من الشرق الأوسط ، واولئك الذين يعنيهم السلام والاستقرار العالميان . كما يتطلب تشاورا وتعاونا وثيقا مع بلدان في المنطقة قد تتعرض للتهديد » .

واضاف كارتر ان مواجهة التحدي « ستحتاج الى ارادة قومية ، وحكمة دبلوماسية وسياسية ، وتضحية اقتصادية ، وبطبيعة الحال قدرة عسكرية . ان علينا ان نعد افضل ما لدينا للحفاظ على امن تلك المنطقة الحرجة » . كما ذكر « ان اية محاولة من قبل اي قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج ستعتبر اعتداء على مصالح حيوية للولايات المتحدة ، وسيتم الرد عليها باستخدام كافة الوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية » .

ودعا كارتر على هذا الاساس الى العمل مع بلدان

المنطقة لوضع « اطار تعاون أمني » . وقد اوضح مسؤول في البيت الأبيض الأميركي في اليوم نفسه (١/٢٤) ان هذا الاطار سيتضمن ترتيبات مختلفة ، لأن البعض لا يريد ارتباطات امنية مباشرة مع الولايات المتحدة .

وعلى الرغم من ان عبارات كارتر في هذا الخطاب السنوي واضحة الدلالة على ان الولايات المتحدة معنية من جديد ، وبتركيز شديد ، باقامة علاقات عسكرية ثابتة مع بلدان الشرق الأوسط ، وخاصة الخليج ، رغم استخدامه تعبيرات مغلفة من نوع « اطار تعاون امني » ، « جهود جماعية لمواجهة التهديد » ، فان التفسيرات الأميركية والغربية التي تضمنتها التعليقات المختلفة مع خطاب « حالة الاتحاد » تلقي مزيدا من الضوء على معانيه ومقاصده .

وعلى سبيل المثال فقد كتب جيمس ريستون كبير معلقي صحيفة « نيويورك تايمز » (٢٦ ــ ١/٢٧) يقول ان كارتر أوضح في خطابه « ان الولايات المتحدة ترسم الآن خطا فاصلا حادا وهو ان حقول نفط الشرق الاوسط ــ شانها شان استقلال اوروبا الغربية واليابان ــ سينظر اليها من الان فصاعدا على انها مصلحة حيوية للعالم الحر . يمكن للولايات المتحدة ان تخوض حربا كبرى من اجلها اذا لزم الامر . تاييدا لهذا دعا الكونغرس الى زيادة ميزانية الدفاع الاميركية بنسبة ٥٪ فوق الزيادة التي يفرضها التضخم ، والى اقامة « وجود » عسكري أميركي جديد او امكانية الحصول على قواعد في الشرق الاوسط »

ويزيد ريستون ايضاحا فيقول « ان الروس بشكل خاص لن يخيفهم تهديد بمواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة عند حدودهم الجنوبية ففي مثل هذه الحرب ستكون خطوط امداداتهم قصيرة داخل ايران من الشمال ، واقرب من الشرق ايضا في افغانستان . وعلى النقيض من ذلك فان الولايات المتحدة ستكون بعيدة بمسافة تساوي نصف العالم كما كان الحال في حرب فيتنام دون قواعد عسكرية مضمونة او حلفاء موثوق بهم ، باستثناء مصر واسرائيل ، اللتين لا تزالان تتشاحنان حول الفلسطينيين والضفة الغربية وغزة والقدس » .

وفي الاتجاه نفسه يفسر معلق صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » ــ ستيفن كلايدمان ــ (١/٢٩) خطاب كارتر بقوله « أن الولايات المتحدة الآن تعتبر منطقة الخليج ــ شأنها شأن اوروبا الغربية واليابان ــ داخلة تحت مظلتها الدفاعية [العسكرية] ... والولايات المتحدة الآن هي بصدد عملية ترتيب لاستخدام تسهيلات أساسية بحرية وجوية في شمال شرق افريقيا والخليج » .

وأكد كلايدمان ــ مثلما فعل ريستون ــ على نقطة الضعف التي تعاني منها الولايات المتحدة من الناحية الاستراتيجية وهي طول خطوط امداداتها مقابل قصر خطوط الامدادات بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، الأمر الذي يؤكد ــ ويبرر من وجهة النظر الأميركية ــ أهمية الحصول على قواعد عسكرية دائمة وثابتة في المنطقة ، في الخليج وحوله . ويقول كلايدمان في هذا الصدد . « لقد حرك الاتحاد السوفياتي سبع فرق الى داخل افغانستان خلال اسابيع قليلة ، بينما تحتاج الولايات المتحدة الى شهر كامل لادخال فرقة واحدة الى منطقة الخليج في ظل الظروف الراهنة » . وهذا يعني بوضوح ان الولايات المتحدة تحاول تغيير « الظروف الراهنة » الاستراتيجية في منطقة الخليج ليكون بامكانها ان تتواجد في المنطقة وبذلك تقصر خطوط امداداتها اليها .

لكن صحيفة « واشنطن بوست » طرحت في تعليقها ــ بمقال افتتاحي (١/٢٩) على خطاب « حالة الاتحاد » ــ عدة تساؤلات ، بعضها بالغ الأهمية . فقد تساءلت الصحيفة . « ما هي حدود منطقة الخليج ؟ وهل كل اجزائها متساوية ؟ ما الذي يشكل (بنظر الادارة الاميركية) محاولة لتحقيق السيطرة ؟ وما الذي يعنيه تحقيق السيطرة ؟ هل يتطلب الأمر وضع برامج أخرى تتجاوز تلك التي عددها الرئيس كارتر ؟ اي نوع من التعاون يتوقعه من دول اخرى في المنطقة ؟ ومن الدول الأخرى المعتمدة على النفط ؟ وكيف سترد الولايات المتحدة في حال التخلف عن مثل هذا التعاون ؟ » .

ولعل هذه السلسلة المترابطة من التساؤلات التي طرحتها « واشنطن بوست » لا تجد جوابا الا في نشاطات الولايات المتحدة العسكرية والدبلوماسية ، منذ اللحظة التي انتهت فيها فقرات خطاب كارتر عن « حالة الاتحاد » لكن قبل الانتقال من اطار التحرك الاميركي بحثا عن قواعد واتفاقات امنية او احلاف في الشرق الاوسط ، كما رسم كارتر خطوطه العريضة في هذا الخطاب ، الى الخطوات الفعلية التنفيذية لهذا التحرك ، لا بد من الاشارة الى حادثة خروج كارتر عن نص هذا الخطاب .

ذلك انه يبدو ان الرئيس الاميركي ادرك في اخر لحظة أن أول ما قد يتبادر الى اذهان قوى معينة داخل الولايات المتحدة عن مسعاه للحصول على قواعد او اتفاقات أمنية في الشرق الاوسط (أي من دول عربية) هو أن ثمن هذا المسعى ربما يدفع من طبيعة العلاقات الخاصة التي تربط الولايات المتحدة . وكان لا بد للرئيس الاميركي ان ينفي هذا التصور حتى قبل ان يخرج الى حيز التعبير العلني . لهذا خرج الرئيس كارتر عن نص خطاب « حالة الاتحاد » ــ وهو خطاب سنوي يسبق القاءه اعداد دقيق وطويل غالبا ــ ليؤكد التزام الولايات المتحدة ببقاء اسرائيل وامنها .

وقد وصفت وكالة « اسوشيتد برس » الأميركية للأنباء هذا الخروج المفاجيء الذي لم يتوقعه احد بأنه « خروج ملفت للنظر » . وقد ذكرفيه كارتر « ليدع الجميع الشك جانبا في مسألة التزامنا بأمن اسرائيل ... »

لكن من المنطقي ان يثير هذا الجانب غير المكتوب من خطاب كارتر تساؤلا عما اذا كان موجها ليس فقط الى « اللوبي الصهيوني » داخل الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لقطع الطريق على اي تصور لديهم بامكان المساومة على العلاقات الأميركية ــ الاسرائيلية ؟

ان احدا من اصدقاء اميركا ــ ولعلهم اكثر مقدرة على فهم دوافعها ومراميها ــ لا يساوره شك في أن الولايات المتحدة تريد ان تفرض شروطها حتى وان كانت هي الجانب الذي يحتاج الى هذا الطرف او ذاك استراتيجيا أو اقتصاديا . في هذا الصدد كتبت صحيفة « الأوبزرفر » البريطانية (١/٢٧) تقول . « من الواضح ان الرئيس (كارتر) يأمل في ان تتحمل دول المنطقة نفسها قبل كل شيء المسؤولية للأمن الجماعي فيها والمحافظة على وصول الغرب لنفط الخليج . وأن يكون ذلك بدعم من القوات البحرية والجوية الأميركية . الا ان الدول العربية تعرف انها اذا حاولت ان تقدم لأميركا قواعد عسكرية دون ان تغير اميركا من سياستها نحو الفلسطينيين فلربما توقع بذلك على تفويض موتها . وستجلب بذلك الاضطراب وفقدان النفط ، وهي اشد المخاطر التي يخشاها الغرب الآن . وهكذا يجب على الغرب من اجل النفط والأمن ــ ان يكسب تأييد شعوب الشرق الاوسط ، وليس مجرد تأييد حكام هذه الشعوب » .

على اي حال فانه لا تاكيد كارتر على الالتزام غير المشروط بأمن اسرائيل ، ولا جولات الدبلوماسية الأميركية ، ولا تحركات الأساطيل الأميركية تؤكد أن الولايات المتحدة تنظر الى الأمور بهذا المنظار .

فماذا عن موقف حلفاء اميركا عن هذه السياسة ؟

من السهل للغاية ، ومن خلال استقراء تطورات الأسابيع منذ القاء الرئيس الأميركي كارتر خطاب « حالة الاتحاد » ــ ان نميز بين موقفين لحلفاء اميركا من مسألة الوضع الاستراتيجي في الشرق الاوسط ومتطلباته .

□ موقف لحلفاء الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط و من ضمنها الخليج من مطالب الادارة الاميركية .

□ وموقف لحلفاء الولايات المتحدة في اوروبا الغربية واليابان الذين خصتهم نداءات كارتر بأنهم معرضون بسبب امن الخليج لخطر يفوق الخطر الذي تتعرض له الولايات المتحدة نفسها .

موقف دول المنطقة

لا تزال هناك ملامح مختلفة لموقف دول منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي من الاستراتيجية الأميركية في المنطقة ، وثمة اختلافات افقية واختلافات رأسية . بمعنى ان هناك تباينا بين مواقف دول المنطقة بعضها عن بعضها الآخر . وهناك تباين اخر في زاوية رؤية موقف دول المنطقة ، حيث ان المعلومات التي تذاع من واشنطن تختلف في كثير من الاحيان ــ عن المعلومات التي تذاع في عواصم المنطقة .

في اليوم الذي انتهت فيه زيارة وفد اميركي على مستوى عال للسعودية برئاسة زبغنيو برجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي ــ (٢/٥) قال المسؤولون في الوفد الأميركي ــ في تصريحات ادلوا بها على متن الطائرة التي اقلتهم من السعودية الى القاهرة ــ ان المسؤولين السعوديين أبلغوا برجنسكي والوفد بأنهم الآن مستعدون للنظر في « تعاون عسكري أوثق مع الولايات المتحدة في منطقة الخليج لمواجهة تأثير التدخل السوفياتي في افغانستان » . وقال اعضاء الوفد « أن الأمير فهد ولي العهد السعودي كان مؤيدا للغاية لعزم الأميركيين على الاحتفاظ بقوة عسكرية في المنطقة ، واستخدام التسهيلات العسكرية في بلدان مختلفة ، واجراء مناورات تدريبية مع دول المنطقة ، وطلب تعاون السعودية في كافة تلك المجالات » .

وقد ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » وهي تورد هذه التصريحات (٢/٦) « ان السعوديين يتخذون ـ علنا ـ موقفا غامضا منذ التدخل السوفياتي في أفغانستان . فهم من ناحية تزعموا في مؤتمر اسلام اباد معارضة التحركات السوفياتية ، ولكنهم في الوقت نفسه عارضوا ما وصفوه بأنه نشاط الدول الكبرى . غير ان المسؤولين الأمريكيين قالوا انهم كانوا يتوقعون الموقف السعودي الذي يتضمن اصرارا على تسوية المسألة الفلسطينية ، كأولوية كبرى . ولكنهم اضافوا ان السعوديين يبدون الآن اكثر استعدادا بكثير ـ في مجالسهم الخاصة ـ لأن يكونوا متعاونين بسبب النشاط السوفياتي في المنطقة » .

وذكرت الصحف الأمريكية نقلا عن المسؤولين في الوفد الأمريكي الذي زار السعودية ان برجنسكي شرح للأمير فهد سياسة الولايات المتحدة في المنطقة في النقاط التالية .

□ ان سياسة الولايات المتحدة تقوم على التصميم على اتخاذ خطوات محسوسة لتأمين مزيد من الأمن في منطقة الشرق الأوسط ـ الخليج ، وقد وصف برجنسكي هذه المنطقة بأنها « المنطقة الاستراتيجية المركزية الثالثة » من حيث الأهمية للولايات المتحدة بعد اوروبا الغربية والشرق الأقصى .

□ ان الولايات المتحدة ستظل ملتزمة بالتوصل الى اتفاق سلمي بين العرب والاسرائيليين ، مع اعتراف خاص باهمية تحقيق تقدم الآن فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية .

□ ان الولايات المتحدة بصدد اقامة وجود عسكري منتظم لها في المنطقة . وهي تفعل ذلك عن طريق اكتساب مزيد من قدرة الوصول المنتظم الى القواعد ، وعن طريق رفع درجة قدرتها . وهي مستعدة للاشتراك مع دول اخرى في اشكال مختلفة من المناورات من اجل اعداد افضل لأنواع الطوارىء المختلفة .

□ فيما يتعلق بمسألة التسهيلات العسكرية فان الولايات المتحدة قد اعلنت صراحة رغبتها في استخدام قواعد في الصومال وكينيا وعمان . فضلا عن توسيع قاعدة دييغو غارثيا (في المحيط الهندي) .

وقد ذكر الوفد الأمريكي للصحفيين الأمريكيين الذين رافقوه انه « أصبح مفهوما للولايات المتحدة الان (بعد المحادثات مع المسؤولين السعوديين) انه في حالة طارىء عسكري في المنطقة يتطلب ارسال قوات امريكية فان السعودية ستسمح بان تستخدم تسهيلاتها » .

تأكيدا على هذا التفاؤل الأمريكي بموقف دول المنطقة ، واتساعه ليشمل اكثر من السعودية . صرح وزير الدفاع الأمريكي هارولد براون (٢/١٢) بأنه « متفائل بصورة معقولة بأن الولايات المتحدة ستكون قادرة على استخدام قواعد عسكرية في دول الشرق الأوسط المؤيدة للغرب في وقت الأزمات »لكنه رفض تأكيد أو نفي الأنباء الصحفية الأمريكية بأن اتفاقا قد تم التوصل اليه فعلا بشأن الاستخدام الطارىء لقواعد في سلطنة عمان وكينيا والصومال . لكنه قال « اننا نتفاوض مع عدة دول في المنطقة لتوفير حق الوصول الى تسهيلاتها في اوقات الأزمات .. وان هذه المفاوضات اخذت تصل الى نجاح كامل ، لكنني اعتقد انه من السابق لأوانه القول كيف سيكون الوضع » .

وقد رافقت تصريحات وزير الدفاع الأمريكي تأكيدات مصدر أمريكي رسمي في واشنطن (٢/١٢) بأن سلطنة عمان وافقت على ان تستخدم القوات الجوية والبحرية الأمريكية بعض منشآت السلطنة العسكرية . وذكر هذا المسؤول . ان الاتفاق المبدئي يمكن الولايات المتحدة من تخزين البترول والعتاد العسكري في سلطنة عمان لاستخدامه في حالة التدخل في هذه المنطقة . ولم تلبث هذه الأنباء ان تأكدت عندما اعلن مسؤولون في الادارة الأمريكية (٢/١٣) ان الولايات المتحدة أرسلت أول قوة برية أمريكية الى منطقة الخليج تمشيا مع تعهد الرئيس كارتر مؤخرا « بمقاومة الاندفاع السوفياتي نحو منطقة الخليج » . وقال هؤلاء المسؤولون ان ١٨٠٠ من مشاة البحرية الأمريكية قد ارسلوا الى بحر العرب على متن اربع سفن برمائية . واضافوا ان مشاة البحرية الامريكية سيعملون في بحر العرب لمدة غير محددة .

تناقضت هذه الأنباء من الجانب الأمريكي مع « تأكيدات » من داخل المنطقة كان ابرزها ما اعلن في الرياض (٢/٨) من ان الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية اكد من جديد « رفض المملكة السماح باقامة قواعد عسكرية أجنبية او تقديم تسهيلات عسكرية لأية دولة في اراضيها ... » وان المملكة « لن تعقد اتفاقا بخصوص اي نوع من

أنواع التسهيلات لا مع الأميركيين ولا مع غيرهم » .

بل ان مصادر سعودية كانت قد نقلت عن اربعة خبراء جامعيين اميركيين عادوا الى واشنطن بعد زيارة لدول الخليج (٢/٣) قولهم ان بعض الدول العربية هناك ابدت شكها في صلاحية « مبدأ كارتر » ورفضت عرضه وجودا عسكريا اميركيا في المنطقة . وان هؤلاء الخبراء قالوا ان اكثر دول الخليج لا تزال ترى ان اسرائيل تمثل خطرا أكبر على المنطقة من الاتحاد السوفياتي ، وأن الشك في النوايا الأميركية سيستمر الى ان تبدي ادارة كارتر فهما افضل للقضية الفلسطينية واستعدادا افضل لمواجهة اسرائيل في هذا الموضوع .

اما هؤلاء الخبراء الاربعة فهم نائب الادميرال مارمادوك بين قائد القوة البحرية الضاربة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط حتى العام ١٩٧٧ . والدكتور مايكل هدسون مدير مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة « جورج تاون » الأميركية ، ودين بيتر كرو من مدرسة السلك الدبلوماسي في جامعة « جورج تاون » والدكتور هشام شرابي الأستاذ الفلسطيني ـ الأميركي في الجامعة نفسها .

بعد ذلك بأيام قليلة أعلن في واشنطن رسميا (٢/١١) ان تجهيز قوة اميركية سريعة ضاربة خاصة بالخليج العربي سيتم في أواخر العام الحالي ، وليس في غضون ثلاث سنوات كما قدر الاستراتيجيون الاميركيون من قبل . وقد أعلن هذا القائد الجديد لهذه القوة اللفتنانت جنرال بي . اكس . كيللي ، الذي كان يتحدث امام لجنة فرعية تابعة للجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأميركي .

في الوقت نفسه زارت الصومال بعثة عسكرية اميركية في الاسبوع الاول من شهر شباط (فبراير) ، وهي ثالث بعثة اميركية تزور الصومال منذ منتصف شهر كانون الاول (ديسمبر) الماضي . وكانت البعثة الثالثة برئاسة ريجنالد بارتولوميو مدير الشؤون العسكرية ـ السياسية بوزارة الخارجية الأميركية ، وبحثت مع المسؤولين الصوماليين (٢/٥) في استخدام القوات الأميركية كلا من ميناء مقديشيو وقاعدة بربارا البحرية لدعم وجود عسكري أميركي في منطقة المحيط الهندي . وقد عرضت الولايات المتحدة ـ بالمقابل ـ تزويد الصومال بامدادات عسكرية .

وفي القاهرة أعلن وزير الدفاع المصري كمال حسن علي (٢/٢) ان « مصر منحت الولايات المتحدة تسهيلات لتمكينها من مساعدة أية دولة عربية خليجية قد تكون مهددة » . وأوضح أن هذه التسهيلات « جوية بصفة خاصة » .

وهكذا فان التطورات العملية ـ بصرف النظر عن تناقضات التصريحات ـ تؤكد ان الولايات المتحدة حققت خطوات محسوسة على طريق فتح أبواب الشرق الأوسط والخليج لقواتها المسلحة لتحصل على قواعد أو على تسهيلات تضمن لها وجودا عسكريا دائما وسريع الحركة في المنطقة .

وقد احتل هذا التطور « مانشيت » الصفحة الاولى من صحيفة « نيويورك تايمز » (٢/١٣) التي ذكرت ان عمان وكينيا والصومال قد وافقت على منح القوات الاميركية فرصة الوصول الى التسهيلات العسكرية ، كما وافق زعماء هذه الدول الثلاث ايضا على السماح للقوات الأميركية بالقيام بزيارات منتظمة للقواعد العسكرية ، وتمكين واشنطن من تخزين كميات محددة من الأعتدة والوقود في اراضيها .

ونقلت « نيويورك تايمز » عن مسؤول كبير في ادارة الرئيس كارتر قوله « أن هذا الانجاز هو بداية تحول مهم عن انحدارنا الاستراتيجي في ذلك الجزء من العالم » . ونقلت عن مسؤول كبير بوزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) وصفه للتسهيلات العسكرية التي حصلت عليها الولايات المتحدة في هذه الدول الثلاث بانها تشكل « قواعد عمليات متقدمة » للسفن والطائرات الأميركية التي ترابط في معظمها في قاعدة « دييغو غارثيا » في المحيط الهندي .

وفيما يتعلق بالسعودية صرح مسؤولون أميركيون ـ وفقا لرواية « نيويورك تايمز » أيضا ـ بأن « البنتاغون » يقوم بصياغة خطة تقتضي ان تبني السعودية عدة قواعد جوية جديدة حول البلاد تصمم بحيث تلبي الاحتياطات الاميركية وتخزن فيها كميات ضخمة من الأسلحة والوقود . على ان تستخدم هذه القواعد في الظروف العادية السلطات السعودية ، وتستخدمها ـ في حالة تهديد عسكري تتعرض له السعودية ـ الطائرات والقوات الأميركية التي تنقل اليها على وجه السرعة .

موقف اوروبا الغربية

على الجانب الآخر من الصورة ، نجد أن موقف اقرب حلفاء الولايات المتحدة ، وهي دول اوروبا الغربية ، من المناشدة الأميركية بضرورة المساعدة بالفعل لا بالقول في الدفاع عن نفط الشرق الأوسط ضد « الخطر السوفياتي » لا تجد صدى ايجابيا واضحا . وتعكس مواقف دول أوروبا الغربية في هذا الصدد أيضا قدرا من الاختلاف ، ولكنه إختلاف في الدرجة لا في النوع . مثل اختلاف موقف بريطانيا ـ الاكثر التصاقا بالاستراتيجية والدبلوماسية الأميركية ـ مع موقف كل من فرنسا وألمانيا الغربية اللتين تحرصان على درجة من الاستقلالية عن قرار واشنطن لأسباب عديدة ومختلفة أيضا .

وتكشف المواقف المعلنة لدول أوروبا الغربية عن ثلاث نقاط أساسية تجعلها لا تأخذ موقفا مطابقا للموقف الأميركي ، ولا تستجيب للطلبات الأميركية فورا وبالكامل . أولا ضعف الاعتقاد الأوروبي بمصداقية الأسباب التي تقدمها الولايات المتحدة لتبرير الضجة الهائلة التي تحيط بها واشنطن مسألة « الخطر السوفياتي على نفط الخليج » . ثانيا مخاوف دول اوروبا الغربية من ردود الفعل المحلية في الشرق الأوسط . ثالثا . مخاوف اوروبا الغربية من رد الفعل السوفياتي .

ففي الوقت الذي بدأت فيه الولايات المتحدة (٢/٨) حملة دبلوماسية مكثفة « لتنسيق موقف مشترك مع حلفائها الرئيسيين ازاء التوتر السائد في المحيط الهندي والناتج عن التدخل السوفياتي في افغانستان » ، أعلنت فرنسا ـ على لسان ناطق باسم « قصر الاليزيه » ـ أنها تعارض أي اجتماع مشترك للدول الغربية « لا يكون من طبيعته في الظروف الراهنة تخفيف حدة التوتر الدولي » . وكان هذا ردا على دعوة اميركية لعقد اجتماع في بون لوزراء خارجية الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا تليه قمة مصغرة في واشنطن يحضرها وزراء خارجية الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندة لبحث الرد على التدخل السوفياتي في افغانستان .

وفي اليوم التالي (٢/٩) اعربت الدوائر الأميركية الرسمية في واشنطن عن استيائها ازاء الرفض الفرنسي . وقالت وكالة أسوشييتد برس الاميركية « أن رفض فرنسا العنيف للمشروع الأميركي ادى الى زيادة التوتر بين باريس وواشنطن . وهو يعرقل ـ مؤقتا على الأقل ـ الجهود الدبلوماسية التي يبذلها الرئيس الأميركي كارتر للرد على التدخل السوفياتي .

ولكن واشنطن لم تلبث أن تلقت رفضا ثانيا اكثر تحديدا . من جانب بون هذه المرة ، حيث اعلنت حكومة المانيا الغربية (٢/٩) على لسان وزير دفاعها هانتر ابيل «انها تستبعد فكرة توسيع نطاق عمل حلف الأطلسي واحتمال اشتراك قوات من ألمانيا الغربية في عملية عسكرية في منطقة الخليج » .

وقد تساءلت صحيفة « واشنطن بوست » (٢/١٢) « هل ستقف قوات وسفن الحلفاء الغربية إلى جانب القوات الأميركية اذا وصلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى حافة مواجهة عسكرية في الخليج ؟». وأجابت بان الرد على هذا السؤال امر بالغ التعقيد، لأن المخططين الاستراتيجيين الاميركيين يريدون اضعاف الدفاع عن اوروبا الغربية حيث تتواجد قوات حلف الاطلسي (الناتو)والقسم الاكبر من جيوش حلف وارسو عبر حدود المانيا الغربية . ويعتقد كثيرون من المخططين أن مواجهة سوفياتية ـ اميركية في الخليج يمكن ان تنتشر سريعا نحو اوروبا . ويبدو من مقابلات مع مسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع وفي البيت الأبيض الأميركي (وفقا لرواية « واشنطن بوست ») أن الولايات المتحدة لا تتوقع دعما عسكريا على نطاق واسع في الخليج من اوروبا الغربية ولا من اليابان . انما تريد الولايات المتحدة بالاحرى من حلفائها ان يحسنوا قدراتهم العسكرية الخاصة بحيث يوفروا قوات أميركية ، خاصة تلك الموضوعة في حالة احتياط في الولايات المتحدة للتدخل في الخليج . ومع ذلك يؤكد المسؤولون الأميركيون ان الولايات المتحدة ستحتاج فعلا في حالة نشوب حرب ـ الى مساعدات حقيقية ، خاصة في صورة قوات بحرية ومتخصصين . ولهذا يقول هؤلاء المسؤولون انه بدأت تبزغ سياسة أميركية ترمي إلى فرض مزيد من الضغط على حلفاء أميركا .

وكشف المسؤولون في واشنطن أن استراليا وحدها من بين حلفاء الولايات المتحدة هي التي ابدت استعدادا لوضع قوات لها على الخطوط في منطقة الخليج في شكل قوة عمل بحرية صغيرة من البوارج والزوارق المسلحة وسفن التزويد بالوقود .

وتقول « واشنطن بوست » أن كثيرين من

الأوروبيين لا يتفقون مع رأي الادارة الأميركية القائل بأن الاتحاد السوفياتي ليس معنيا أساسا بأفغانستان انما هو معني بالخليج . فضلا عن أنهم يرون أنهم معرضون لخسائر افدح مما يمكن ان تتعرض له الولايات المتحدة اذا انهارت العلاقات مع موسكو .

وكان اجتماع اطلسي موسع قد عقد في ميونيخ في الأسبوع الثاني من شهر شباط (فبراير) ، ضم وزراء وقادة عسكريين ودبلوماسيين وسياسيين من دول الحلف ، قد انتهى الى نتيجتين أساسيتين ، حددهما كاري سولابرغر في صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » (٢/١٣) على النحو التالي . (١) أن الاتحاد السوفياتي قد انفق اكثر بكثير جدا من الولايات المتحدة على قدراته العسكرية خلال السنوات العشر الأخيرة ، واكتسب بذلك تقدما ملحوظا . (٢) ان الأخطار التي تواجه الغرب الآن تكمن في مناطق المصالح الحيوية مثل المنطقة المنتجة للبترول والممرات البحرية المؤدية منها الى أوروبا أكثر مما تكمن في القوس الدفاعي لأوروبا . ومع ذلك — يضيف سولزبرغر — أنه بدا في ذلك الاجتماع « ان هناك اتفاقا عاما على ان الولايات المتحدة وحلفائها الأساسيين في القارة الأوروبية يدركون انهم ليسوا في وضع يمكنهم من خوض الحرب بسبب العدوان على افغانستان ، التي تقع خارج نطاق منطقة حلف الأطلسي ، وانهم — بالتالي ، وعلى الرغم من الاحتجاجات — لا بد أن يقبلوا به . انما يرون الخطر الأكبر على انه هجوم سوفياتي شبه محتوم في الشرق الأوسط . وكان ثمة اتفاق على الحاجة الى التحذير من مثل هذا الاستيلاء ، وضرورة اعداد عمل مشترك ضده اذا وقعت مثل هذه المحاولة فعلا . ولكن حين وصلت المناقشات الى النقطة المحددة المتعلقة بما ينبغي عمله ، تحللت المناقشة » .

ولكن هذه الخلافات بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين — التي يتعلق جانب كبير منها بالمشكلات الاقتصادية لكلا الطرفين ، التي تمنعه من الاقدام على تحمل نصيب اكبر في النفقات العسكرية ، لان ذلك يضطره لتأجيل مواجهة المشكلات الداخلية الحادة ، خاصة في بلدان أوروبا الغربية — لا تعني انعدام التنسيق الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وغرب أوروبا ، ولا تعني ان حلف الأطلسي متمسك بشدة بالحدود الجغرافية الأصلية التي رسمتها له معاهدته الأصلية ، بحيث يمتنع عن التدخل خارج اطار المظلة الأطلسية . وبشهادة سولزبرغر نفسه فان حلف الأطلسي — « من حيث الأمر الواقع — قد تجاوز حدوده الجغرافية وأصبح ملتزما الآن بالدفاع عن مصالحه الحيوية في انحاء العالم.وبين هذه المصالح الوصول الى مصادر الطاقة والخامات الأساسية » .

وسواء مد الغرب نطاق حلف الاطلسي الى الشرق الاوسط والخليج العربي ، او اعتمد اساسا على الوجود الاميركي وحده في هذه المنطقة ، فان هناك عودة عسكرية واسعة النطاق للغرب الى الشرق الاوسط ، ومن شانها أن تخلق نقيضها ، كما حدث دائما من قبل .

سمير كرم

قضايا عسكرية

التهديدات الاسرائيلية لسوريا

تجددت مؤخرا التهديدات والتحذيرات الاسرائيلية الموجهة الى سوريا ، بدعوى انها تتأهب لشن هجوم ضد اسرائيل . ففي ٨٠/١/١٥ قال مناحيم بيغن « ان اسرائيل تقف على اهبة الاستعداد لصد اي هجوم سوري محتمل » .

وعندما قامت القوات السورية ، العاملة ضمن نطاق قوات الردع العربية في لبنان ، بالانسحاب من الشريط الساحلي بين بيروت وصيدا ، وتجمعت في مواقع دفاعية في البقاع الغربي في ٨٠/١/٢٢ ، كثفت اسرائيل من طلعات طيرانها الاستطلاعية فوق

جنوب لبنان وحتى المناطق المحيطة بطريق « دمشق ــ بيروت » . وفي ٨٠/١/٢٧ ذكرت مصادر عسكرية اسرائيلية مسؤولة ان التحركات العسكرية السورية المذكورة موضع مراقبة دقيقة جدا ، وان القدرة العسكرية السورية اصبحت دفاعية وهجومية في آن ، وهدفها تعزيز الانتشار السوري في لبنان لمواجهة اسرائيل ، وان التعزيزات السورية تقع على مسافة تراوح بين ٢٥ و ٣٥ كيلومترا من الحدود اللبنانية الجنوبية . وان لهذه التعزيزات اهدافا عدة تتمثل في تخريب عملية تطبيع العلاقات المصرية ــ الاسرائيلية ، وتصفية المقاومة « المسيحية » للوجود السوري في لبنان ، وتدعيم نظام الرئيس الاسد ، واخيرا الرد على التحذيرات الاسرائيلية الاخيرة .

وفي اليوم ذاته ، ١/٢٧ ، بدأ وزير الخارجية السوفييتي « اندريه غروميكو » زيارة لسوريا استمرت ثلاثة ايام ، وحذرت وسائل الاعلام السوفييتية ، بهذه المناسبة ، كلا من الولايات المتحدة واسرائيل ومصر من محاولة الاعتداء على سوريا . مؤكدة ان للاخيرة من دعم اصدقائها ، ما يمكنها في مطلق الاحوال والظروف من كسر شوكة اي معتد ، وما يمكنها من فرض انتزاع حقوقها واحترام مصالح العرب .

وفي اليوم التالي ، ١/٢٨ ، صرح بيغن بان اسرائيل لا تنوي مهاجمة سوريا رغم الانباء عن تزايد الوجود السوري في لبنان . وكرر بيغن قوله هذا ، في ١/٢٩ ، مؤكدا ان اسرائيل لا تنوي شن اي هجوم على سوريا او اية دولة عربية اخرى مجاورة . واثر رصد بعض التحركات العسكرية الاسرائيلية قرب الحدود اللبنانية ، صرح وزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان بان اسرائيل اتخذت بعض الاجراءات لمواجهة تهديد محتمل على حدودها مع سوريا ، وذلك على اساس وجود تقديرات عن احتمال قيام الاخيرة بمحاولة للاساءة الى المعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية عن طريق شن هجمات عسكرية .

واثر اعلان سوريا عن نيتها في تجميع قواتها العاملة في مدينة بيروت ، يوم ٨٠/٢/٣ ، زاد الطيران الاسرائيلي من طلعاته الاستطلاعية فوق لبنان ومدها حتى « بيروت » والمناطق المحيطة بها . وصرح وايزمان ، في ٨٠/٢/٨ ، بان القوات الاسرائيلية تلقت امرا بان تكون في حال التأهب ، وان اسرائيل تراقب بحذر الوضع في لبنان وتحركات القوات السورية . وقال « اذا كان هذا التصريح يشكل رسالة الى سوريا ، فانني حريص على التشديد على اننا لا ننوي مهاجمة هذا البلد كما اننا لا نرغب في ذلك ... اذا كانت الاستعدادات العسكرية السورية تعود الى تخوف هجوم اسرائيلي ، فاني اطمئن قادة هذا البلد الى اننا لن نبادر في الهجوم ... ولكن اذا هوجمنا فلن نقف مكتوفين ... ان الروس والسوريين يعرفون ان ردنا مختلف عن ردود الآخرين » . واستطرد قائلا « ان مسيحيي لبنان قادرون على مواجهة الوضع الناتج عن اعادة توزيع القوات السورية ... واننا لن نقف مكتوفين اذا هوجم المسيحيون في لبنان » .

وفي اليوم ذاته ، ٢/٨ ، قال الجنرال ساغي ، رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ، انه يستبعد احتمال وقوع حرب تشنها سوريا ، لكنه توقع ان تقدم الاخيرة على تفجير عمليات عسكرية محدودة ، على اساس ان ذلك يشكل مجازفة محسوبة من جانب السوريين الذين سيراهنون على امكان التحكم في تطور مثل هذا الصراع ، وتجنب تحوله الى حرب واسعة النطاق . واوضح ان لسوريا مصلحة في ذلك ، اذ ان من شانه تعزيز جبهة الرفض ووضع مصر في موقف حرج وصرف انتباه الرأي العام عن الازمة التي يجتازها النظام ... وان الاهداف السورية قد تحققت منذ الان اذ ان العالم بدأ ، عن طريق المناخ المتوتر الناشىء ، ينسى افغانستان ويركز اهتمامه مرة اخرى على الصراع الاسرائيلي ــ العربي .

وقد ردت سوريا عبر تعليق سياسي ، بثته اذاعة دمشق يوم ٢/٩ ، جاء فيه ان سوريا تراقب تحركات الاعداء ونشاطاتهم وتتخذ لكل حال ما يناسبها من المواقف ، ولن يؤثر عليها اي تهديد . ان سوريا تعرف موازين القوى في المنطقة وفي العالم ، وتعرف قواها الذاتية وقدراتها على مواجهة جميع الاحتمالات ولا تخاف التهديدات .

وفي ٢/١٢ قالت الاذاعة الاسرائيلية ان لواء المشاة « غولاني » قام بمناورة في مرتفعات الجولان ، في اليوم السابق ، بحضور الجنرال ايتان رئيس الاركان وقائد المنطقة الشمالية . وقد شاركت في المناورة وحدات من المدرعات والمدفعية ، وكان الهدف منها اجراء اختبار عملي للسيطرة على مدينة صغيرة بواسطة وحدات من المشاة تدعمها المدرعات والمدفعية . وقد اذيع في اليوم نفسه تصريح لوايزمان قال فيه « ان قواتنا موزعة ومستعدة لاي احتمال ». وفسر المراقبون ان هذه المناورة ،والاعلان عنها ، تهدف الى اعطاء مصداقية لنية الحكومة الاسرائيلية المعلنة عن يقظة قواتها ، وان ذلك مرتبط بالوضع المتوتر في لبنان . وترجح كل هذه التصريحات والتهديدات الاسرائيلية ، المصحوبة بحشود اسرائيلية محدودة نسبيا ، وبتصعيد لنشاط ميليشيات سعد حداد في الجنوب يتمثل في قصف مدفعي عنيف لمدن وقرى الجنوب ، ترجح احتمال قيام اسرائيل بعدوان على جنوب لبنان ، فضلا عن ردع سوريا عن احتمال قيامها بعمليات حرب استنزاف تعرقل من خلالها المفاوضات مع مصر حول الحكم الذاتي في الارض المحتلة وذلك نظرا لان ميزان القوى العسكري القائم حاليا بين اسرائيل وسوريا ، على حدة ، لا يرجح احتمال شن سوريا لهجوم على

القوات الاسرائيلية في الجولان في المستقبل القريب ، خاصة في ظل عدم ظهور اي مؤشرات عملية لتشكيل الجبهة الشرقية ، التي من المفروض ان تضم قوى كل من العراق والاردن وقوات من دول الرفض الاخرى مثل الجزائر وليبيا ، بحيث ينشأ وضع متوازن نسبيا من الوسائط العسكرية بين العرب واسرائيل . اذ ان الجيش الاسرائيلي لديه ، عند التعبئة العامة ، نحو ٢٦ لواء مدرعا و ١٢ لـواء ميكانيكيا و ٩ الوية مشاة و ٦ الوية مظليين و ٩ الوية مدفعية ، لديها حوالى ٢٧٠٠ دبابة و ٤٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة واكثر من ١٢٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر . مقابل نحو ١١ لواء مدرعا و ٩ الوية ميكانيكية و ٤ الوية مشاة و ٣ الوية مظليين وقوات خاصة ولواني مدفعية ، لديها نحو ٢٧٠٠ دبابة و ١٨٠٠ ناقلة جنود مدرعة واكثر من ١٠٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر لدى الجيش السوري . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي يتمتع بتفوق كمي بمعدل ٢,٣ : ١ في الاولية المدرعة ، و ١,٣ : ١ في الالوية الميكانيكية ، و ٢,٢ : ١ في الوية المشاة ، و ٢ : ١ في الالوية المظليين والقوات الخاصة ، و ١,٤ : ١ في اجمالي عدد الدبابات ، و ٢,٥ : ١ في ناقلات الجنود المدرعة ، و ١٠,٢ : ١ في المدافع .

اما في مجال القوة الجوية فان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي نحو ٦٨٢ طائرة قتال (اي تدخل فيها طائرات التدريب والهليكوبتر والنقل والانذار المبكر والحرب الالكترونية) ، من بينها ٢٥٠ مقاتلة متعددة المهام من طراز « فانتوم » ، و ٢٥ « ف ــ ١٥ » و ٧ « ف ــ ١٦ » ، و ١٢٠ « كفير » ، و ٣٠ « نيشر » ، و ٢٥٠ مقاتلة هجوم ارضي من طراز « سكاي هوك » . اما الطيران السوري فيضم حوالى ٥٠٠ طائرة قتال ، منها ٢٥٠ مقاتلة « ميغ ــ ٢١ » بمختلف انواعها ، و ٣٢ مقاتلة متعددة المهام « ميغ ــ ٢٣ » ، و ٤٨ مقاتلة هجومية « ميغ ــ ٢٧ » و ٤٨ مقاتلة هجومية « سوخوي ــ ١٧ » و ٦٠ مقاتلة هجومية « سوخوي ــ ٧ » ، و ٥٠ مقاتلة هجوم ارضي « ميغ ــ ١٧ » . وهذا يعني ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بتفوق كمي في عدد الطائرات بمعدل ١,٣ : ١ . واذا ما انتقلنا الى مجال القوة النارية الجوية نجد ان اجمالي قدرة الطيران الاسرائيلي في مهام القصف الارضي (بحمولات نموذجية) تبلغ نحو ١٣٦٢ طنا من الحمولات الهجومية . اما في مهام القتال الجوي فتقدر اجمالي قوة نيرانه حوالي ٢٨٤٢ صاروخا جو ــ جو . وبالمقابل تقدر القوة النارية للطيران السوري في الحالة الاولى بنحو ٩٢١ طنا من الحمولات الهجومية ، وحوالي ١٢٤٠ صاروخا جو ــ جو في الحالة الثانية . وهذا يعني ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بمعدل تفوق ناري يبلغ نحو ١,٤ : ١ في مهام القصف ، و ٢,٣ : ١ في مهام القتال الجوي .

اما من حيث التوازن في نوعية التسليح فيمكن القول باختصار شديد ان الطرفين متوازنان بصورة عامة ، في خصائص الاسلحة البرية الرئيسية التقنية وقدراتها التكتيكية . وكذلك الحال في القوة الجوية ، باستثنـــاء ان طائـــرات الـ « ف ــ ١٥ » و الـ « ف ــ ١٦ » تتمتع ببعض التفوق التقني في مواجهة « الميغ ــ ٢١ » و « الميغ ــ ٢٣ » . كما ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بقدرة عمليات افضل نسبيا ، نظرا لتوفر طائرات الانذار المبكر وادارة العمليات الجوية من طراز « هوك اي » ، وتسلحه بصواريخ جو ــ ارض ذات مدى وقدرة اصابة فعالة (وذلك في مهام القصف الارضي) ، فضلا عن احتمال تمتعه بوسائل تشويش الكتروني افضل .

وعلى ضوء ذلك يرجح احتمال اقدام اسرائيل على عمل عسكري ، في حالة توفر غطاء سياسي له ، وهو ما تعمل من اجله من خلال التهديدات المذكورة ليبدو عملها وكانه ضربة مضادة اجهاضية لهجوم سوري متوقع .ولكن مثل هذا الهجوم سيواجه بقدرة دفاعية سورية فعالة توضحها تقديرات ميـزان القـوى تستطيع امتصاص الضربة الاسرائيلية لحين وصول قوات عربية اخرى على الاقل .

دبابات « ت ــ ٣٤ » لمنظمة التحرير

قالـت مصـادر عسكريـة اسرائيليـة ، في ٨٠/٢/١٢ ، ان الاتحاد السوفييتي زود للمـرة الاولى منظمة التحرير الفلسطينية باسلحة مدرعة ، في خطوة مباشرة تستهدف تعزيز قوة الفلسطينيين . وذكرت وكالة « يونايتد برس » ان الدبابات المذكورة هي من طراز « ت ــ ٣٤ » ، وقدرت عددها ببضعة عشرات ، ونسبت معلوماتهـا هذه الى مصـادر اسرائيلية ، زعمت ان الدبابات موجودة في منطقة صيدا في لبنان .

وفي ٢/١٣ اكد الناطق باسم الخارجية الاميركية « هودينغ كارتر » النبأ المذكور ، وقال « اننا على علم بوجود بعض الدبابات والسيارات المصفحـة السوفييتية الصنع في ايدي عناصر فلسطينية مسلحة في لبنان . واننا لا نعرف عددها وبالتالي لا نستطيع تأكيد الرقم الذي اعلنته اسرائيل ، كما لا نستطيع التأكيد ما اذا كان الاتحاد السوفييتي قدم هذه الاسلحة مباشرة ... ان كل هذه الاسلحة موجودة شمال نهر الليطاني » . والدبابة « ت ــ ٣٤ » دبابة متوسطة يبلغ وزنها القتـالي (اي مع ذخيرتهـا ووقودها) ٣٢ طنا ، وطولها (مع وضع المدفع في اتجاه الامام) ٨,٠٧٦ امتار ،وعرضهـا ٢,٩٩ مترا ، وارتفاعها ٢,٧٤ مترا ، وعرض جنزيرها ٥٠ سم . وتبلغ قوة محركها الديزل ٥٠٠ حصان ، ومن ثم يبلغ معدل قوة الدفع الى وزنها ١٥,٦٢ حصانا لكل طن . وتحمل ٥٦٠ ليترا من الوقود في خزاناتها الداخلية فحسب (يمـكن حمـل عدة خزانـات خارجية) ، وتستهلك ١٩٠ ليترا في كل ١٠٠ كلم . وتتراوح سرعتها القصوى على الطرق المهدة ٥٠ ــ

٥٥ كلم في الساعة ، ويبلغ مدى عملها (على الطرق وبالوقود الداخلي) نحو ٣٠٠ كم . وهي مسلحة بمدفع من عيار ٨٥ مم ، له ٥٦ ــ ٦٠ قذيفة داخل الدبابة ، ويستطيع استخدام قذائف شديدة الانفجار خارقة للدروع يبلغ وزنها ٩,٣ كلغ تستطيع خرق درع سمكه ١٠٢ مم من مسافة ١٠٠٠ متر . وقذائف خارقة للدروع ذات سرعة ابتدائية عالية ، يبلغ وزنها ٥٠ كلغ ، يمكنها ان تخرق درعا سمكه ١٣٠ مم من مسافة ١٠٠٠ متر (وهذا يعني انها قادرة على خرق الدرع الامامي لدبابات « م ــ ٤٨ » و « م ــ ٦٠ » ، فضلا عن دبابات « سوبر شيرمان » الاسرائيلية) . وقد اثبتت حرب ١٩٧٣ ان المسافات العملية التي تجري ضمنها معظم اشتباكات الدبابات تراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ متر ، ومن ثم فان الدبابات « ت ــ ٣٤ » قادرة على الاشتباك بفاعلية ضد الدبابات الاسرائيلية سالفة الذكر ، كما انها مؤثرة بالتاكيد ضد دروع الدبابات الاخرى من طراز « سنتوريون » و« مركفاه » من مسافة تقل عن الف متر ، وخاصة ضد الدروع الجانبية . ويمكن للمدفع استخدام قذائف شديدة الانفجار ، في الرمي غير المباشر ضد المشاة او اي اهداف اخرى غير مدرعة ، يبلغ وزنها ٩,٥ كلغ حتى مسافة قصوى تبلغ ١٣,٣٠٠ متر . ويبلغ سمك الدرع الامامي لبرج الدبابة ٩٠ مم ، وسمك الدرع الجانبي ٧٥ مم ، وسمك الدرع الامامي لهيكل الدبابة ٤٧مم ، وكذلك سمك الدرع الجانبي للهيكل . ويزيد انحدار درعها الامامي ، بنسبة ٦٠ درجة ، من كفاءة تحمله ثلاث مرات بالقياس لسمك درع مماثل غير منحدر على النحو ذاته . ولذلك فان تدريع الـ « ت ــ ٣٤ » يعد اقوى من تدريع « السوبر شيرمان » التي يزيد سمك درعها عن ٧٥ مم ، ولا يتمتع بالانحدار ذاته .

ولا شك انه رغم قدم طراز الدبابات « ت ــ ٣٤ » ، قياسا بالانواع الاحدث من الدبابات « ت ــ ٥٤/٥٥ » و « ت ــ ٦٢ » ، الا انها تكسب قوات منظمة التحرير قدرة عسكرية افضل في مواجهة العمليات العسكرية الاسرائيلية ، وتدخل بها في بداية مرحلة جديدة من الفاعلية القتالية .

صواريخ سوفييتية للكويت

اعلنت وزارة الدفاع الكويتية في ٨٠/٢/٩ ان سلاح المدفعية في الجيش الكويتي اجرى مناورة بالذخيرة الحية ، يوم ٨٠/٢/٦ ، استخدم فيها صواريخ أرض ــ ارض السوفييتية المعروفة باسم « لونا » . وتضمنت المناورة رميا مباشرا من مدفعية عيار ١٢٢ مم ، ومدفعية ذاتية الحركة هاوتزر من عيار ١٥٥ مم . وعرضا للامكانات القتالية لبعض الوحدات الرمزية في سلاح المدفعية ، وكيفية تصدي الجيش الكويتي لمحاولة وهمية لاحتلال ابار النفط . واعلن مسؤولون في وزارة الدفاع الكويتية قرب استخدام تكنولوجيا عسكرية متقدمة واعتماد قياس المسافات باشعة لايزر . وصرح وزير الدفاع الكويتي ، عقب المناورة ، بان «الكويت تستعد عسكريا للدفاع عن اراضيها ضد اي عدوان خارجي ، وللمشاركه في تحرير الارض العربية المغتصبة » .

والجدير بالذكر ان صواريخ « لونا » ، او « فروغ ــ ٧ » كما تسمى في دوائر حلف « الناتو » ، هي جزء من صفقة اسلحة سوفييتية وقعت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٦ ، على الارجح ، بقيمة نحو ٤٠٠ مليون دولار ، وشملت كميات غير معروفة بدقة من قطع المدفعية وصواريخ ارض ــ جو الصغيرة من طراز « سام ــ ٧ » ، وكذلك صواريخ ارض ــ ارض من طراز « لونا » ، التي لم يعلن عن اشتمال الصفقة المذكورة لها وقتئذ .

والصاروخ « لونا » يبلغ طوله ٩ امتار ، وقطره ٦٠ سم ، ووزنه عند الاطلاق ٢٥٠٠ كلغ . ومداه الاقصى نحو ٧٠ كلم ، وهو صاروخ ذو مرحلة دفع واحدة ، يعمل بالوقود الصلب ، ومن ثم لا يستغرق وقتا طويلا لاعداده للاطلاق . ويحمل رأسا حربيا شديد الانفجار يزن ٥٠٠ كلغ ، كما يمكن تسليحه برأس نووي بقوة ١٠ ــ ٢٠ كيلو طن (الكيلو طن يساوي الف طن من مادة « ت.ن.ت ») ،عند توفر تسليح نووي ، لذلك يعد ضمن الصواريخ النووية التكتيكية ، اي قصيرة المدى . وهو يحمل ويطلق من عربة على عجلات خفيفة الوزن ، وذات قدرات حركية كبيرة . وقد استخدمه كل من الجيشين المصري والسوري في حرب ١٩٧٣ ، ويوجد حاليا في سوريا ومصر والعراق وليبيا والجزائر . والصاروخ المذكور باليستيكي يوجه نحو هدفه مثلما توجه قذائف المدفعية ، بتحديد زوايا الرمي الملائمة لمدى وموقع الهدف . وتفيد المعلومات الغربية بان الانواع الاخيرة من الصاروخ قد تم تزويدها بانظمة توجيه تعمل بواسطة الاحداثيات اللاسلكية . ولا شك في ان امتلاك الجيش الكويتي لبطاريات من هذه الصواريخ يزيد من قوة وبعد مدى نيران مدفعيته ، ويجعلها سلاحا اكثر فاعلية في تامين حد معقول من الدفاع المحلي عن ابار النفط ، او المساهمة بفاعلية ملموسة ضمن قوات الجبهة الشرقية المطلوب تشكيلها في مواجهة اسرائيل . وتفيد اخر التقديرات الدولية لقوة الكويت العسكرية بانهاتضم جيشا مؤلفا من نحو ٦ الاف جندي موزعين على لواء مدرع ولوائى مشاة . لديها اسلحة رئيسية تضم ١٦٠ دبابة من طراز « تشيفتين » (دبابات بريطانية مزودة بمدافع عيار ١٢٠ مم) ، و ٥٠ دبابة من طراز « سنتوريون » و ٧٠ دبابة من طراز « فيكرز مارك ــ ٣ » (دبابات بريطانية مسلحة بمدافع عيار ١٠٥ مم ، والنوع الثاني اخف وزنا وتدريعا واكثر سرعة من النوع الاول،اذ يبلغ وزن الدبابة فيكرز ٣٨ طنا واقصى سمك لدروعها ٨٠ مم ، وسرعتها القصوى ٥٣

كلم/ساعة . على حين ان « السنتوريون » يبلغ وزنها ٥٣ طنا ، واقصى سمك لدروعها ١٥٢ مم ، وسرعتها القصوى ٣٤ كلم/ساعة) . بالاضافة الى ١٣٠ ناقلة جنود مدرعة من طراز « ساراسين » و ١٠٠ عربة قتال واستطلاع مدرعة من طراز « صلاح الدين » ، و ٢٠ عربة اخرى من طراز « فيريت » (كلها عربات بريطانية الصنع) . و ٢٠ مدفع هاوتزر ذاتي الحركة ، فرنسي الصنع ، من طراز « ا.م. اكس ــ ١٥٥ » عيار ١٥٥ مم ، و ١٠ مدافع ميدان مقطورة ، بريطانية الصنع ، من عيار ٢٥ رطلا ، فضلا عن عدد من المدافع عيار ١٢٢ مم السوفييتية الصنع . وصواريخ مضادة للدبابات من انواع « فيجيلانت » و« هوت » و« س س ــ ١١ » و« تاو » و ١٤ بطارية صواريخ مضادة للطائرات من طراز « هوك المحسن » ولديها ٣٦٠ صاروخا، فضلا عن عدد غير معروف من صواريخ « سام ــ ٧ » التي تطلق من فوق الكتف . وتضم القوة الجوية الكويتية ٣٠ قاذفة هجوم ارضي من طراز « سكاي هوك » ، و ٢٠ مقاتلة معترضة من طراز « ميراج ف ــ ١ » ، ونحو ٤٨ طائرة هليكوبتر ، من بينها ٣٠ من طراز « غازيل » مسلحة بصواريخ مضادة للدبابات من طراز « هوت » . وهناك ١٧٥ من ناقلات جنود مدرعة من طراز « م ــ ١١٣ » ، وعدد غير معروف من ناقلات الجنود « أ.م. اكس ــ ١٠ » ، ومدافع هاوتزر ومدافع مضادة للطائرات فرنسية ، جميعها تحت الطلب ومفروض ان يكون بعضها او كلها قد سلم الى الكويت . وتوفر هذه الاسلحة قدرة دفاعية جيدة بالنسبة الى حجم وقدرة القوى البشرية في الكويت ، كما قد توفر بعض الفائض في المدرعات لاستخدام قوات عربية اخرى .

« العراق يحصل على ٢٤ طائرة « ميراج ف ــ ١ » »

قالت مصادر مطلعة في باريس ، يوم ٧٩/١٢/٢٠ ، ان فرنسا وقعت عقدا مع العراق يقضي ببيعه ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز « ميراج ف ــ ١ » التي تصنعها شركة « داسو » . وفي ١٩٨٠/١/٤ أكد مسؤولون في صناعة الأسلحة الفرنسية انباء هذه الصفقة ، موضحين ان قيمتها تبلغ ٣٠٠ مليون دولار ، وان العراق عرض زيادة امدادات النفط الى فرنسا لدفع قيمة الصفقة المذكورة ، التي قالوا انها سترفع عدد طائرات « الميراج ف ــ ١ » المباعة حتى الان الى العراق الى ٦٤ طائرة . وكان المعروف ان العراق تعاقد في العام ١٩٧٧ على شراء ٣٦ طائرة من الطراز المذكور ، وجاءت الانباء الاخيرة لتوضح ان الصفقة السابقة تشمل ٤٠ طائرة ، ونعتقد ان الاربع طائرات الزائدة هي من النوع المخصص للتدريب المسمى « ميراج ف ــ ١ ب د » المزود بمقعدين .

و« الميراج ف ــ ١ » هي مقاتلة متعددة المهام ، يعتبرها البعض بمثابة « الفانتوم » الفرنسية ، وهي احدث مقاتلة فرنسية دخلت الخدمة في السبعينات ، وقد حلق نموذجها التجريبي الأول في ٦٦/١٢/٢٣ ، ثم حلق اول نموذج ما قبل الانتاج في ٦٩/٣/٢٠ ، وتأخر تحليق النموذج الانتاجي حتى ٧٢/٢/١٥ ، واثر ذلك بدأ السلاح الجوي الفرنسي في تسلم الدفعات الاولى من جملة ما طلبه من الطائرات المذكورة ، وهو ١٧٩ طائرة فقط في انتظار الانتهاء من تطوير مقاتلة الثمانينات الاحدث « الميراج ٢٠٠٠ » ، التي ذكر مسؤولوصناعة الاسلحة الفرنسية ان لسلاح الجو العراقي حق اختيارها بعد ان بدأ انتاجها مؤخرا . وبلغ اجمالي طلبات « الميراج ف ــ ١ » حتى نهاية العام ٧٩ نحو ٥٧٤ طائرة ، من ضمنها الصفقات العراقية المذكورة ، و٣٨ طائرة اشترتها ليبيا ، و٥٠ طائرة للمغرب ، و٢٠ طائرة للكويت . وقد صنع منها نموذجين مزودين بمحرك اقوى ومعدات الكترونية عرضا على كل من بلجيكا وهولندا والدنمارك والنرويج في العام ١٩٧٤ ، التي كانت تبحث عن ما مجموعه ٣٥٠ مقاتلة حديثة لتجديد قواتها الجوية ، ولكن شركة « جنرال ديناميكس » الاميركية فازت بعرضها الخاص بالطائرة « ف ــ ١٦ » وعقدت ما عرف بصفقة القرن ، التي شملت ما جملته ٣٣٨ طائرة للدول الاربع ، اجمالي قيمتها نحو ٢٨٤٧,٨٩٨ مليون دولار ، وذلك نظرا لتفوق الـ « ف ــ ١٦ » تقنيا وتكتيكيا ، فضلا عن انخفاض تكلفة شراء وتشغيل الأخيرة ، نوعا ما ، بالنسبة الى « الميراج ف ــ ١ » .

وتبلغ قوة دفع محرك « الميراج ف ــ ١ » النفاث التوربوجت ، ٧٢٠٠ كلغ ضغط مع استخدام الحراق الخلفي ، ووزنها القتالي العادي ، في حالة مهام القتال الجوي ، يبلغ ١٠٩٠٠ كلغ ، ووزنها الاقصى في حالة القصف ١٤٩٠٠ كلغ ، ونسبة معدل قوة الدفع الى الوزن ، في الحالة الاولى ، تبلغ ٠,٦٦ كلغ دفع لكل كلغ وزن . على حين تبلغ النسبة المذكورة في « الميغ ــ ٢١ بيس » ٠,٩٣ الى ١ . (على اساس حمولة كاملة من الوقود الداخلي و٤ صواريخ جو ــ جو) ، ونحو ٠,٩٦ الى ١ بالنسبة الى « الميغ ــ ٢٣ » ونحو ١,٠٤ الى ١ بالنسبة الى الـ « ف ــ

١٦ » (في ظروف مماثلة من حيث الوقود والتسليح) ، كما تبلغ النسبة المذكورة ٠,٨٦ الى ١ بالنسبة للمقاتلة الاسرائيلية « كفير سي ـ ٢ » ، و١,١٥ الى ١ بالنسبة للمقاتلة الاسرائيلية « ف ـ ١٥ » و٠,٧٦ الى ١ بالنسبة للفانتوم الاسرائيلية ، وهكذا يتضح ان جميع الطائرات المذكورة لديها امكانات اشتباك جوي قريب افضل (بصورة عامة ودون الدخول في بقية تفاصيل المؤشرات التقنية الخاصة بحساب قدرات المناورة الجوية القتالية) من « الميراج ف ـ ١ » .

وتبلغ السرعة القصوى للميراج ف ـ ١ على ارتفاع ١٢ الف متر ٢٣٣٥ كلم/ساعة (٢,٢ ماك) ، وسرعتها القتالية القصوى على الارتفاع ذاته ١٩١٥ كلم/ساعة ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر (٣٠٠ متر) ١٤٧٠ كلم/ساعة . ومعدل ارتفاعها الابتدائي (التسلق) ١٩٠ متر/ثانية . والوقت اللازم للوصول الى ١٢ الف متر ٣ دقائق . ومداها القتالي بحمولة نموذجية (صاروخان جو ـ جو + ١٨٠٠ كلغ حمولات هجومية + خزان وقود اضافي) ٩٠٠ كلم على ارتفاع عالي ـ منخفض ـ عالي ، و ٥٠٠ كلم على ارتفاع منخفض ـ منخفض ـ منخفض . وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم مع ١٢٥ طلقة لكل مدفع ، بالاضافة الى ٣ صورايخ جو ـ جو من طراز « ماترا ٥٣٠ » الذي يبلغ مداه الاقصى ١٨ كلم (ذكرت انباء الصفقة أن الطائرات العراقية المذكورة ستزود بصواريخ احدث من طراز « ماتراسوبر ٥٣٠ » التي يبلغ مداها الاقصى ٣٥ كلم) ، وصاروخين قصيري المدى « سايدوندر » وذلك في مهام الاعتراض والقتال الجوي . أو بما مجموعه ٤٠٠٠ كلغ حمولات هجومية مختلفة في مهام القصف الارضي . وتعتبر « الميراج ف ـ ١ » اساسا مقاتلة معترضة على ارتفاع عال ، وتتمتع ايضا بقدرة القيام بمهام الاختراق في العمق العملياتي لعزل الجبهة المعادية ، ومنع وصول الامدادات اليها ، بقصف الطرق ووسائل المواصلات والمطارات الخ . أما قدراتها على الاشتباك الجوي القريب فتأتي في المرتبة الاخيرة من قدراتها في مواجهة المقاتلات الحديثة .

محمود عزمي

صدر حديثا عن مركز الابحاث

القضية الفلسطينية في ايديولوجية البورجوازية اللبنانية
مدخل الى نقض الفكر الطائفي

تأليف

مهدي عامل

٢٥١ صفحة من القطع الكبير ، ١٣ ل . ل .

صدر عن مركز الأبحاث

الكيانية الفلسطينية
الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي
١٩٤٧ ـ ١٩٧٧

تأليف

عيسى الشعيبي

٢٧١ صفحة من القطع الكبير ، ١٣ ل . ل .

صدر عن مركز الابحاث

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني
الجزء الثاني
١٩٤٨ ـ ١٩٦٧

تاليف

نبيل أيوب بدران

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير ، ١٠ ل . ل .

« رصد إذاعة إسرائيل »

نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية .

عادت نشرة « رصد اذاعة إسرائيل » الى الصدور ، مجدداً ، عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . وقد أضيف الى موادها ما تبثه إذاعة الجيش والتلفزيون الاسرائيلي أيضاً .

ترسل النشرة الى المشتركين فقط

الاشتراك السنوي
٥٠٠ ل.ل. ، عدا أجور البريد .

ترسل الاشتراكات الى :

قسم التوزيع ، مركز الابحاث ، م . ت . ف . ، ص.ب. ١٦٩١ ، بيروت ـ لبنان .

Palestine Affairs

No. 100, Mars 1980

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

السعـــر: ٥ ل.ل. في لبـــنان
٦ ل.س. في سوريـا
٦٥٠ فلسـاً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولـة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سـائر الاقطار العربية
٧٥٠ درهـماً في ج.ع.ل.
٧,٥٠ درهم في المغرب